

مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية

المعماريون العرب

حسن فتحى

تأليف : الدكتور عبد الباقى إبراهيم



دكتور عبد الباق ابراهيم

المؤلف :

الدكتور المهندس / عبد الباقى ابراهيم ، استاذ التخطيط العمرانى بجامعة عين شمس ورئيس قسم العمارة بها من ١٩٨٣ ــ ١٩٨٦ ، ورئيس مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ، ورئيس تحرير مجلة « عالم البناء » ، وعضو مؤسس ورئيس مجلس إدارة جمعية احياء التراث التخطيطى والمعمارى ، وكبير خبراء الأمم المتحدة سابقا . تخرج فى كلية الهندسة جامعة القاهرة عام ١٩٤٩ وحصل على بكالوريوس العمارة وكان ترتيبه الأول بامتياز . حصل عام ١٩٥٤ على بكالوريوس العمارة من جامعة ليفربول بانجلترا وفى عام ١٩٥٥ حصل على الماجستير فى التصميم الحضرى من نفس الجامعة وحصل عام ١٩٥٩ على دكتوراه فى تخطيط المدن من جامعة نيوكاسل بانجلترا .

أنتدب أثناء عمله بالجامعة الى عدة مناصب منها مديرا عاما لادارة الاسكان والتشييد بالجهاز المركزى للمحاسبات لمتابعة الخطة وتقييم الاداء عام ١٩٦٦ الى عام ١٩٦٨ ، ثم خبيرا للأمم المتحدة فى الكويت عام ١٩٦٨ حتى عام ١٩٧٠ ، وفى عام ١٩٧٣ عمل كبيرا لخبراء الأمم المتحدة فى المملكة العربية السعودية كمدير لمشروع التخطيط العمرانى الذى استمر حتى عام ١٩٧٩ . كما انتدب للتدريس فى كلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٧٦ واستاذا زائرا فى جامعة شتشن بپولندا عام ١٩٦٨ ومعهد الكويت للتخطيط الاقتصادى والاجتماعى عام ١٩٦٩ . كما اختير عضوا فى عدد من هيئات تحكيم المشروعات المعمارية والتخطيطية فى مصر والمملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية وعمل مستشارا لوزارات الاسكان بها . هذا بجانب اتصالاته المهنية على المستوى العالمى حيث قام بزيارات لعدد كبير من دول العالم شرقا وغربا .

نشر العديد من البحوث والدراسات فى مجال الاسكان والعمارة وتخطيط المدن والقرى اشترك بها فى عدد من المؤتمرات العربية والدولية ، واشترك فى ترجمة كتاب أسس التصميم لحساب مؤسسة فرانكلن الامريكية عام ١٩٦٨ ، ونشرت له مطابع الاعلام بالكويت كتابه الأول عن « إحياء التراث الحضارى للمدينة العربية » عام ١٩٦٨ ، كما نشر له مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية عدد من المؤلفات . ونشر له وعنه العديد من المقالات فى الصحف المصرية والعربية ، كما دعا الى قيام اتحاد المعماريين المصريين .

اشترك فى العديد من المسابقات المعمارية وفاز منها مشروع سوق القاهرة الدولى بمدينة نصر ومبنى هيئة التأمينات الاجتماعية بالقاهرة ومشروعات تعليمية بالكويت . كما اشترك فى تصميم كثير من مشروعات الاسكان والمبانى العامة وتخطيط المدن فى مصر والدول العربية . كما قام بتصميم عدد من المبانى العامة والخاصة فى مصر والكويت والمملكة العربية السعودية وذلك بجانب المشروعات التخطيطية التى تعكس القيم الحضارية الاسلامية .

المعماريون العرب
حسن فتحى

تأليف: الدكتور عبد الباقى إبراهيم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

المحتويـــــات

شكروتقدير:

بعد ظهور هذا الكتاب ضمن سلسلة كتب المعماريون العرب ، لابد من توجيه الشكر والتقدير إلى الأستاذ المعمارى الكبير حسن فتحى على مساهمته واهتمامه ومساعدته ، بتوفير المادة والمعلومات والملفات الخاصة به ... بهدف إخراج هذا الكتاب ليكون الأول من نوعه ، وباللغة العربية في شكل سيرة شخصية تلمس جوانب حياته المختلفة العلمية والعملية ، وحتى الشخصية منها ...

كما نوجه الشكر إلى الأستاذ الدكتور يحيى الزينى على حماسه وتأييده لفكرة إصدار هذا الكتاب .. ونخص بالشكر الأستاذ الدكتور حازم محمد ابراهيم المدير الفنى بالمركز على متابعته لإنتاج هذا العمل مع فريق يضم المهندس خالد أبو بكر بقسم الدراسات ، والمهندسة نورا الشناوى مدير تحرير مجلة عالم البناء والمهندسة هدى فوزى والمهندسة هناء نبهان والمهندسه شرين اسماعيل والأستاذ عبد الخالق عامر بهيئة تحرير المجله .. ونوجه الشكر أيضاً إلى المهندس عادل عبد المنعم والمهندس محمد أيمن عاشور لإعدادهما الرسومات والاسكتشات الخاصة بالكتاب وكذلك الآنسة عائشة رمضان من سكرتارية قسم الدراسات بالمركز .. كما نوجه الشكر إلى كل من ساهم وعاون فى إخراج هذا الكتاب .



حقوق الملكية و النشر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا مات إبن آدم أنقطع عمله إلا من ثلاث
صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له
رواه مسلم وغيره

وعملاً بهذا التوجية الكريم فإن مركز الدراسات التخطيطية و المعمارية ليأمل من نشر كتب و مقالات وكتابات وأبحاث أ.د/ عبد الباقي إبراهيم على موقعه الإلكتروني أن تكون صدقة جارية على روحه .

لذلك يمكن نقل أو إعادة النشر أو الإقتباس من الكتابات المنشورة بغرض الإطلاع أو البحث العلمي فقط بشرط الإشارة إلى المصدر
(عنوان المقال أو البحث – أسم أ.د/ عبد الباقي إبراهيم – الناشر مركز الدراسات التخطيطية و المعمارية www.cpas-egypt.com)
ولايسمح بإعادة إستخدام أي جزء أو إقتباس أو إعادة نشر أو طباعة أي جزء من الكتابات أو المقالات أو الأبحاث في الأعمال الدعائية أو التجارية أو ذات الصفة الربحية بدون الحصول على إذن خطي من المركز .

الناشر : مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية
١٤ شارع السبكي ــ منشية البكرى ــ مصر الجديدة

تقديـم :

نبعت فكرة إعداد كتاب عن حسن فتحى باللغة العربية ، إبّان ظهور الكتاب ، الذى أعدته عنه مؤسسة معمار ، التابعة لمنظمة الأغاخان ، باللغة الانجليزية ، وتحدث فيه مجموعة من المعماريين الأجانب ومجموعة من المعماريين المصريين المقيمين بالخارج .. استمراراً لقيام دور النشر الغربية منفردةً بالتأليف والنشر باللغات الأجنبية ، عن العمارة والمعماريين العرب .. الأمر الذى يثير فى النفس العديد من مشاعر الأسى والحسرة ، لما وصلت إليه الحركة الفكرية المعمارية فى العالم العربى ، وانحسار الثقافة المعمارية عن الغالبية العظمى من المعماريين العرب ، الذين لايجيدون الإنجليزية ، أو لايستطيعون حتى اقتناء الكتب المعمارية المرتفعة الثمن التى تصدر فى الغرب . ويمتزج هذا الإحساس بالأسى والحسرة بالإحساس بالعجز والتخلف ، الذى يعانى منه المجتمع المعمارى فى العالم العربى ، الذى لم يستطع أن يمتلك داراً للنشر المعمارى والتخطيطى . الأمر الذى أخذه مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية على عاتقه ، بالرغم من جسامة المهمة ، وما تتطلبه من أعباءٍ مادية وفنية . فكان لابد من أن نكتبَ عن المعماريين العرب .. وعلى رأسهم حسن فتحى .. لذا انتقلتُ وزميلى الدكتور يحيى الزينى ، بهذه الرسالة إلى الأستاذ حسن فتحى نفسه واجتمعْنا معه عدةَ اجتماعات رحّب فيها كثيراً بهذه الفكرة ، بعد أن اطلع على نماذجَ من مطبوعاتِ المركز ، ووضع أمامَنا كل مالديه من مادةٍ أساسية ، استغرق تصويرُها فترةً طويلة من الزمن . وقال إن كل مانشر عنه هو من ملكيته الأدبية ، وأعطانا كل الحرية فى الأخذ مما نشر فى الكتب التى أعدها بنفسه ، أو التى أعدّها عنه غيرُه ، من منطلق أن المعمارى العربى أحقّ من غيره بأن يرث تراث حسن فتحى ، الذى أصبحت كل رسوماته فى حوزة مؤسسة الأغاخان . ومع ذلك أعطانا حسن فتحى نُسخاً من بعضِ هذه الأعمال والرسومات كافيةً لإصدارِ هذا الكتاب .

والكتاب هنا جزء من محاولةٍ للبحث عن التراث فى العمارة العربية ، من خلال المعماريين العرب . وهو محاولةٌ للعودة إلى الأصالة الحضارية العربية .. العودةِ بخطواتٍ وئيدةٍ ، لكنها خطواتٌ واثقةٌ وثابتة .. ومؤمنةٌ بالمستقبل .



المعمارى الكبير حسن فتحى بمنزله بحى القلعة - بالقاهرة .

مقدمة

تحاول المكتبة الغربية امتصاصَ الفكر العربي ، ونشرَه باللغات الأجنبية ، تاركةً المكتبة العربية خاويةً من فكر أبنائها بلغتهم القومية . وتعانى المكتبةُ العربية نقصاً شديداً فى التأليف المعمارى ، النابع من البيئة المحلية ، عملاً قائما أو فكراً مكتوبا . ومن الأمثلة الصارخة ماكتبه الغرب عن المعمارى المصرى حسن فتحى بكل اللغات الأجنبية ، دون أن يجد القارىءُ العربى منها مادةً باللغة العربية يرجع إليها .. من هذا المنطلق كانت الحاجةُ إلى إصدار كتاب عن حسن فتحى باللغة العربية ، لاتكراراً لما نُشر عنه فى الغرب ، ولكن لعرض فكره ومنهجه العمارى ، من خلال ماكُتِبَ من بحوث أو مقالات ، وما صمم من أعمال معمارية ، اعتبرها العالَم الغربى صياغةً معاصرة ، للتفاعل بين الإنسان والبيئة ، فى بناء المستوطنات البشرية . ومهما كان الخلاف الفكرى بالنسبة لأعمال حسن فتحى ومنهجه ، إلا أنه يعتبر علامةً واضحةً فى تاريخ العمارة العربية المعاصرة ، بل فى تاريخ العمارة العالمية ، كما تؤكد ذلك الطبعةُ التاسعةَ عشرةَ لكتاب « فلتشر » عن تاريخ العمارة . فقد نال حسن فتحى الميداليةَ الذهبية من المعهد الملكى للمعماريين البريطانيين عام ١٩٨٥ . كما نال أول ميدالية ذهبية يمنحها الاتحاد الدولى للمعماريين فى نفس العام . هذا بخلاف التكريم ، الذى ناله من العديد من المؤسسات المعمارية ، فى العديد من الدول الأجنبية . ونال كذلك جائزةَ الدولة التقديرية من المجلس الأعلى للثقافة فى مصر ، واختاره المعماريون المصريون رئيساً شرفياً لمؤتمرهم الأول فى أبريل ١٩٨٥ م ، ومؤتمرهم الثانى فى أبريل ١٩٨٦ م ، وكذلك فى مؤتمرهم الثالث عام ١٩٨٧ م ومؤتمرهم الرابع عام ١٩٨٨ ، ونُشر عنه فى معظم المجلات المعمارية فى العالم ، وأصبح اسمُه يتردد بين كل المعماريين ، فى كل أرجاء المعمورة ، إلا فى عالَمه العربى ، الذى ولِد فيه ، وعاش من أجله ، لايعرف عنه إلا القلةُ القليلة ، من المعماريين العرب ، لقلة ماكُتب عنه باللغة العربية .

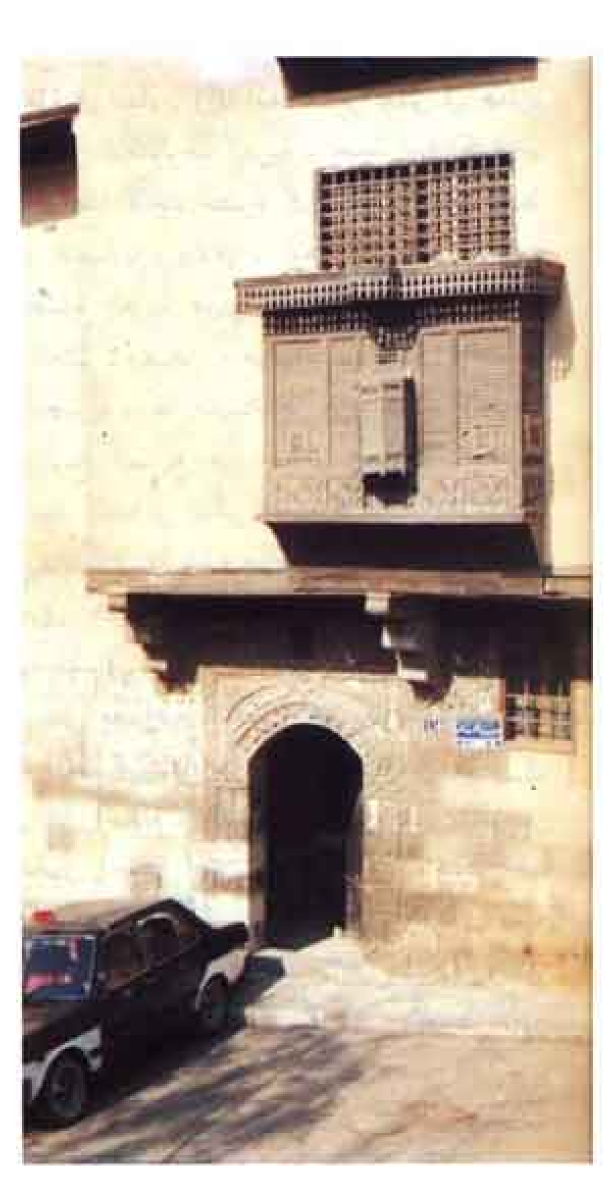
وإذا كان هذا الكتابُ قد جاء متأخراً عما نُشر عن حسن فتحى فى العالم ، إلا أنه كان واجباً أن يصدر عنه كتابٌ جامع لفكره وعمله ، على مدى سنىّ عمره ، قبل أن يتوقف عن العطاء . وكان الاتفاق مع المعمارى المصرى الدكتور يحيى الزينى ، على جمْع المادة الأساسية لهذا الكتاب ، من حسن فتحى نفسه ، وبناءًا على رغبته ، وذلك على مدى سلسلة من اللقاءات الأسبوعية ، التى شارك فيها حسن فتحى بفكره ورأيه ، وأعطى كل ماتحت يده من مادةٍ صالحة للنشر ، إيماناً منه بضرورة الكتابة عنه باللغة العربية ، بعد مشوار حياته الطويل ، وتوافد العديد من المعماريين عليه مؤخراً ، قاصدين عِلمَه وعمله ، ليكتبوا عنه مزيداً من الكتب باللغات الأجنبية ، حتى أخذت منه منظمة الأغاخان للعمارة الإسلامية أخيراً ، حقّ الاحتفاظ بكل التصميمات التى أعدها ، والانفراد بالتصرف فيها ، وأعدّت لذلك أرشيفا خاصا ، وعينت عليه أحد المصريين من أصل أرمنى ، حرصا على هذا التراث المعمارى الكبير . كما سارعت العديد من المؤسسات الإعلامية إلى إعداد برامجَ خاصة عن حسن فتحى ، لتذاع بالوسائل المرئية أو المسموعة أو المقروءة فى كل أرجاء العالم . وقد كان مسكنه فى ٤ درب اللبانة ، فى أحضان قلعة صلاح الدين ، محطا للزائرين من المعماريين والفنانين الأجانب . فهو علَم من أعلام الحركة المعمارية ، لبِقُ الحديث ، شيقُ الأسلوب ، جذابُ الكلمة ، يتقن الانجليزية والفرنسية بقدر إتقانه للعربية . يكرم الضيف ، ويسعد بلقاء زواره ، وبخاصة الأجانب منهم . وكان يقدمنا لهم كشركاء له فى عمله ، أو مؤسسين معه لمعهد التكنولوجيا المتوافقة ، أو حاملين لرسالته . وكان يكرر لهم تقديرهَ لنشاط مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ، وتحمله مسئولية الاستمرار لهذه الرسالة ، حتى طلب منا ترجمة بعض ماكتب عنه . كما كنا نشاوره فى شكل هذا الكتاب ومضمونه . وكان هدفنا أن نكتبَ عن حسن فتحى المعمارى والإنسان ، لا أن يكتب هو عن نفسه أو أعماله ، كما فى كتابه « عمارة الفقراء » ، أو كتابه « الطاقة الطبيعية والعمارة التقليدية » ، أو أن تُجمع عنه مقالاتٌ لبعض العارفين به ، كما فى كتاب مؤسسة الأغاخان بعنوان « حسن فتحى » .

ويخرج هذا الكتاب فى إطار سلسلة كتب المعماريين العرب ، ليكون مرجعا لشباب المعماريين العرب ، وبلغتهم ، ليتعرّفوا على حسن فتحى الإنسان والفنان .. وليتعرفوا عليه معماريا ، ومخططا ، وباحثا ، وأديبا . وذلك بشكل موضوعى ، أكثر منه تمجيداً أو تبجيلا، باعتباره حلقة من حلقات الفكر المعمارى المعاصر ، الذى ظهر فى المنطقة العربية ، وامتدت

حوار بين المهندس حسن فتحي والدكتور عبد الباقي إبراهيم .



مدخل منزل علي لبيب (٤ درب اللبانه) حيث يقيم حسن فتحي .



حسن فتحي في حفل افتتاح مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية عام (١٩٨٠ م)



جذوره خارج التربة العربية ، أكثر منه داخلها مع التعرض للبيئة الثقافية المعمارية التى نشأ فيها وأثرت فيه أو تأثر بها .

ويؤمن حسن فتحى بأنه لامناص للمجتمعات النامية أو الفقيرة ، من استعمال التكنولوجيا المتوافقة فى البناء ، والتى تعتمد على المادة المحلية ، كما تعتمد على المهارات المحلية للتشييد ، وتواجه فى نفس الوقت كل المتطلبات المعيشية للإنسان ، وظيفيا ، ومناخيا ، بالوسائل الذاتية ، دون الاعتماد على التكنولوجيا الغربية . ولحسن فتحى بذلك نظرته المستقبلية البعيدة ، التى لايدركها إلا القلةُ القليلة التى ترى مستقبلَ العالم ، فى ضوء توقع النقص الشديد فى مصادر الطاقة التقليدية . الأمر الذى أدى إلى اعتماد الأموال الطائلة ، للبحث عن بدائل لهذه الطاقة ، من الطاقة الشمسية ، أو من التوافق البيئى بخصائص الموقع ومواد البناء المحلية . ولهذا فهو يرى ضرورة الاعتماد على التكنولوجيا المتوافقة فى البناء . وإذا أمعنّا النظرَ بعمق فى عمارتنا العربية المعاصرة ، نجد أنها تساير التكنولوجيا الغربية ، بحجة أنها تكنولوجيا العصر . ويرى حسن فتحى فى هذا الاتجاه خطورةً كبيرة ، إذ أن ذلك يرتبط دائما بالاعتماد على الغرب ، اقتصاديا ، وثقافيا ، الأمر الذى يفقد المجتمعَ العربى هويتهَ ، كما يفقد العمارة العربية هويتَها بالتبعية . وهو يعتقد أن الصناعات الغربيةَ التى تغزو العالمَ ، وتصدّر له مواد البناء ، وطرق الإنشاء ، بجانب التجهيزات الفنية والمعمارية ، لها مايساندها من الفكر الاجتماعى المحلى ، الذى يسعى إلى الربح السريع من خلال استيراد نتاج هذه الصناعات .. وهذا يظهر البعد السياسى لفكر حسن فتحى ، وهو الفكر الذى يؤيده مريدوه من الغرب ، أكثر مما يؤيده مواطنوه من العرب ، بعد أن دخل الاقتصاد السياسى العربى الحلبةَ الدولية ، التى للغرب فيها الغلبة واليد العليا . ويظهر من كل ذلك التساؤل عن : ماذا بعد حسن فتحى ، الذى فتح لنا هذا الفكرَ الإنسانى على مصراعيه ، بغض النظر عن اختلافنا حول أعماله المعمارية .. لذا نكرر هنا ماكتبناه من قبل عن حسن فتحى فى الميزان ، عندما كثر الجدل عن أعماله ، وفلسفته ، وتجاربه ، بين المؤيدين والمعارضين ، حتى وصل الحوار إحدى المجلات الأسبوعية ، واعترض فيها أحد كبار المعماريين على فكرة عمارة الفقراء لحسن فتحى ، وسرد فى مقاله مبرراته على ذلك . وعلى الجانب الآخر ثار عدد من المؤيدين لفكره وتكرر الحوار واحتدم ، فكان لابد من إعادة تحديد المواقف ، حتى لاتختلط الأمور على المعمارى العربى ، الذى تعرّف عليه من خلال ماكتب عنه فى الخارج ، أكثر مما عرفه عنه من الداخل .. وبالرغم من أن حسن فتحى قد أصبح علامةً

مميزة ، فى تاريخ العمارة العربية المعاصرة ، إلا أن اسمَه من النادر أن يذكر فى المناهج المعمارية بالجامعات والمعاهد العربية . وإذا كان البعض قد اتخذ من اسمه سنداً له ولأعماله ، ويتفاخر بالتلمذة على يديه ، فإن البعضَ الآخر اتخذ أعماله كمادة للنقد والتجريح ، ليظهر بها على الساحة الفكرية . فكل جانب يريد أن يظهر على حساب اسم حسن فتحى ، إما بالتمسُّح به ، أو بالتهجم عليه . وهذا سر من أسرار عظمة الرجل الذى جاوز عمرُه الثامنة والثمانين عند كتابة هذا الكتاب . فيكفيه علواً أنه أصبح مادة للحوار المعمارى ، بين مؤيد لفكره ومعارض له . هذه حقيقةٌ لابد من أن يعترف بها المؤيد والمعارض لفكر حسن فتحى . لقد بدأت تجربتُه الأولى بعمارة الطين ، فارتبط بها اسمُه ، أكثر مما ارتبط بمبادئه الإجتماعية والاقتصادية والإنسانية . وإذا كانت التجربة الأولى قد ارتبطت بالتعامل المالى مع الأجهزة الحكومية ، التى لاتتعامل إلا بالعطاءات والمستخلَصات فى نظام المقاولات ، وهو مايتعارض مع الأسلوب التعاونى فى البناء ، الذى نادى به حسن فتحى ، فإن تجربته الأولى بذلك قد واجهت العديد من المشاكل والمآخذ . زد على ذلك المشاكلَ البيئية والاجتماعية ، التى أضرت بهذه التجربة . وكان فى ذلك مادة غزيرة لنقده .

فلجأ بعضهم إلى أرقام الإدارة الحكومية ، التى حاولت إيقاف التجربة بحجة الزيادة فى تكاليف البناء ، مع ضرورة العودة إلى نظام المقاولات . وإذا كان لكل تجربة سلبياتُها وإيجابياتُها – وإلّا لما أصبحت تجربة – فإن للتجربة الأولى لحسن فتحى ، فى بناء قرية القرنة ، بقدر ماتقاس بتحقيق الهدف من البناء ، بالأسلوب التعاونى ، والاعتماد على الذات . إذْ يمكن لمثل هذه التجارب ، أن تتطور وتتحرك من بيئة إلى أخرى ، ومن مكان إلى آخر ، بحيث تقوّم كل تجربة ، لتكون أساسا لتجربة أخرى . وهذا هو الأسلوب العلمى للتطور ، وإلا بقينا معلّقين بأذيال الغرب ، الذى يفكر ويخترع ، ثم ينتج ويصدّر لنا إنتاجَه المادى والفكرى ، نبهر بالابتكاراتِ التى أنجزها ، والنظرية التى وضعها ، ونلبس الأزياء التى صممها ، ونختار الألوان التى يقرها لكل موسم ، نقلده فى كل شىء ، تقليد القردة ، وننسى تراثَنا ، وثقافتَنا ، وفنونَنا ، وبيئتَنا ، وقيمَنا الحضارية ، بل ونفقد شخصيتَنا ، ونضيع بين الأمم . فلْيرجعْ المعارضون لفكر حسن فتحى ، إلى قادة الفكر الغربى ، ليراجعوهم مرة أخرى ، ويتلقوا عنهم الدرس ، ليتعلموا منهم كيف ينادون الآن بالأصالة فى العمارة ، وكيف يوازنون بين الماديات التى اكتسبوها ، والمعنويات التى فقدوها . يفدون إلى العالم العربى ، ليستقوا منه عبير الحضارة ، يختزنونه ويصدرونه إلينا ، فى نظريات جديدة للعمارة .. لكل ذلك فهم يحترمون فكرَ حسن فتحى وعمارتَه .. عمارةَ الطين ، يقدرون فيه الإنسان ، المفكر ،

والفيلسوف . وليس المهم هنا أن نرى الكفة التى تغلب بين المؤيدين والمعارضين ، ولكن المهم أن نرى المؤيدين وهم يساهمون بمزيد من الفكر ، ومزيد من التجارب ، كما نرى المعارضين وهم يساهمون ببديل من التجارب ، ومزيد من الإنجاز . إننا هنا لانقف عند حسن فتحى كظاهرة ، أو رمز ، أو علامة ، فى تاريخ العمارة العربية المعاصرة ، ولكن ننظر إليه كعلامة على طريق المستقبل المعمارى العربى ، طريق يسير فيه المؤيدون لفكره ، والمعارضون له ، يحاولون فيه إثراء الحركة المعمارية العربية ، حتى تتردد أسماؤهم فى كل أنحاء العالم ، كما تردد اسم حسن فتحى .

نشأة حسن فتحى

ولد حسن فتحى فى ٢٣ مارس عام ١٩٠٠ م فى مدينة الاسكندرية من أسرة ميسورة الحال . وانتقل إلى القاهرة و هو فى سن الثامنة من عمره ، وسكن مع عائلته فى ضاحية حلوان جنوبى القاهرة ، وكان أخوه الأكبر المرحوم الأستاذ محمد فتحى قد التحق بمدرسة الحقوق وتخرج فيها ليلتحق بالسلك القضائى ، ثم ظهرت موهبته وعشقه للموسيقى العربية ، وكان رائداً من روادها وترك بسببها سلك القضاء .. أما أخوه الآخر الدكتور على فتحى فقد التحق بمدرسة المهندسخانة ، وتخرج منها ، وتدرج فى سلك التعليم الجامعى حتى أصبح عميداً لكلية الهندسة بالاسكندرية . ولم يكن لحسن فتحى طموحات خاصة ، إلا أنه كان يهوى الرسم أسوة بأخويه .. ومع ذلك كان يود أن يكون مهندسا زراعيا ، عندما تأثر بحالة الفلاحين عند زيارته للريف ، وهو فى سن الثامنة عشرة من عمره . لكنه ابتعد عن الزراعة بسبب الأستاذ الذى اختبره عند تقدمه لدراسة الزراعة ، ولم يستطع الإجابة على كل تساؤلاته . ثم ظهرت رغبته لدراسة الميكانيكا – كما يقول – ولكنه تراجع بسبب الرياضيات العالية التى تحتاجها هذه الدراسة .. ثم دخل مدرسة المهندسخانة فى ذلك الوقت لدراسة العمارة كجزء من الهندسة المدنية وتخرج فيها عام ١٩٢٦ م ، وعمل بعد تخرجه مهندساً فى الإدارة العامة للمدارس فى المجالس المحلية – المجالس البلدية فى ذلك الوقت – وكان أول عمل يقوم به هو تصميم مدرسة فى مدينة طلخا .. هنا كان أول احتكاك عملى بينه وبين العمارة الريفية ، والتى لم تكن تصلح للإيواء الإنسانى على حد تعبيره . هكذا كانت الخلفية وراء اهتمامه بالعمارة الريفية .. أو عمارة الفقراء كما يسميها .. ومع أن الفلاح فى الدلتا كان يبنى مسكنه بنفسه ، من مواد البناء المحلية ، وبمعاونة أفراد عائلته ، إلا أن حسن فتحى لم يجد فيها القيم الجمالية أو المعمارية كما وجدها بعد ذلك فى عمارة النوبة ، التى بهرته ، وكانت بداية تمسكه بما فيها من قيم حضارية وإنسانية ، مع أنها لم تكن تمثل العمارة الريفية فى كل مصر .. فالمجتمع النوبى الذى ظل فترة من الزمن بعيداً عن الاحتكاكات الحضارية ، له فنه الخاص ، كما أن له بيئته ولغته الخاصة ، ومن ثم كانت له عمارته الخاصة . وإذا كان لهذه العمارة انعكاسها ، على بعض المناطق الريفية القريبة

من أسوان أو جنوب الوادى ، إلا أن معالمها لم تظهر فى أى مكان آخر فى شمال الوادى أو الدلتا .

فى بداية حياته كلف حسن فتحى بتصميم دار للمسنيّن بإحدى قرى محافظة المنيا . عندها بدأ فى البحث عن مدخل للعمارة الريفية ، ولكن رئيسه طلب منه أن ينهج المدخل الكلاسيكى فى التصميم ، وأصدر له أمراً بذلك .. ولم يعجبه حال العمل بهذا الشكل .. فترك العمل مستقيلا – كما يقول – عام ١٩٣٠ م بعد أربع سنوات قضاها فى المجالس المحلية . وعاد بعد ذلك إلى القاهرة ، وقابل ناظر مدرسة الفنون الجميلة فى ذلك الوقت ، وكان فرنسى الجنسية ، وأبدى رغبته فى العمل معه دون مقابل ، فكل همه ألا يقوم بتصميم عمارة كلاسيكية فى الريف .. وكان رد مدير المدرسة له – كما يقول حسن فتحى نفسه – أنت الرجل الذى أريده .. وهكذا بدأ عمله فى التدريس فى كلية الفنون الجميلة العليا بالزمالك بالقاهرة حتى عام ١٩٤٦ ، حين اتيحت له فرصة تصميم سكن ريفى فى قريته ، بجوار مدينة المنصورة .. لكنه لم يستطع تدريس العمارة الريفية فى مدرسة الفنون الجميلة على مدى الست عشرة عاما التى قضاها بها .. فالعمارة الكلاسيكية كانت هى السائدة فى المعاهد والجامعات المصرية فى ذلك الحين – لكن اتيحت له الفرصة ليقيم للعمارة الريفية معرضا فى مدينة المنصورة ، ثم آخر فى مدينة الفيوم . وجدير هنا بالاشارة أن « سليم تكلا باشا » صاحب جريدة الأهرام فى ذلك الوقت أعجب بأفكار حسن فتحى ، وأعماله ، حتى أنه طلب منه عمل بعض التعديلات فى منزله الخاص .. ثم صمم حسن فتحى المسكن الريفى لصديقه المرحوم حامد سعيد الفنان التشكيلى المعروف فى ذلك الوقت حوالى عام ١٩٤٢ – على حد تقديره – وهو المسكن الذى صممه بالأقبية والقباب فى قرية المرج شمالى مدينة القاهرة ، وهو نمط لم يكن معروفا فى هذه الأبنية الريفية . وإن كان قبلها عام ١٩٤٠ قد أتيحت له الفرصة لبناء مسكن ريفى بنفس الأسلوب بقرية بهتيم ، شمالى القاهرة للجمعية الزراعية الملكية .

وفى عام ١٩٤٦ كُلف بوضع التصميم المعمارى لقرية القرنة فى الضفة الغربية لمدينة الأقصر ، وذلك لإسكان أصحاب مساكن القرنة القديمة ، التى كانت مقامة على سفح الجبل ، فوق ثروة كبيرة من الآثار الفرعونية ، ورأت الحكومة فى ذلك الوقت هدم القرية القديمة ، حتى تتمكن هيئة الآثار من الكشف عما دفن تحتها من آثار ، كان سكان القرية ينقّبون عنها تحت مساكنهم ، وكانت تدر عليهم دخلا كبيرا .. استمر هذا المشروع حتى عام ١٩٥٣ ، وكان البداية الفعلية للإنجاز المعمارى لحسن فتحى ، بل لأهم

إنجازاته التى عرف بها فى كل أنحاء العالم . ولهذا المشروع قصة سردها بالتفصيل فى كتابه « عمارة الفقراء » الذى صدر بالانجليزية عام ١٩٧٣ م من مطبعة جامعة شيكاغو بأمريكا كتجربة فى الريف المصرى . وكانت هذه القصة قد صدرت من قبل عام ١٩٦٩ باللغة العربية عن هيئة الاستعلامات المصرية ، وفى عدد محدود من النسخ تحت عنوان قصة قريتين .

ومن عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٥٢ عين حسن فتحى مديراً لإدارة المبانى التعليمية فى وزارة التربية والتعليم ، ثم عاد إلى كلية الفنون الجميلة رئيسا لقسم العمارة فيها من عام ١٩٥٣ وحتى عام ١٩٥٧ عندما تزوج . وبعدها ترك مصر للعمل فى مؤسسة دكسيادس باليونان عام ١٩٥٩ واستمر فى العمل فيها حتى عام ١٩٦١ عندما عاد إلى مصر . ويرجع حسن فتحى سبب تركه لمصر إلى الشكوى من الأجهزة الحكومية التى تتعامل بطريقة العقود والمقاولات ، وكيف فشل هذا الأسلوب فى بناء مدرسة فارس فى كوم امبو ، التى صممها وأشرف على تنفيذها وبلغت تكاليفها ٦ آلاف جنيه ، فى الوقت الذى سجلت فيه الوزارة فى تقاريرها أن المدرسة تكلفت ١٩ ألف جنيه خلافا لما قدره .. وهكذا بدأت الخلافات بينه وبين النظام الحكومى السائد . وقد تكرر هذا الموقف فى العديد من المشروعات التى بدأها ولم ينهها محتجا على الروتين . وقام حسن فتحى فى أثناء عمله بمؤسسة دكسيادس بقيادة مجموعة بحثية لوضع نظرية مدينة المستقبل .. كما قام بتصميم عدد من العمارات السكنية حول ساحة كبيرة بها مدرسة ، واعتبر الساحة كفناء بين أربع عمارات بالرغم من اتساعها الكبير . ولم تحظ الأعمال المعمارية التى قام بها مع دكسيادس بنفس الاهتمام الذى حظيت به أعماله فى القرنة .. بل قد خلت الكتب التى صدرت عنه من هذه الأعمال .

ومنذ عام ١٩٦٣ عمل حسن فتحى فى العديد من اللجان فى وزارة البحث العلمى ، والأمم المتحدة ، ومنظمة الأغاخان ، وذلك بالإضافة إلى مكتبه الخاص فى مسكنه فى ٤ درب اللبانة ، الذى انتقل إليه عام ١٩٦٢ ، وأصبح منذ ذلك الحين محط أنظار المعماريين الوافدين إلى مصر من كل أنحاء العالم . وفى هذه الفترة أيضا شارك فى العديد من المؤتمرات الدولية والعربية ، والقى العديد من المحاضرات فى المنظمات المعمارية والجامعات العربية والأجنبية ، وأصبح علما من أعلام العمارة البيئية فى العالم .

بسؤال حسن فتحى عن سبب نشر كتابه – عمارة الفقراء – باللغة الانجليزية قال : كان ذلك لوجود استجابة لكتاباته فى الخارج أكثر منها فى

نافذة بمدرسة فارس – كوم امبو (١٩٥٧ م) .

مصر . ولو نشر هذا الكتاب باللغة العربية لما قرأه أحد .. فكان لزاما نشره فى الخارج بالإنجليزية ، ثم يمكن ترجمته بعد ذلك إلى العربية . ويبرر ذلك بأن ظاهرة الاغتراب لاتزال موجودة فى العالم العربى .. تقليد الغرب .. وكان المفروض نشر مثل هذه الأعمال باللغة العربية .. لكن لافائدة .. ولمن أكتب باللغة العربية ؟

وبسؤال حسن فتحى وهو يجيد اللغات الانجليزية والفرنسية اجادة تامة أين تعلم هذه اللغات وكيف أجادها أجاب : لاشيء .. أنا لم أتعلم لغات .. الإنجليزية كانت تدرس فى المدارس .. والفرنسية كانت هى لغة العائلات .. وكان والدى قاضيا يتكلم ويكتب بالفرنسية .. فكان الجميع من حولى يتكلمون الفرنسية وهكذا تظهر خلفيته الثقافية والاجتماعية .. واختلاطه بالمجتمعات الراقية .

ومما أثر فى حسن فتحى أن جميعة خيرية نسائية أعضاءها من الأميرات وزوجات وبنات الباشوات كلفته بعمل نموذج لمسكن فى قرية اسمها عزبة البصرى بالمعادى ، بعد أن اصابها السيل فأغرقها .. وتم بناء هذا النموذج الذى كلفه ١٦٤ جنيه ، وكانت الأميرات يقمن فيه حفلات الشاى ، ويقابلن زوار الجمعية فيه ، ولكنهن بعد ذلك تعاقدن مع مهندسهن الخاص . فأقام لهن نموذجاً تكلف ١١٠٠ جنيه ، فلم يستمر فى المشروع مبررا ذلك بأن الناس لايفضلون العمارة الرخيصة بل يفضلون الأغلى .. وعلى حد تعبيره .. انهم يفضلون عمارة الملايين لكننا نبنى عمارة الملاليم .

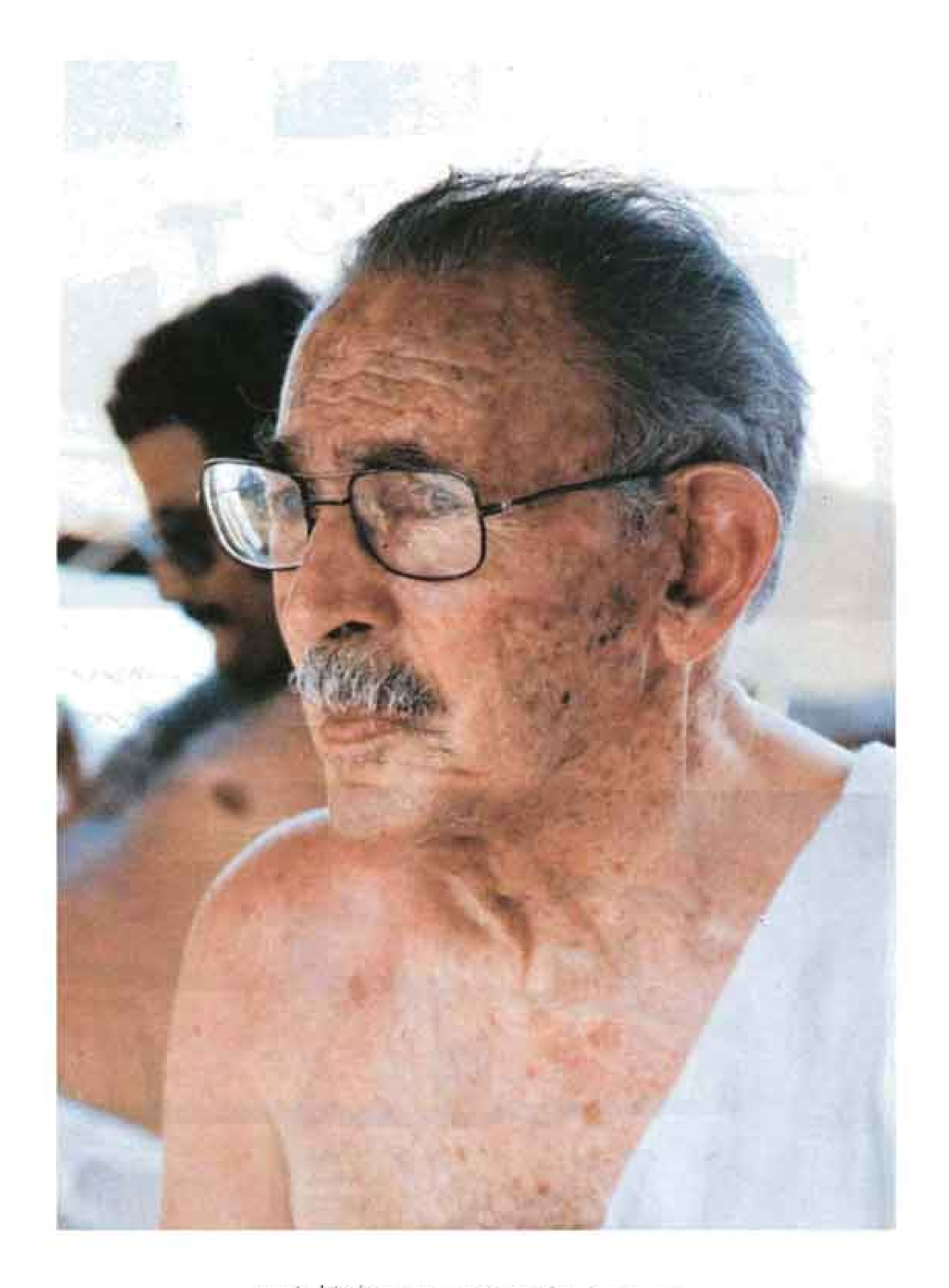
لقد نشأ حسن فتحى كمعمارى منذ تخرج من مدرسة المهندسخانة عام ١٩٢٦ فى محيط معمارى ، اعتنق الكلاسيكية فى الأسلوب ، سواء كان ذلك فى المناهج الدراسية أو فى الممارسة المهنية ، فقد ارتبطت المدرسة المعمارية فى مصر فى ذلك الوقت بالنظم الغربية سواء الانجليزية أو الفرنسية . وعاصر حسن فتحى العديد من كبار المعماريين المصريين مثل المرحوم على لبيب جبر ، والمرحوم محمود رياض من المدرسة الانجليزية .. والمرحومين مصطفى باشا فهمى ، وحسن شافعى ، ومصطفى شافعى ، وأبو بكر خيرت من المدرسة الفرنسية . والدكتور سيد كريم بعد ذلك من المدرسة السويسرية ، وغيرهم من كبار المعماريين الذين تركوا بصماتهم على العمارة المصرية المعاصرة بشكل أو بآخر . لكنه اختلف عنهم جميعا حيث اختط لنفسه منهجا خاصا به ، ارتبط بعمارة البيئة خاصة العمارة الريفية . وهو بذلك لم يترك بصماته على العمارة الحضرية كغيره من كبار المعماريين ، ومع ذلك كان انتشاره عالميا ، أو أكثر اتساعاً ، وأكثر معرفة من غيره .



جزء من الاستديو حيث يعمل حسن فتحي . ▲

جزء من مكتبة حسن فتحي . ▼





حسن فتحي في عرفات ١٩٨٣ م . (تصوير د/ عادل ياسين)

حسن فتحي الإنسان

لقد كان لشخصية حسن فتحي الأثر الكبير فى انتشار فكره وفلسفته ، من خلال أعماله ، على هذا المدى الواسع فى العالم . وتظهر هذه الشخصية فى تكوينه العلمى والثقافى ، وفى بنائه الإنسانى والفنى ، فهو يتميز بلباقة الكلمة ، وسعة الاطلاع ، وحماسة التعبير ، وقوة الاقناع ، والتندّر على الأوضاع ، والتهكم على بعض المواقف . فهو إذا حاول تفضيل مادة الطين على الخرسانة المسلحة يقول « إن الله خلق الإنسان من طين وليس من خرسانة مسلحة .. » وإذا ذكر الاستعمار الفكرى والتكنولوجى الذى يدنّس الأرض الطاهرة ، وصفه بأنه « كافر خنزير » ، وإذا تندّر على مسجد جروبيوس فى مشروع جامعة بغداد ، والمكون من قبة قائمة على الأرض ، يقول « الإنسان يضع العمة على رأسه ولايضعها على الأرض » . وهكذا تظهر لباقته فى التعبير والتشبيه . وهو فى نفس الوقت شخصية جذابة ، تبعث على الاهتمام ، كما تبعث على الاحترام .. ينفعل بشدة إذا وجه إليه أى نقد من بعيد أو قريب .. يشوب شخصيته قدرٌ من الأنانية .. يجمع الحديث كله حوله .. ويستأثر بالقدْر الأكبر من الحديث .. لايسمح بالمقاطعة إلا فى أضيق الحدود .. يصغى إلى اللغة الأجنبية أكثر مما يصغى للعربية ، لبق التعبير ، حاضر الإجابة بالانجليزية والفرنسية ، اللتين يجيدهما إجادةً تامة . الأمر الذى يوفر له الحضور عند رواده من الأجانب .. يستقبل ضيوفه بالترحاب الارستقراطى وخاصة الإناث منهم . يستقطب شباب المعماريين المتوجهين إليه ، فيحدثهم عن فكره وفلسفته ، ويفسح لهم إمكانية العمل معه .. وهو سيد العمل .. إذا حاول أحد منهم تقليده ، بضعف أو اقتدار ، ثار عليه . لذا لم يستقر معه أحدٌ من تلاميذه .. واستغل نفرٌ منهم علاقتهم به للمباهاة أو للاستثمار لاسيما عندما أصبح علامةً فى تاريخ العمارة المعاصرة . ولم يستقر أحد منهم على فكر حسن فتحى ومبادئه ، بل انخرطوا فى الممارسة التقليدية ، يصممون الدور والقصور ، لمن يهتمون بالتراث المعمارى عن قناعة أو للمباهاه .. حتى أصبح معظم تلاميذه يصممون عمارة الأغنياء ولايكترثون بعمارة الفقراء ، التى كانت

هى صميم رسالته المعمارية . وهكذا لم يترك حسن فتحى جيلا مؤمنا بهذا الفكر الإنسانى وانقلب الفكر الذى بدأه من عمارة الفقراء إلى عمارة للأغنياء .. الأمر الذى أثار جدلا بين الأوساط المعمارية فى العالم العربى وخارجه .

يقول حسن فتحى فى مقدمة كتابه « عمارة الفقراء » إنه كان يرى الريف المصرى من نافذة القطار بين القاهرة والاسكندرية فقط .. فقد كان الريف بالنسبة لوالده بيئةً يملأها الذباب والناموس والمياه الملوثة ، مع أنه كان يمتلك عدداً من المزارع لايزورها إلا مرةً فى السنة ، وهى قريبة من مدينة المنصورة ، فى الشمال الشرقى للدلتا .. ولم يعمل حسن فتحى فى الريف المصرى إلا بعد أن بلغ السابعة والعشرين من عمره . وجاء اهتمامه بالريف من خلال والدته ، التى عشقت الريف ، وتمنت أن تعيش فيه طيلة عمرها ، ورسمت له صورةً رومانسية رسخت فى وجدانه . من هنا بدأت عاطفته تتجه نحو الفلاح المصرى الضعيف ، الذى يعيش فى مساكن متواضعة ، ويعانى من ثالوث الفقر والمرض والجهل .. وبدأ عقله يفكر فى الأسلوب الأفضل لإسكان هؤلاء المساكين - حسب تعبيره - وبدأت محاولاته لاستعمال القبو فى تغطية المساكن بأحد مشروعات الجمعية الزراعية فى قرية بهتيم شمالى القاهرة ، مع أن الإسكان الريفى فى الدلتا لم يكن يعرف هذا النوعَ من الإنشاء من قبل أو من بعد . فهو غريب عليه وعلى تقاليده . إذْ أن الفلاح فى الدلتا لم ير القبو إلا فى بناء المقابر فوق سطح الأرض .

وحسن فتحى رومانسى بطبعه ، يهوى الموسيقى الكلاسيكية ، ويعزف على الكمان ، ويلبس العباءة الصوفية الحمراء . إنتقل من سكنه فى الزمالك إلى سكنه فى منزل على لبيب ، الذى أقيم فى العصر التركى ، والمعروف برقم ٤ درب اللبانة . فى هذا الجو الشاعرى المطل على قباب ومآذن عمارة قاهرة القرون الوسطى ، يتردد السائحون ، وتقام اللقاءاتُ الفكرية بين مجموعات الأجانب ، التى تجتمع عند أحد الإيطاليين فى نفس المبنى ، الذى اشترى الأغاخان جزءاً منه بعد ذلك .. هنا يستقبل حسن فتحى ضيوفَه ، ويعزف لهم على الكمان الموسيقى الكلاسيكية التى يتقنها .. هذا فى الوقت الذى كان فيه أخوه المستشار محمد فتحى رائداً من رواد الموسيقى العربية . وهذا يظهر بعض التناقض فى اهتماماته الفنية . فبينما هو يدعو إلى تأصيل القيم الحضارية فى العمارة العربية المعاصرة ، نجده يدعو إلى دراسة الموسيقى الكلاسيكية الأوربية ، ويقارن بين الهارمونى (التجانس) الذى فى موسيقى « برامز » مثلا والهارمونى بين الخطوط المكوِّنة للعمارة الإسلامية أو بمعنى آخر فى العلاقة بين الطول والعرض والارتفاع ، بينما نجد فى



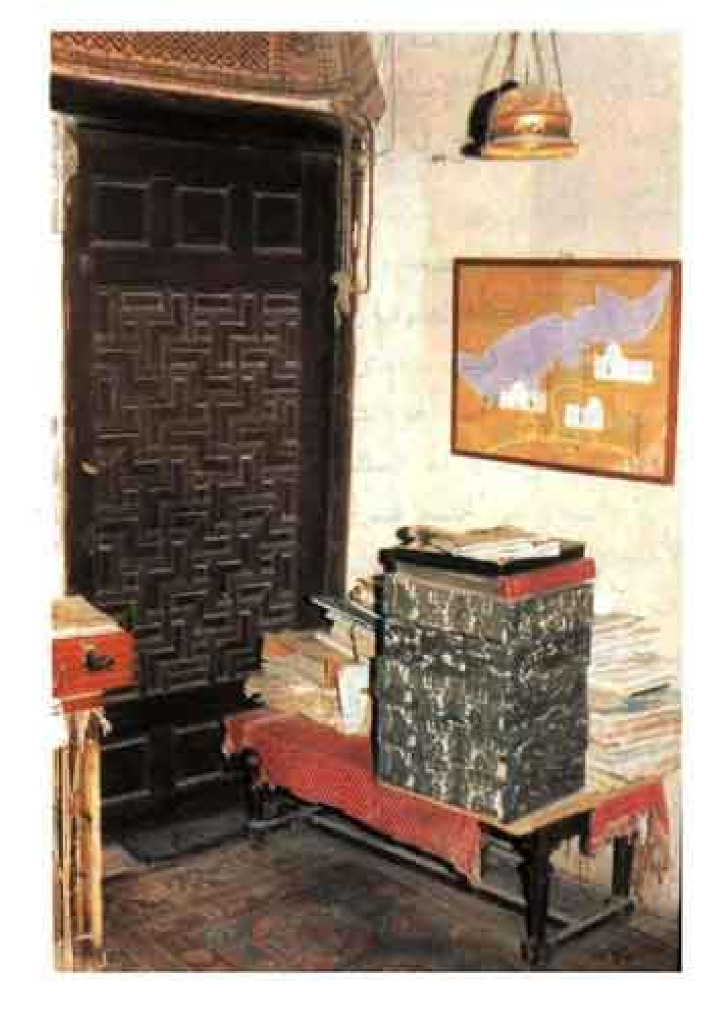
جانب من غرفة المعيشة فى منزل حسن فتحى .



مدخل السلم المؤدى إلى منزل حسن فتحى .

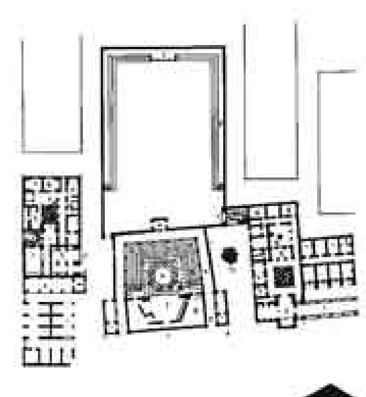


جانب من حجرة الاستقبال بمنزل حسن فتحى .



مدخل غرفة نوم حسن فتحى ونلاحظ الملفات والكتب المتراكمة فى أرجاء المكان .

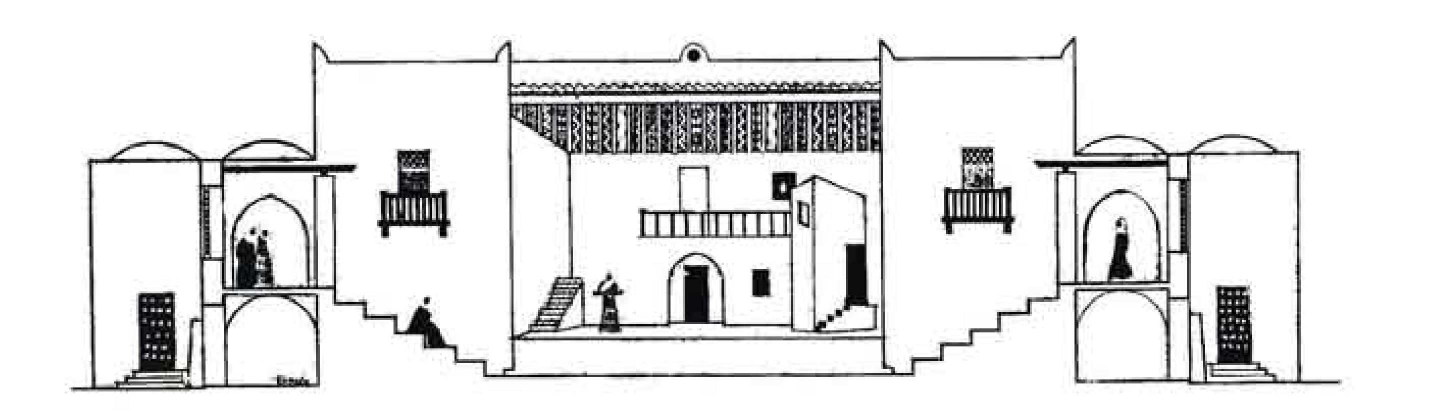
الموسيقى العربية نوعاً من الترديد أو التطريب . وكثيراً ما كان النقاش يحتدم بينه وبين أخيه المستشار محمد فتحى فى هذا الشأن ، خاصة وأن الموسيقى الكلاسيكية الغربية لاتجد لها مكانا واضحا فى وجدان الإنسان العربى . هنا يقترب حسن فتحى من الرؤيا الغربية للفنون . الهارمونى فى الموسيقى الكلاسيكية ، والرومانسية فى التشكيلات المعمارية ، لاسيما تلك التى توفرها التكوينات الفراغية والحجمية للقباب والأقبية والعقود ، التى أصبحت عناصر هامة فى عمارته .. وهنا أيضا يقترب حسن فتحى من الوجدان الغربى ، فيجذب إليه المستمع الغربى أكثر مما يجتذب المستمع العربى . ومن هنا ظهرت كتاباته بلغات غير العربية ، وانتشرت فى جميع أنحاء العالم ، ولم تجد حظها فى الانتشار بنفس الاتساع فى العالم العربى . من هنا أيضا كانت الحاجة إلى الكتابة عنه باللغة العربية . ولهذا السبب اقتنع أخيراً بهذا الاتجاه ، وساعد على ذلك زميلٌ من المغرب أيدنا فى هذا المبدأ .



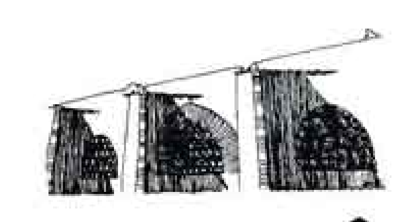
مسقط أفقى للمسرح - قرية القرنة الجديدة . (١٩٤٦ - ١٩٥٣ م) .

لقد امتدت رومانسية حسن فتحى إلى حد بنائه مسرحا فى قرية القرنة ، بالرغم من اعترافه بأن القرية المصرية لم تشهد له مثيلا من قبل . ومع ذلك امتد خياله لإنشاء هذا المسرح . وأقيمت عليه بعض العروض الريفية تحت أضواء الشعلات النارية ، وأمام عِلية القوم من الأمراء والأميرات فى ذلك الوقت ، الأمر الذى أضفى على القرية الجديدة جوا من الرومانسية ، الذى لم تشهده قرية مصرية من قبل . وكان هذا العرضُ هو الأول والأخير فى تاريخ هذه القرية على هذا المسرح . لقد كان إتقان حسن فتحى للغتين الإنجليزية والفرنسية ، نطقا وكتابة ، عاملا هاما لجذب العديد من أفراد الطبقات المثقفة المصرية والأجنبية ، وهكذا بدأت تتوافد أفواجُ السياح ، وأعضاء السلك الدبلوماسى ، على قرية القرنة ، كما زارها العديد من المعماريين الأجانب ، ونُشر عنها فى كل أرجاء العالم ، حتى أصبحت علامة مميزة ، أضافت بُعداً إعلاميا لحسن فتحى المعمارى والفنان والإنسان .

قطاع بمسرح قرية القرنة الجديدة .



يتميز حسن فتحي بأنه سريع الانفعال ، يؤمن بمبادئه ، ويصر عليها ، ويداوم على نشرها بكل الوسائل . ويساعده على ذلك شخصيته الجذابة ، وأسلوبه المسلي . فكثيرا ماكان يعبّر عن نفسه فى خطابات إلى كبار المسئولين فى الدولة ، ناقدا أو مؤيدا ، حتى أقام جسوراً من الثقة مع العديد منهم ، فوجد سبيله إلى عضوية اللجان العلمية فى وزارات البحث العلمي ، أو تعمير الصحارى ، أو الإسكان . ولكنه يصطدم بالروتين الحكومى ، ويقاومه فلا يستطيع التغلب عليه ، فينسحب من الحلبة ، لعدم استطاعته المواءمة بين ماهو واجب وماهو ممكن ، ففقد كثيراً من الفرص التى سنحت له للقيام بمزيد من المشروعات العامة لإسكان الفقراء . فهو لايؤمن بنظام المقاولات فى تنفيذ مثل هذه المشروعات ، بدءاً بإعداد التصميمات ، ثم الشروط والمواصفات ، ثم طرح العطاءات ، ثم إسناد الأعمال إلى المقاول الذى يتعامل بدوره مع مقاولى الباطن . وهو يرى أن ذلك يضيف أعباءاً كثيرة إلى تكاليف المشروعات ، ويفقدها الجانب الإنسانى ، الذى يتمثل فى مشاركة السكان فى عمليات البناء ، سواء بنظام المعونة الذاتية ، أو بالنظام التعاونى . فهو يقول إن عشرة أفراد يستطيعون بناء عشرة مساكن ، لكن فرداً واحداً لايستطيع بناء مسكن واحد . وهو هنا يتجه إلى نظام الذمة فى العمل ، فيقوم بإعداد التصميمات ، ويضع برامجَ التنفيذ ، ويتعامل مباشرة مع كبير البنائين ، ويعتمد على تدريب العمالة للمساهمة فى البناء . وهذا الأسلوب لايتماشى مع النظم المالية الرسمية ، الأمر الذى كان سببا فى شقائه ، عندما كان يتعامل مع الأجهزة الحكومية .. فبناء القرى والمناطق الريفية ليست من الأعمال الخاصة ، فهى دائما ترتبط بالأجهزة الحكومية أو الرسمية . وحسن فتحي يرجع أسباب توقف العديد من مشروعاته لهذا السبب ، وهو التناقض بين العمل بالذمة والعمل بنظام المقاولات . فلم يكن له من المرونة مايمكّنه من التغلب على هذا التناقض . لذلك كان كثير الشكوى ، دائمَ الهجوم على الأجهزة الفنية الحكومية والرسمية ، متهماً إياها بالتخلف الفكرى والحضارى . ويتضمن كتاب « عمارة الفقراء » باباً خاصاً عن (المعمارى والفلاح والبيروقراطية) يضم المناقشات التى دارت بينه وبين المسئولين من مهندسى الحكومة ، حول الأسلوب الأمثل لتوفير آلاف الوحدات السكنية فى الريف المصرى . وهنا لاتزال الفجوة واضحة ، بين ماهو واجب وماهو ممكن ، أو بين النظرية والتطبيق . فإذا كان حسن فتحي يستطيع أن ينفّذ أسلوبه فى مشروع أو مشروعين ، فمن الذى يستطيع أن ينفذه فى مئات المشروعات ؟.. هذا هو السؤال الذى لم يجد إجابة له من الطرفين . لقد اعتمد حسن فتحي فى معظم أعماله على المعلّم علاء الدين مصطفى حتى أخذه معه لبناء بعض مبانى المركز الإسلامى فى « أبيكيو »فى أمريكا .. والسؤال الثانى الذى يراود البعض أين



الحرمات والأكتاف بمسجد دار الإسلام – أبكيو – نيومكسيكو (١٩٨٠ م) .

كل من علمهم المعلم علاء الدين بناء الأقبية والقباب ؟ وتبقى الإجابة حائرة بين المؤيدين لفكره والمعارضين له .. إذا كانت الجوانب الإنسانية ، وشخصية حسن فتحى ، هى أساس رسالته المعمارية ، فإنه ليس بالفكر فقط تُبنى الأمم ، ولكن بالعمل على مجابهة المشاكل لا بالهروب منها .. وبالإستمرار والإصرار على نشر الرسالة بكل وسائل النشر . إن حسن فتحى الإنسان سوف يظل علامة بارزة فى تاريخ العمارة العربية المعاصرة ، وظاهرة علمية فى تاريخ الفكر المعمارى ، بدأت به وتنتهى معه .. لقد كانت شخصيته هى محور الإهتمام بقدر ماكانت عمارته محور الإلهام .

لقد عرفت حسن فتحى عن قرب ، خلال عضويتى معه فى لجنة الإسكان الريفى بوزارة البحث العلمى فى الستينات ، سافرنا خلالها معا لأقصى جنوب الوادى إلى قرى النوبة بعد التهجير ، وإلى أقصى شمال الدلتا فى مناطق استصلاح الأراضى .. ومن خلال جلساتنا المطولة فى مسكنه بدرب اللبانة ، أو فى مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ، الذى اعتبَره امتداداً لفكره ورسالته ، بل وفى المشاركة فى المشروعات المعمارية التى كانت توكل إليه . وسبق أن عرفت حسن فتحى الإنسان من خلال موقفه المشرف ، وحماسه البالغ لمساندتى أمام مجموعة كبيرة من المعماريين المصريين ، على رأسهم المرحومون على لبيب جبر ، وخالد سعد الدين ، وصديق شهاب الدين ، وأحمد صدقى ، وأحمد رفعت عندما اجتمعوا ، ولأول مرة ، لمناقشة موضوع البحث الذى قدمته ، عن بناء المعمارى المصرى الذى قُبل فى مؤتمر اتحاد المعماريين الدولى – الذى عقد فى باريس عام ١٩٦٥ – وترجم إلى لغات المؤتمر .. وذلك بعد أن اعترض عليه قسم العمارة بجامعة عين شمس لأنه رأى فيه نقداً للحركة المعمارية ، وللمناهج التعليمية السائدة فى مصر .. وقال بالحرف الواحد ، هذا هو أول عمل علمى يتعرض للحركة المعمارية المعاصرة فى مصر بصدق وعمق ، فكيف يمكن الاعتراض عليه .. وفى النهاية وقع مع الحاضرين إقراراً بأهمية الموضوع وضرورة حرية الفكر ، فكان له تأثيره النفسى والمعنوى الذى لازمنى دائماً .

دائما مايخلط حسن فتحى حديثه بالقصص الشيقة تهكماً على وضع من الأوضاع التى لاترضيه ، ومنها موضوع اتخاذ القرار فى الدول النامية ، وعن ذلك يقول :

« يُحكى أن فيلسوفا عربيا مخضَرماً معاصراً قال عن رصيد الغباء ورصيد الزمن لدى الإنسان الذى يعمل فى وظيفة وكيل وزارة فى بعض البلاد النامية – لو قلبت الأوضاع وصرف الزمن الطويل – الذى تأخذه عملية اتخاذ القرار بنعم أو لا بمجرد شطب إحداهما عند القيام بدارسة

مشروع عمرانى خطير – على عمليات تنفيذ المشروع لزالت أعراض مرض اسمه « الحاجة الملحة » الذى يصيب كل المشروعات ، والذى انتشر أخيراً بصفة وبائية ، ومن أعراضه الثانوية « العجلة المخلة » وموت المشروعات » .

روى عن هذا الفيلسوف القصة التالية :

« كان هناك أمير من أمراء خراسان اسمه الأمير « مسكاف » قال له العّرافون إنه سيموت بعد عام واحد من تاريخه بالتمام . ولم يكن هذا الامير قد تزوج ، لأنه كان دائم التردد فى الاختيار ، ويصعب عليه اتخاذ القرار بنعم أو لا . ورغبة من هذا الأمير فى أن ينجب وليا للعهد قبل أن يموت ، فقد أخذ يبحث عن الفتاة التى تصلح زوجة له ، تجمع بين المال والجمال اللذين يليقان بمقامه الرفيع . وكان كلما أحضروا له بنتا يجد فيها عيباً ما .. ونسى فى غمرة عملية اتخاذ القرار عامل الزمن ، ولم يتنبه الأمير إلا بعد أن كان قد بقى له ستة شهور فى هذه الحياة ، وبذلك بدأت تظهر عليه أعراض مرض « الحاجة الملحة » ، وقرر أن يتزوج أى بنت والسلام .. وطلب البنات اللاتى عُرضن عليه من قبل .. ولكنهن كن قد تزوجن جميعا وحملن .. فحصل عنده كدر شديد ، ترتب عليه ظهور أعراض مرض « العجلة المخلة » . وكان من جراء ذلك أنه قرر أن يتزوج البنت الوحيدة فى السوق .. وكانت مثل القردة من نوع الشمبانزى (أستغفر الله) وكانت مخصابه كالقرود .. ففرح الأمير بعد أن تزوجها بانتفاخ بطنها ، الذى أخذ يزداد فى كل يوم ، ولما قربت نهاية العام المحدد لحياته ، وجد أنه سيموت قبل أن تضع امرأته مولودها بثلاثة أشهر ، فقرر إزاء « الحاجة الملحة » أن يستخرج المولود من بطن أمه فى شهره السادس ، لكى يوليه وليا للعهد .. وكان أن عمل عملية سيزريان (قيصرية) لزوجته ، والنتيجة طبعا معروفة مقدما » . ويستطرد حسن فتحى قائلا ه « والعاقبة عند وزارة الإصلاح الزراعى فى المسرات » .

وروى عن هذا الفيلسوف أيضا القصة التالية :

« كان هناك عالم كيميائى مشهور بفقدان الذاكرة .. فقرر أمير البلاد أن يضعه فى وظيفة كبيرة من وظائف الحكم .. وكان هذا العالم قد سمع بمرض « الحاجة الملحة » السالف الذكر ، ومضاعفاته الثانوية من « العجلة المخلة » ، وماحدث للأمير مسكاف ، فأخذ يجرى البحوث لإيجاد الدواء الذى يحميه من الإصابة بداء « العجلة المخلّة » . وبالبحث الطويل اهتدى إلى المعادلة التى تقول :

عجلة = ندامة + تأنى = سلامة × ١٠^-٩ يشرب من محلولها مرة واحدة ، ويقفل عليها المخ فتزول احتمالات الاصابة « بالعجلة المخلة »

ومضاعفاتها ، وكان أن تزوج هذا العالم من بنت حلوة بخلاف الأمير مسكاف .. وكانت زوجته هذه أيضا مخصابة فحملت بسرعة ، ولكنه أصبح قلق البال خائفاً ، حيث أن أمير البلاد (غير الأمير مسكاف) كان قد قرر أن يفصل أى موظف مهما كان مركزه كبيرا فى الدولة ، إذا أنجب بنتاً ، لأن عدد البنات أصبح كبيراً ويزيد عن عدد الذكور عشرة أضعاف وليس لهن من يتزوجهن .. فلما وجد العالم بطن زوجته الجميلة يكبر تولاه الخوف من أن تكون حاملا فى بنت . وتذكر المعادلة التى تقول :

تأنى = سلامة + عجلة = ندامة × ١٠^-٩ فقرر تطبيقها على زوجته الحامل بأن يؤجل نزول المولود (بعكس الأمير مسكاف) . فلما جاءها الطلق ، وتفتحت عظام الحوض ، حتى ينزل المولود ، كان يدفعه إلى الداخل ثانية ، إلى أن زالت عن زوجته حالة الولادة وقفلت هيكلها العظمى على المولود ، وأخيرا اختنق ومات وفضل (بقى) ببطن أمه تسعة أشهر أخرى . يقول حسن فتحى – الطلق كان فى أبريل ١٩٦٤ والولد لم ينزل للآن (موعد كتابة هذه القصة) فى ٩ سبتمبر ١٩٦٥ ، ولم يزل هذا العالم خائفا رغم إيمانه العميق بمعادلة التأنى والندامة ، فإن الأم قد هضمت الجنين ولكنها لم يمكنها هضم هيكله العظمى ، وأجرى لها عملية لإخراج هذا الهيكل الذى اتضح أنه كان لولد ذكر ، ففصله الأمير لحرمان البلد من الحصول على ذكر ، وأصيبت زوجته بالعقم والذهل . ويقول حسن فتحى هنا – والعاقبة عند وزارة التعليم العالى ومعهد أبحاث البناء ، لأنهما مصابان بالعقم الطبيعى من الأصل ، فلاحاجة للخوف أو القلق ، ومع الأسف بلغنا حديثا أن أهل الزوجة طلقوها من زوجها ثم يقول – وفى أكتوبر ١٩٦٥ ألغيت وزارة البحث العلمى . » .

ولايمكن استكمال التعرّف على شخصية حسن فتحى إلا من خلال مراسلاته وكتاباته إلى المسئولين ، بعد أن سجل قصته مع قرية القرنة الجديدة ، وترك مصر للعمل فى مؤسسة دكسيادس باليونان عام ١٩٥٩ ، ولمدة عامين قام فيهما بإجراء عدد من البحوث العلمية والدراسات التخطيطية لبعض مشروعات المؤسسة فى العراق والجزائر . وقد توطدت العلاقة بين حسن فتحى ودكسيادس الذى حضر إلى مصر بعد ذلك عام ١٩٦١ ، لحضور ندوة المدينة العربية التى نظمتها إحدى المؤسسات الثقافية الأمريكية . وكان دكسيادس فى هذه الفترة يسعى إلى إنشاء معهد للدراسات الريفية . هذا فى الوقت الذى ظهرت فيه حركة علمية فى مصر ، تسعى إلى إعادة بناء القرى المصرية ، وعقدت من أجلها الندوات والمؤتمرات . فى هذه الأثناء لم يعزل حسن فتحى نفسه عن الأحداث العلمية ، التى كانت تجرى فى مصر .. وانتهز لذلك كل الفرص للاتصال

بالمسئولين عن البحث العلمى والتعليم واستصلاح الأراضى وهو فى سن الستين .. فكتب إلى رئيس الاتحاد القومى ، ووزير الإدارة المركزية ، عارضا عليه تجاربه بخصوص إنشاء أسقف اقتصادية للإسكان الريفى والأبنية المدرسية ، وطالبا إحالته لإدارة الاشغال العسكرية لتنفيذه مع العميد المهندس جمال عبد الرحمن . وفى عام ١٩٦٠ كتب إلى سكرتير عام المجلس الأعلى للعلوم ، شارحاً مناهج الدراسة فى معهد أثينا للتكنولوجيا – دكسيادس – لإعداد المخططين . ويقترح فى خطابه إنشاء معهد للدراسات الريفية فى مصر ، بالتعاون مع مؤسسة دكسيادس ، مضيفا إلى ذلك اقتراحات أخرى بإنشاء مشروعات ثقافية فى العمارة والفنون الشعبية . ويعرض حسن فتحى بعد ذلك أن يكرّس كل وقته وجهوده لخدمة هذه المشروعات بنفسه . وفى نفس الوقت يرسل خطابا إلى وكيل وزارة التربية والتعليم ، مع ملخص عن نشاط مؤسسة دكسيادس فى مجال التعمير الريفى والأبنية المدرسية . ولم يخرج من هذه الاتصالات لصالح مؤسسة دكسيادس بأى شيء .. ورجع إلى مصر ، وعاود اتصالاته بالمسئولين عن الثقافة فى مصر ، ومنهم الدكتور ثروت عكاشة الذى كلف مجموعة من الفنانين ، وبينهم حسن فتحى ، بزيارة قرى النوبة قبل انتهاء بناء السد العالى ، وكذلك مواقع القرى الجديدة فى كوم امبو لتهجير أهالى النوبة إليها . وكتب حسن فتحى تقريره عن هذه الزيارة ، وانتهز الفرصة ليقدم أفكاره تفصيلا بخصوص بناء القرى الجديدة ، بالمساهمة الذاتية لأهالى النوبة المنقولين إليها ، وفى إطار تخطيط محلى واقليمى للمنطقة ، ووضع برنامجا للقيام بهذا العمل الكبير . وينهى مذكرته بقوله إنه يضع نفسه تحت تصرف

صورة تذكارية فى أثناء انعقاد ندوة المدينة العربية فى القاهرة (١٩٦١ م) – حيث يستمع كل من المهندس الراحل دوكسيادس والمهندس حسن فتحى إلى كلمة الدكتور عبد الباقى إبراهيم .



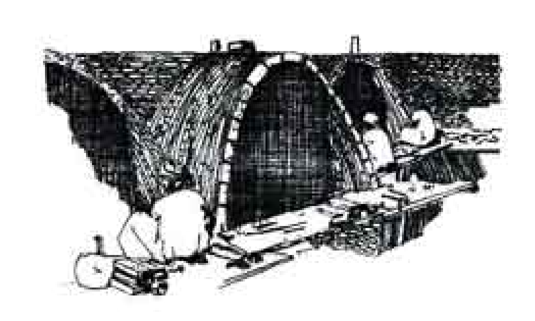
المسئولين ، للقيام بالواجب المقدس فى بناء جمهورية القرن الواحد والعشرين . ويدعو إلى تسخير العلم لتحقيق الاشتراكية التعاونية فى البناء . ولايقف عند هذا الحد ، بل يستأنف الكتابة إلى رئيس مجلس إدارة المؤسسة المصرية للمقاولات عن الإجراءات التى اتخذت فى مشروع تهجير أهالى النوبة ، وموضحا اتصالاته بمؤسسة فورد من ناحية ، وبمحافظ أسوان فى ذلك الوقت (١٩٦٢) من ناحية أخرى ، ويقترح ، مرة أخرى وبالتفصيل ، إنشاء معهد للدراسات الريفية ، وذلك إضافة إلى اقتراحه بإنشاء معهد لدراسات الفنون الشعبية ، ولايتوقف عن الكتابة بعد ذلك إلى محافظ أسوان ، بخصوص تخطيط امتدادات قرى دار السلام والسلسلة ودراو ، وهى مشروعات كان قد تعاقد عليها ولكن العقد ألغى بعد قليل من قبل مديرية الإسكان بالمحافظة . وينهى خطابه قائلا : إنى أنتهز هذه الفرصة ، لتأكيد سرورى لتقديم خدماتى لمحافظتكم ، التى أعتبرها آخر معقل من معاقل العمارة الأهلية ، هذا إذا كانت سياسة وزارة الإسكان لم تعد تتعارض مع الطرز الأهلية وطرق الإنشاء التقليدى - وهكذا لاتتوقف نغمة التهكم حتى فى كتاباته إلى المسئولين . وقام حسن فتحى بإجراء بعض الدراسات التخطيطية للقرى الثلاثة المتعاقد عليها ، أنهاها بقوله : أمام هذه البيانات ، وإذا لم تكن هناك دراساتٌ أخرى تفيد بعكس ذلك ، فإنه سيصبح مخالفاً للأمانة العلمية ، أن أتولى القيام بعمل تصميمات لامتدادات القرى الحالية . الأمر الذى سيؤدى إلى زيادة حالة اختلال التوازن الاقتصادى الديموغرافى . وعندئذ فإنى على استعداد لقبول إلغاء العقد المبرم بين مديرية الإسكان وبينى ، بدون أى التزام للمديرية - وهكذا يصر حسن فتحى على آرائه ، ويلتزم بالأمانة ولايهادن فيها . وهو هنا لايحاول المواءمة بين فكره الخاص وآراء الآخرين ، الأمر الذى أفقده كثيراً من المشروعات كان يمكن أن يخرج منها بحصيلة كبيرة من المحاولات المعمارية ، وإن كان مرتبطا باتجاه واحد لايريد الحياد عنه .

فى مارس عام ١٩٦٣ م كتب إلى رئيس الجمهورية فى مصر قائلا « .. وأعلم علم اليقين ، من سابق خبراتى العملية ، بأن لاأمل لهم (يقصد المحرومين من الإسكان فى أفريقيا وآسيا) فى الخلاص مما هم فيه ، من بؤس وتخلف فيما يختص بالسكن ، إلا داخل سياستكم الاشتراكية التعاونية ، بل وفى شخصكم أنتم وحدكم .. » واستطرد فى خطابه متحدثا عن الاستعمار ، وماصنعه فى أفريقيا ، وطالب بتصدير الخبرات الفنية المصرية إلى البلاد الافريقية وغيرها ، أسوةً بالبلاد الغربية التى احتكرت الميدان .. وبعد ذلك أخذ يمهد لفكرة إنشاء معهد عال للاستيطان الريفى والبناء بالجهود الذاتية ، بدلاً من نظام البناء الجاهز الذى اقترحته وزارة الإسكان

أسلوب بناء قبو باستخدام الطوب الأخضر .



ملء فراغات أول مدماك كامل بالعقد .



– وجه العقد المائل يدعم المداميك التالية .

لتعمير الريف . الأمر الذى تسبب فى إيقاف مشروعات تجريبية لإعادة بناء ثلاث قرى فى محافظة أسوان . وأخذ يهاجم نظام البناء سابق التصنيع ، ويدعو لفكرة البناء بالمواد المحلية ، وأخصها الطوب الأخضر ، الذى وهبه الله سبحانه وتعالى بالمجان للجميع ، وينطبق عليه قول الفيلسوف الصينى لاوتسى – كما يقول حسن فتحى فى خطابه لرئيس الجمهورية فى ذلك الوقت :

إن أطيب الطيب ماكان كالماء
يعم نفعه الجميع ، ويذهب دون تذمر
إلى مايحتقره الإنسان من مكان

واستطرد قائلا « ولكن للأسف أخذ البعض قول سيادتكم بضرورة الارتفاع بالسكن فى الريف على مستوى الأكواخ الوضيعة ، التى تتكون منها معظم قرانا على أنها دعوة لإلغاء مادة الطين من قاموس الهندسة » ويقول « وما التصنيع السابق إلا نوع من إعطاء المدن جاهزةً للشعب وحرمانه من التثقيف إلى حد كبير .. إننا يا سيدى الرئيس إذا ما تخلينا عن إعطاء المثل العملى فى تطبيق النظام التعاونى الاشتراكى فى البناء لباقى الأمم الناهضة ، سنكون قد تخلينا عن دورنا القيادى فى تطوير وتحرير قارتنا ، وسنكون قد ساعدنا على **إطلاق الحرية للجهاز الاستعمارى** ، الذى يتفوق علينا فى ميدان التكنولوجيا التجارية ، للعمل فى الميدان الذى اختاره هو للنزال ... إن الموقف يتطلب منا أن تراجعَ برامجُ التعليم الهندسى الجامعى ، وما تحته ومافوقه على مستوى التخصص ، فإن برامجنا الحالية خاليةٌ من دراسة العمارة الأهلية والريفية . ولذا فإن كل الجهود التى تصرف فى هذه الناحية تقابل بالصدود من قبل الكثير من الإدارات » . ويوقع حسن فتحى خطابه كرئيس قسم العمارة بكلية الفنون الجميلة سابقا .. وهكذا يظهر انفعاله بالأحداث ، وسعيُه المستمر بكل وسائل الاتصال لإيصال رسالته للمسئولين على كل المستويات دون هوادة أو استكانة .

وفى يناير عام ١٩٦٤ كتب حسن فتحى إلى رئيس الجمهورية قائلا فيما كتب « ... إن الخسارة الثقافية ، من جرّاء استعمال النموذج الموحد (فى الاسكان) ، باعتبار الخلق والابتكار فى التصميم المعمارى ، تساوى قيمة تكاليف كل المشاريع ، ناقصا قيمة منزل واحد ، الذى هو النموذج .. وهى خسارة تقدر بمئات الملايين من الجنيهات ، كان يجب أن تستثمر فى إثراء الثقافة الأهلية» وقد كتب ذلك معارضا لمشاريع المساكن الجاهزة .

وفى إحدى الندوات العلمية عام ١٩٦٦ كتب حسن فتحى يقول فى بداية الورقة التى قدمها .. « المطلوب الآن عند عرض موضوع الإسكان

على المهندسين وأعضاء الاتحاد الاشتراكي : أولا : قراءة التقريرين المقدمين منى للمؤسسة العامة للمقاولات بعناية . ثانيا : التعرّف على هوية السيد المسئول فى المؤسسة صاحب عبارة « ياأنا ياهوّ » الذى اعترض على ترشيحى مستشارا فنيا للمؤسسة » .. وهكذا كان لحسن فتحى العديد من المواقف المرحة ..

ويخرج حسن فتحى من مشروع ، ويدخل فى آخر فى محاولات مستمرة .. هذه المرة يكتب عام ١٩٦٨ عن تنظيم عملية إنشاء نماذج بالحجر ، لمشروعات الإسكان بالمناطق الساحلية ، موجها تقريره إلى رئيس اللجنة الفرعية للبناء والإسكان بالمجلس العلمى الاستشارى للدراسات الاستراتيجية القومية . ويشير فى مقدمة التقرير إلى تكليف مكتب إستشارى من قبل وزير السياحة ، بإنشاء قرية سياحية فى الساحل الشمالى ، ولكن لم يتحقق المشروع بالصورة التى أرادها حسن فتحى ، والذى كان يرى فيه نمطاً لتعمير القرى فى الساحل الشمالى .. ويستطرد حسن فتحى قائلا : إنى لاأخفى على سيادتكم بأنى لم ألق من المسئولين عن التعمير وبحوث الإسكان أى رغبة للنظر فى البحوث السابق التقدم بها لمختلف المجالس العليا للبحث العلمى ، ثم يعود فيقول « أرجو بحث موضوع الإسكان فى المناطق الساحلية ككل .. وأكون سعيداً إذا تفضلتم بقيام المجلس بدراسة مشروع بحث قرية باريس الإرشادى الجارى تنفيذه بالواحات الخارجة » .. وفى نهاية التقرير يتهم أنظمة البحث العلمى فى الإسكان بالفساد .. ويظهر ذلك بالأسلوب العنيف الذى اتصف به حسن فتحى فى مكاتباته .

وكثيرا ماكان حسن فتحى يصطدم بالمسئولين فى الإدارات الحكومية ، الذين يسميهم الميرى .. عند مناقشة مشروع بناء إسكان المتضررين من طريق قرية ميت النصارى بواسطة وزارة الشئون الاجتماعية ، اعترض حسن فتحى على اقتراح المهندس الراحل لويس عطا الله مدير عام الإسكان بوزارة الشئون البلدية والقروية ، باستعمال الطوب الأحمر بدلا من الطوب الأخضر للإسراع فى إيواء منكوبى الحريق . فقد ثار حسن فتحى وتقدم بمذكرة إلى اللجنة المختصة قائلا : « إن من المحقق أن مشروع تعمير قرية ميت النصارى قد يعطينا فرصة هامة ، لتحقيق الأفكار التقدمية الواقعية باشتراك الأهالى مع الحكومة » . وقدم حسن فتحى كل البيانات الخاصة باقتصاديات البناء بالطوب الأخضر من واقع تجربة القرنة ، واستطرد قائلا « وعلى العموم أضع نفسى تحت تصرف اللجنة ، أما إذا تغيرت الأوضاع فلن يكون هناك أى حاجة لوجودى باللجنة ... » وهكذا يصر حسن فتحى على الدعوة لفكرة البناء بالطوب الأخضر فى كل المناسبات التى تستدعى ذلك ،

سقط أفقى لجزء من قرية باريس بواحة الخارجة (١٩٦٧ م) .



وتوقف مشروعه لتعمير قرية ميت النصارى ... وفى عام ١٩٦٤ تعاقد مع مؤسسة تعمير الصحارى لتصميم والاشراف على تنفيذ المشروع الإرشادى لمركز تعمير باريس بالوادى الجديد . ولكن للأسف - كما يقول حسن فتحى فى مذكرة رفعها إلى رئيس مجلس الشعب فى مايو ١٩٧٢ - « إنه بعد أن بدأت النتائج الطيبة والمقنعة لما صار تنفيذه ، وماظهر لجميع الهيئات المحلية والدولية ، قامت فوراً قوى الهدم التى عودتنا عليها المنظمات السرية فى إيقاف كل عمل ناجح على مستوى البلد حتى أوقفت المشروع ، متذرعة بحجج واهية بها مغالطات كبيرة ساذجة » .. ثم هاجم الموظفين بالهيئة .. وقال : « ولما رأوا اهتمام السادة المسئولين بالمشروع ، ولإيقاف تيار الوافدين لزيارته من الخبراء المحليين والأجانب ، فقد عمدوا إلى حيلة واهية لمنع الزيارات ، فأقاموا فى قرية باريس معتقلا لمهربى المخدرات » .. ثم طالب حسن فتحى مجلس الشعب بإعادة النظر فى قرارات هيئة تعمير الصحارى بإيقاف المشروع .. وبهذا الإصرار ، وهو فى الثانية والسبعين من عمره ، بالرغم من كل المعوقات التى يقابلها من وجهة نظره الخاصة . وللأسف فإن وجهات النظر الأخرى لاتتوفر إلا فى الملفات الرسمية .. وهكذا كان جهاد حسن فتحى لأداء رسالته مهما كانت وجهات النظر الأخرى وموقفها من هذه الرسالة .

لقد أتيحت الفرصة ذات مرة لحسن فتحى أن يقوم بتصميم قرية السادات بمحافظة أسوان ، لتهجير أهالى الجزر ، حيث استقر رأى الهيئة العامة لبحوث الإسكان والبناء والتخطيط العمرانى على ذلك عام ١٩٧٨ . ويقول رئيس الهيئة فى ذلك الوقت الدكتور مصطفى الحفناوى فى تقريره لوزير الإسكان ، الجدير بالذكر أن الأسلوب الذى تقترحه الهيئة بالاتفاق مع المهندس حسن فتحى لإنشاء هذه القرية قد لاتقبل عليه شركات المقاولات ، ونرى ضرورة اشتراك الأهالى فى عملية البناء ، ويكون فى ذلك مجال للتدريب . ووافق الوزير مع توجيهاته إلى « السيد وكيل الوزارة لإعداد خطاب للهيئة ولأستاذنا المهندس الكبير حسن بك فتحى بتقديرنا العظيم لتفضل سيادته بمعاونة الوزارة فى حل هذه المشكلة القومية » . وبعد ذلك قام خبراء الهيئة وحسن فتحى بزيارة الموقع ومواجهة المواطنين بأهداف المشروع .. وكانت الهيئة قد طلبت بعد موافقة السيد الوزير أن يتم التعاقد بينها وبين حسن فتحى ، لمعاونتها فى تنفيذ تصميماته ، لكنه ظهر بأسلوب آخر ، حيث كتب إلى رئيس الهيئة قائلا : « لما كنا بصدد إنشاء المعهد الدولى للتكنولوجيا المتوافقة - وهو لايزال فكرة - وقد صار الحصول على موافقة العديد من رجال العلم البارزين من بعض الجامعات الأوروبية والأمريكية ، المتخصصين فى الدراسات البيئية والاستيطان ،

الذين رحّبوا بالاشتراك فى هذا المعهد .. فإن مشروع قرية السادات ليهيىء الفرصة لقيام هذا المعهد » .. وهكذا سحب اختصاصات هيئة بحوث الإسكان والبناء والتخطيط العمرانى إلى معهد يزعم إنشاءه .. ثم يستطرد قائلا « إن القلق بدأ يدب فى النفس بشأن جدية المشروع أو عملى بالمشروع على الأصح » وهكذا يبدأ بالخلافات الإدارية أو التعاقدية ، حتى يستحوذ على المشروع لما يسميه المعهد الدولى للتكنولوجيا المتوافقة ، الذى لم يكن له وجود على الإطلاق إلا فى أوراقه . هذه صورة من أسلوب حسن فتحى في التعامل مع الإدارة المصرية التى كان يحملها كل أسباب الفشل دائما ، حتى ولو كانت متجاوبة تماما معه ، كما كان الحال بالنسبة للهيئة العامة لبحوث الإسكان والبناء والتخطيط العمرانى .

ولايتوقف حسن فتحى عن الكتابة فى كل مايعنّ له من فكر .. فعندما ظهر مشروع مجمّع الأديان فى سيناء كتب إلى رئيس الجمهورية يقول فيها .. « وبالنسبة إلى مشروع سيناء فإنه تجب المبادرة بالقول بأن أهم الصفات التى يجب أن يتسم بها ماسيقام فيه من مبان ريفية لها صفة الصدق .. الصدق للعقيدة فى كل من الأديان الثلاثة – الإسلامية والمسيحية واليهودية – باعتبار النواحى الرمزية والتعبير بالشكل عن الوجدان .. » وفى النهاية طالب بعقد ندوة من علماء الأديان الثلاثة ، ليتناولوا بالبحث والدراسة أصول العمارة المقدسة ، لتكون بداية لمشروع مجمع الأديان ومن ثم لتعمير سيناء .. ولم يتم المشروع الذى كان دعوة سياسية ، قبل أن يكون دعوة واقعية .. ومع ذلك فقد كان حسن فتحى مؤيداً لمثل هذا المشروع .

ويستمر حسن فتحى يلاحق المشروعات المعمارية عند كل الجهات ، إذ تقدم فى عام ١٩٨٢ وهو فى الثانية والثمانين من عمره ، بمذكرة إلى وزارة الخارجية ، وممثل الأمم المتحدة فى القاهرة ، يعبر فيها عن فكره المعمارى الذى يتناسب مع مشروع استراحة الخبراء الأمريكيين بقرية نواى بالمنيا .. طالبا الموافقة على ملخص الفكرة التى عرضت فى المذكرة ، وإبرام العقد بين الهيئة المتخصصة والمعهد الدولى للتكنولوجيا المتوافقة الذى ظل حسن فتحى يحلم بإنشائه منذ بداية السبعينات .. هذا فى الوقت الذى سعى فيه نور الدين دوركى المسلم الأمريكى إليه ليساعده فى بناء المركز الإسلامى فى « أبيكيو » فى جنوب أمريكا الشمالية .. وقد نقل حسن فتحى المعلم والبنّاء إلى هناك ، للمساعدة فى تدريب العمالة المحلية ، وتم بناء المسجد والمدرسة كنواة للمدن الإسلامية الجديدة .. وكان لنور الدين دوركى بعض الملاحظات على تجربة حسن فتحى ، وبدأ فى البحث عن أسلوب آخر للبناء

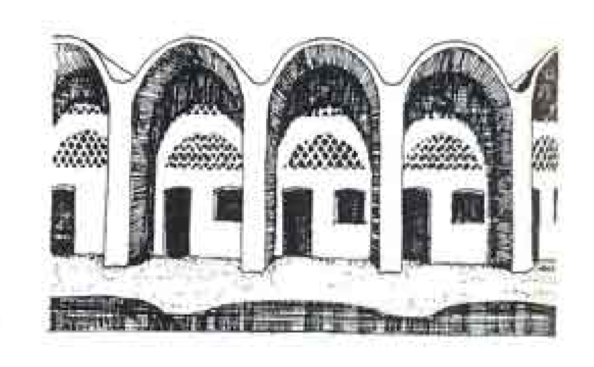
هكذا كانت شخصية حسن فتحى ، التي ظهرت أبعادها الأخرى من خلال التعامل مع الجهات المختلفة ، مركزاً على ذاته ، مصراً على رأيه وفكره ، محملا غيره كل أسباب الفشل مقيداً بأسلوبه فى البناء بنفس المنهج ، ونفس المادة ، ونفس عامل البناء .. ولى أى جهة من العالم . هكذا كان كاتباً ومحارباً ومهاجماً وناقداً ، وهذه بعض أبعاد شخصيته ، التى اشتهر بها على المستوى العالمى .

حسن فتحى فى عيون المعماريين

تختلف الرؤية بالنسبة لحسن فتحى عند المعمارى العربى عنه عند المعمارى الغربى . وإذا كان حسن فتحى قد نال اهتماماً كبيراً من المعماريين فى الغرب ، الأمر الذى ظهر فى نشر أعماله فى المجلات المعمارية الفرنسية والانجليزية والإيطالية واليونانية والأسبانية وغيرها ، أو مانشر عنه من كتب ألفها هو أو كتبت عنه باللغة الأجنبية ، فهو لم ينل مثل هذا الاهتمام من بنى عشيرته وأهله فى مصر أو العالم العربى إلا مؤخراً ، وعلى نطاق ضيق جداً حتى كاد يُنسى وتنساه الأجيال الشابة من المعماريين العرب .

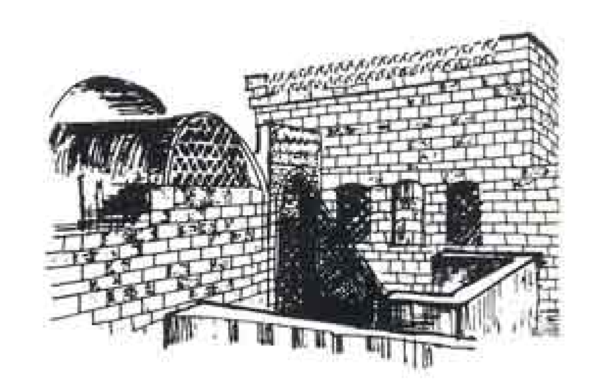
يقول « سيرجيمس رتشاردز » – الذى كان محرراً للمجلة المعمارية ARCHITECTURAL REVIEW لمدة طويلة – فى كتابه عن حسن فتحى « إنه فى الستينات عندما أصبح حسن فتحى شخصية عالمية ، كان الرأى العام السائد ، أن مايقام فى الغرب من عمارة يعتبر دخيلا على البيئة العمرانية والحضارية للمدن ، وذلك بعد فترة من الزمن تمتد من الخمسينات حتى الستينات ، ارتبطت فيها القيم الإنسانية بالكشف عن آفاق جديدة فى الفكر والتكنولوجيا . وبعد ذلك ، اكتشف أهل المدن بالغرب أنهم كانوا ضحية قوى مختلفة ، لم تستطع أن تحدثهم بلغتهم ، أو تتجانس مع بيئتهم الحضارية أو العمرانية ، وذلك بعد فترة الثلاثينات ، التى لم يكن البعض فيها مستعدا للفصل بين دور البناء كخدمة إجتماعية ، واستعمال الوسائل التقليدية لإحياء الطرز التقليدية . من هنا اتضح الالتقاء بين فكر حسن فتحى ، الذى بدأ يظهر على الساحة الدولية فى الستينات والرأى العام المعمارى ، الذى ملأ الحركة المعمارية الحديثة السائدة فى الغرب ، بالرغم من أن الأعمال التى عرف بها حسن فتحى دوليا ، ونشرت له فى عام ١٩٦٩ كانت قد أنشئت فى الأربعينات .. من هنا كان تقدير الغرب لفكره المتقدم » .

وفى نفس الوقت يقول « سير رتشاردز » « إنه من الخطأ إعطاء حسن فتحى مكاناً مركزيا فى تطور العمارة المعاصرة ، فمفرداته المعمارية ظلت محدودة ، كما أن طرق البناء التى أعاد اكتشافها ، قد طبقت فى عدد محدود من المشروعات فى الإسكان الريفى وبعض المساكن الخاصة ، التى تعتبر هى كل حصيلته فى البناء ، ومع ذلك فإن ارتباط حسن فتحى بالعمارة



السوق فى قرية القرنة الجديدة – الأقصر – (١٩٤٦ – ١٩٥٣ م)

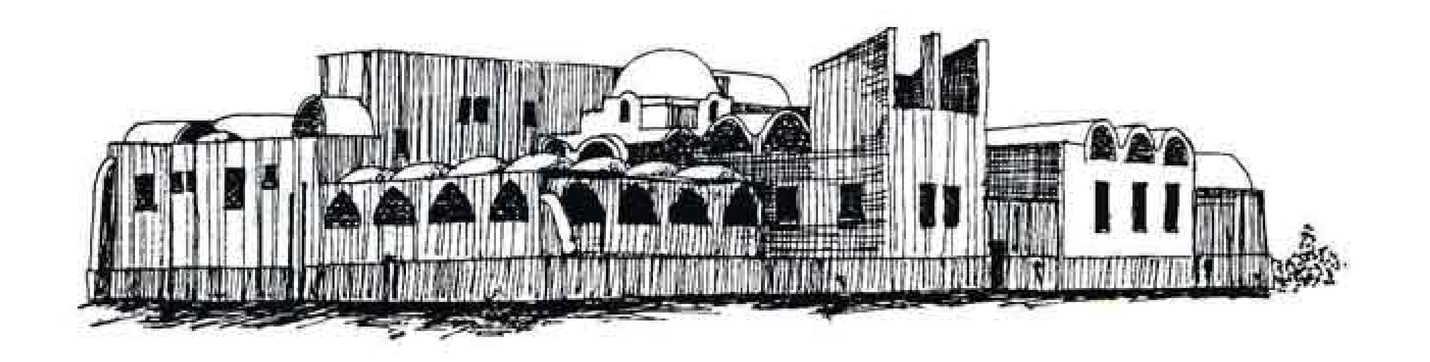
استخدام الحجر فى أعمال المعمارى حسن فتحى منزل فؤاد رياض بالجيزة (١٩٧٣ م)



الريفية ، فتح أمام الغرب رؤيا جديدة ، لإمكانية تطبيق أساليبه فى مشروعات ريفية أخرى ، فى أفريقيا وآسيا أو أمريكا الجنوبية ، حيث توجد جذور متشابهة فى العمارة الريفية ، ليست واضحة فى العمارة الحضرية . لقد كان حسن فتحى فيلسوفا ومعلما فى نفس الوقت ، ويمكن اعتبار أعماله القليلة مورداً خصبا لفكر متجدد ، يحاول أن يتعامل مع مواد البناء المتوفرة فى البيئة ، بما يتناسب مع الإمكانيات المتاحة وحاجات السكان ، مع توفير أنسب الظروف المناخية لمعيشتهم ، وذلك بدلا من استيراد تكنولوجيا الغرب التى لاتتناسب مع الواقع المحلى » .

ومن وجهة النظر المصرية التى يعرضها الدكتور اسماعيل سراج الدين – المقيم فى الولايات المتحدة – عن حسن فتحى فى كتاباته يقول : « إن حسن فتحى يعتبر الشخصية البارزة فى العمارة المصرية فى القرن العشرين . كما أنه شخصية متعارضة ، فبينما تأثيره واسع التقدير لكنه غير مفهوم بالرغم من طول مدة تواجده فى الصورة لمدة ستين عاما ، فقد كان طوال هذه المدة على هامش النشاط المعمارى والتعليمى فى مصر ، كذلك عند اتخاذ القرار فيما يتعلق بالشئون الحضرية ، لكنه وبإصراره كان يتحدى معظم المسئولين عن نشاط التعمير . فقد كانت قوته فى مبادئه أكثر مما هى فى مبانيه . فباستثناء القرنة التى تعتبر من أهم أعماله فإن قليلاً جداً من أعماله معروفة للعامة . ومع ذلك فاسمه ومبادئه واسعة الانتشار ، ولعل أهم رسالة لحسن فتحى هى الجوانب الإنسانية ، التى تفوّق بها على غيره ، وماصحب ذلك من فكر واضح مع شجاعة فى التعبير ، وإصرار على المبدأ . فكان يرفض كل عمارة لاترتبط بالموقع أو بثقافة المنطقة ، وهو مايظهر فى العمارة التقليدية بجانب احتياجاته البيئية ، وهو بذلك يرفض العالمية المستمدة من تكنولوجيا واحدة ، كما يرفض تغريب التراث الحضارى ، الذى يعتبره جزءاً من ذاتيته ، فالعناصر الغريبة فى بناء البيئة المتجانسة يمكن أن تولد تناقضات تعمل مع الوقت على اضمحلال التراث الثقافى . وهو لايرفض ما يناسبه من الغرب كالأساليب العلمية لقياس الكفاءة الاستيطانية أو التكاليف أو الطاقة أو خصائص المواد أو العلاقات المناسبة بين الفراغات والحجوم . » .

استراحة جرف حسين – النوبة (١٩٨١ م) .



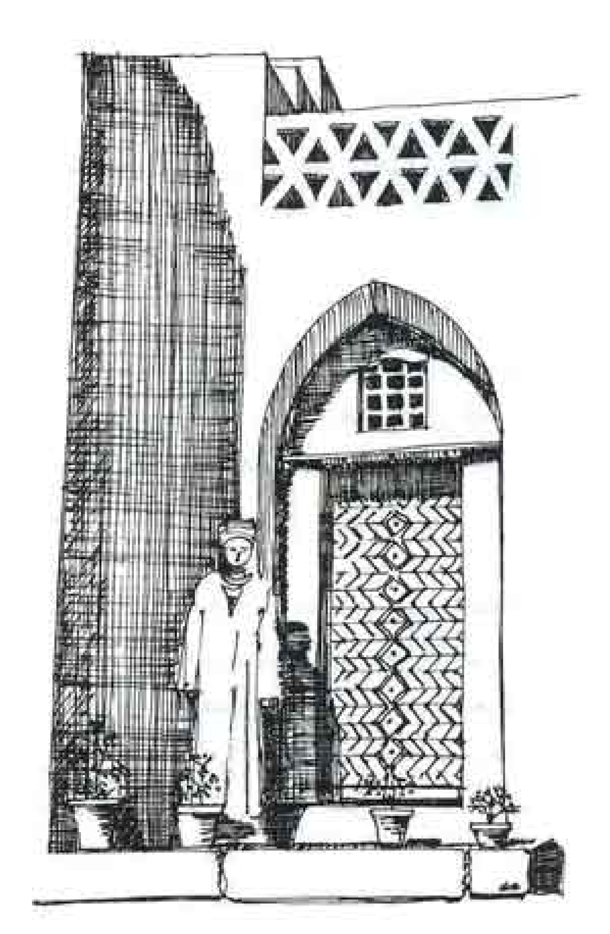
ومن أساسيات فكر حسن فتحى كما يقول الدكتور اسماعيل سراج الدين ، « مشاركة السكان فى بناء مساكنهم ، مع إتاحة الفرصة أمام الفلاح للتعبير عن حاجاته واحتياجاته عند تصميم المسكن ، الأمر الذى يوفر التفرد فى العملية التصميمية . وهو يعارض البيروقراطية والنمطية فى مشروعات الإسكان ، وكان يشبه ذلك بأن أعظم جراح فى العالم إذا أعطى مئتا عملية لإجرائها فى اليوم الواحد فإنه بالتأكيد سوف يقضى على حياتهم جميعا . وعلى المعمارى ألا يتعامل إلا مع عدد محدود من الوحدات والمستفيدين منها » .

« لقد كان اهتمام حسن فتحى منصبا على عمارة الفقراء ، حتى أصبح من أكبر الداعين إلى هذه الرسالة فى السبعينات والثمانينات ، فانتشرت فى عدد كبير من جامعات العالم دون الجامعات المصرية ، التى استمرت منعزلة عن تيار هذا الفكر . وقد حسر حسن فتحى الاستمرارية لمبادئه لميله نحو الرومانسية ، والفهم الخاص بالحضارة الإسلامية مع التفرقة الحادة بين الشرق والغرب . هذا فى الوقت الذى يعيش فيه مريدوه من المعماريين فى خضم الحضارة الغربية بكل أبعادها ، وبذلك وضع حسن فتحى نفسه فى نطاق ضيق ، عندما يقول إن المساكن ذات الفناء الداخلى هى العمارة الإسلامية ، مع أن ذلك لاينطبق على عمارة اليمن مثلا ، التى تختلف عن ذلك بأبراجها العالية ، كما لاينطبق على عمارة الرّبع ، الذى يسكنه عدد كبير من السكان فى الأحياء القديمة من القاهرة الإسلامية . كما اقتصرت دعوته لعمارة الفقراء على الريف فقط ، ولم تمتد هذه المبادىء إلى عمارة الفقراء فى الحضر ، بمشاكلها المختلفة ، هذا بالإضافه إلى أنه لم يتعرض بفكره للمبانى الإدارية أو حركات المرور والتكنولوجيا المتقدمة » . ويستطرد الدكتور اسماعيل سراج الدين قائلاً « إن أهم النقائص فى أعمال حسن فتحى هى ابتعاده عن البحث فى المواد الجديدة للقرن العشرين . وإذا كان قد عُرف بعمارة الفقراء ، فإن معظم أعماله كانت للأغنياء ، الذين كانوا يتذوقون عمارته ، التى تتكامل مع البيئة تماما ، كما كان الأمر بالنسبة للعمارة العضوية « لفرانك لويدرايت » . لقد كان حسن فتحى فتحاً جديداً اكتشف ماحولنا ، ولَفَتَ أنظارناً إلى مالانراه تحت أقدامنا » .

وفى تحقيق أجرته مجلة عالم البناء فى عددها الثانى والعشرين فى مايو ١٩٨٢ م تحت عنوان « فكر حسن فتحى فى الخارج والداخل .. كيف يراه المعماريون المصريون » يقول الأستاذ الدكتور يحيى الزينى :

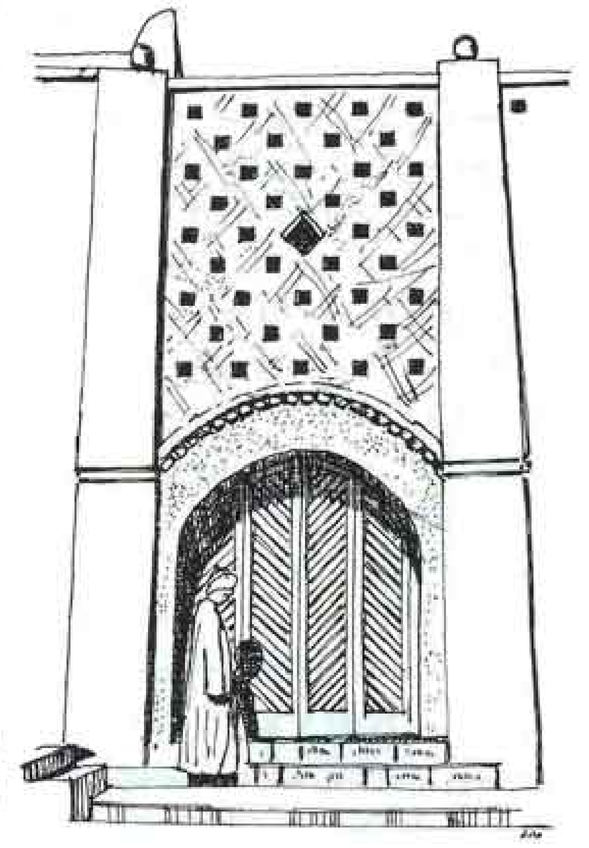
« يمثل المهندس حسن فتحى جيلا من الرواد فى بلدنا ، جيلا يعتبر موسوعة ثقافية . وفى اللحظة التى خرج فيها هذا الجيل كان التعليم المعمارى

والعمارة فى أيدى الأجانب بصفة أساسية من إيطاليا وانجلترا . لذلك نجد أن معظم المنشآت التى بُنيت فى القاهرة فى هذه الفترة لها طابع كلاسيكى ، مأخوذ من الطراز الرومانى وطراز عصر النهضة . وقد كان ذلك قبل الحرب العظمى الأولى ، بدأت بعدها تظهر فى أوروبا تيارات العمارة الحديثة ، والاتجاهات الوظيفية ، والعمارة العضوية . وكانت كلها اتجاهاتٍ مبنية بصفة أساسية على التفكير والبحث العلمى والفلسفة ، ومحاولة الخروج من تفاصيل العمارة الكلاسيكية ، التى كانت فى صورة قوالب ووصفات تقليدية . وقد نقلت هذه الأفكار بدون محاولة ربطها بالبيئة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية المحلية فى مصر . وكان الأستاذ حسن فتحى متابعاً لكل هذه الاتجاهات الجديدة فى العالم ، فهو من أكثر المعماريين ثقافةً ، وأوسعهم علماً ، ولذلك فقد تبلور ذهنه وأحاسيسه بالنسبة لبلده مصر ، فاستطاع أن يحدد طريقه مبكراً ، ولم يبالغ فى إعجابه بالاندفاع فى التيارات الفكرية والفنية والثقافية المستوردة ، كما فعل الكثيرون من معماريى عصره ، بل أكد على ضرورة الرجوع للمنبع والاهتمام بالأصالة ، وهو فى هذا المجال لايدّعى أنه ابتدع فكراً جديداً ، وإنما يقول إنه يقيم التراث ويجعله متصلا بالحاضر » .



تأثر مبانى القرنة الجديدة بالعمارة النوبية فى صعيد مصر

« ومن دراساته وتنقلاته فى مصر ، رأى أن النوبةَ بحكم انعزالها الجغرافى ، استطاعت أن تحافظ على شخصيتها وأصالتها ، تلك الأصالة التى بدأ الوجه البحرى يفقدها ، وأحس بالقيم الموجودة فى هذا المجتمع ، الذى لم ترتبك عقلياته بسبب مدنية زائفة ، أو ثقافة مستوردة ، أو ادعاءات طبقية ، أو احتياجات غير حقيقية . فأحس لذلك بعلاقة مباشرة ، وبإمكانية التفاهم ، مع هذا المجتمع ، فهو لايتصور أن هناك فاصلا بين المعمارى وبين الإنسان الذى يبنى له ، وهذا الأمر هو الذى جعله يرتبط بعمارة الفقراء ، ويكتب كتبه المشهورة « البناء مع الشعب » و « عمارة الفقراء » حتى أصبح على المستوى العالمى المدافعَ الأول عن عمارة الفقراء وهو يثبت من خلال إحصائيات منظمات الصحة العالمية ، والغذاء العالمى ، واليونسكو ، أن العالم إلى الآن لم يحل مشاكل الإسكان بالنسبة للطبقة المحتاجة ، وأن الحكومات تعجز بكل إمكانياتها عن أن توفر مسكناً لكل مواطن بدون تعاون المواطن شخصيا ، ومساهمته بمجهوده وبفكره فى حل هذه المشكلة » .

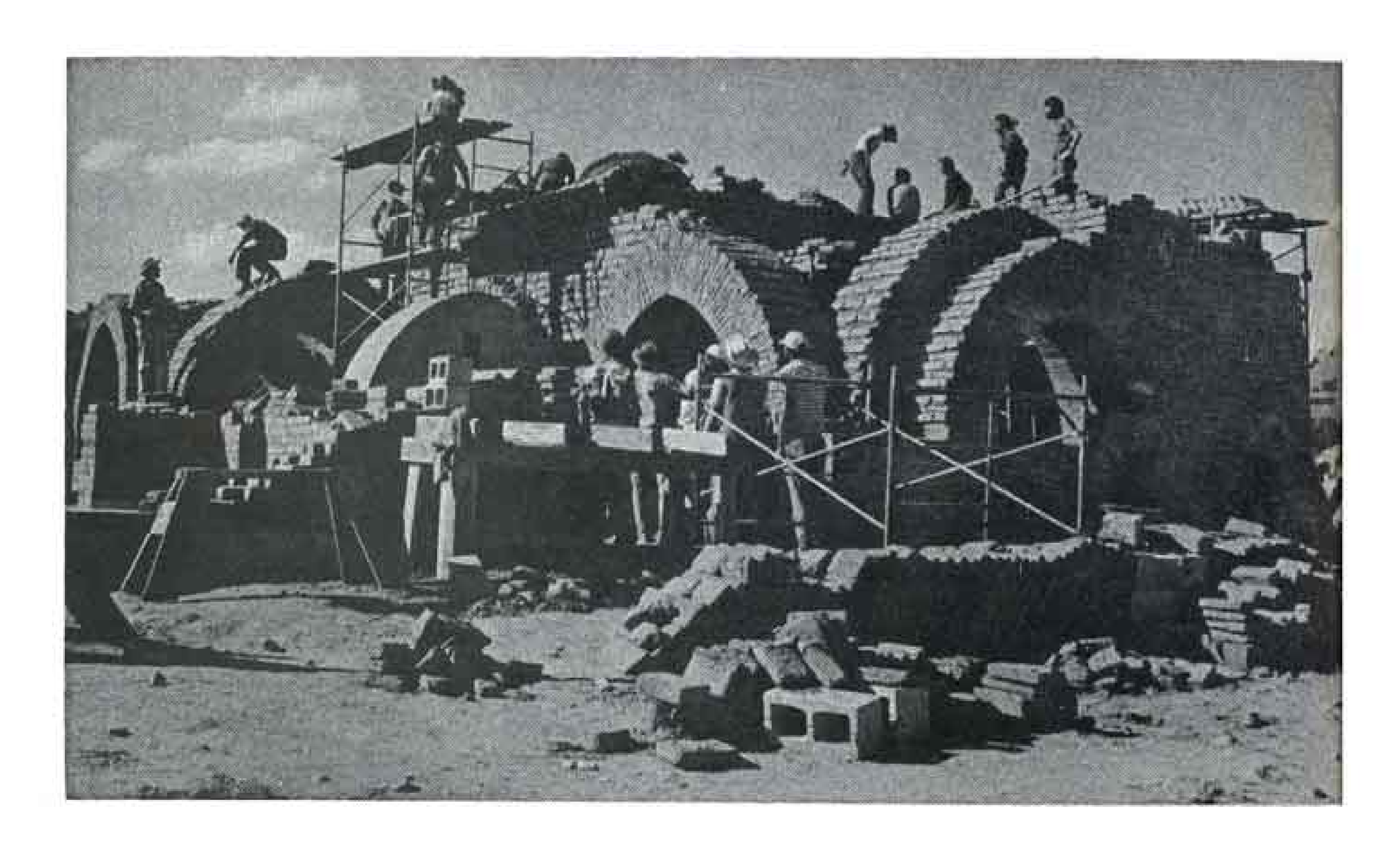


ومما يأخذه د . يحيى الزينى على الأستاذ حسن فتحى « أنه يحاول الارتكاز على ركيزة اقتصادية بالنسبة للتكلفة ، فى ظل أسلوب البناء التعاونى ، إلا أنه يعالج الموضوع بأسلوب الفنان ، ونتيجة لأحاسيسه

الشخصية للجمال المعمارى ، وهنا تحدث تجاوزات فى التكاليف ، ويتكلف العمل أكثر مما كان مقدرا له ، وبالتالى فإذا كانت عمارة الطين عالية التكاليف فلماذا لاتستعمل مواد أخرى رخيصة ونظيفة ؟ » .

« وإن كانت عمارة الطين لايمكن أن تدخل المدينة ، ولا أن تحل مشاكل المجتمعات الحضرية ذات الكثافات السكانية العالية حيث الأرض عالية الثمن ، فهذا لا يعنى فشل عمارة الطين . فهى قادرة على حل مشاكل أعداد كبيرة من المواطنين ، وفى أماكن كثيرة خصوصا فى مشروعات استصلاح الأراضى والمجتمعات الجديدة ، حيث لايوجد أى مجال لبناء العمارات العالية . ومن الممكن أن تنشأ القرى الجديدة بأسلوب البناء التعاونى وبمواد البناء المحلية ، سواء كان الطين أو الطفلة ، وبالتالى تغطى بالأقبية والقباب ، حيث يمكن استخدام مواد بناء الحوائط فى التسقيف ، وبالتالى نوفر نقل أى مواد بناء أساسية مصنعة إلى المناطق النائية ، وبالتالى يتحقق فكر المهندس حسن فتحى بجعل عملية البناء تجربة اجتماعية » .

اشتراك الأهالى فى بناء المسجد بقرية دار الإسلام - نيومكسيكو (١٩٨٠ م) .



وفى نفس العدد من مجلة عالم البناء يقول أ. د. طاهر الصادق :
« استاذنا المهندس حسن فتحى له تاريخ ثقافى وحضارى فى مصر ، وله خط واضح لايتغير ولم يحد عنه ، فى ابتداء أعماله حدد خطه : واختلف عن الكثير من المفكرين الآخرين فى خلال الـ ٣٠ – ٤٠ سنة الأخيرة . هذه الفترة التى بدأت تظهر فيها الهوية المصرية فى الخط المعمارى بصورة عامة ، وظهرت عدة اتجاهات بحثا عن الهوية ، اتجاه كان ينادى بالمصرية القديمة وظهرت بعض المبانى العامة متخذة الطابع الفرعونى ، وفى نفس الوقت كانت هناك صيحة أخرى ، بحثا عن الهوية المصرية أيضا ، هم حملة لواء الطراز العربى ، وليس التراث العربى الإسلامى بخذافيره وأنماطه وكل مافيه من تفصيلات معمارية . وإذا نظرنا إلى المهندس حسن فتحى ، نجد أنه لم يتأثر بالعمارة الفرعونية ، بل تأثر بالروح الخاصة بعمارة البيئة وعمارة الفلاح . ولم يكن مهتما بالتفاصيل ، ووجد أن الخامة موجودة عنده ، والوعاء الذى يغرف منه موجود خصب ثرى ، وهو وعاء الملايين . فكان بيت الفلاح ، الذى عاصر آلاف السنين هو إلهامه ، واستنبط منه ، واقتنع به ، فأضاف إليه . وكانت أعمال المهندس حسن فتحى حجر زاوية بالنسبة إلى حركة ثقافية حضارية فى تاريخ دولة ، فى حقبة زمنية معينة كانت تبحث فيها عن هوية شخصية لها . فوضع بصمة مميزة بالنسبة إلى ماهو قائم ، مميزة بالنسبة إلى ماهو موجود بالعالم ، لذلك أكسبته هذه الذاتية





بناء القبوات باستخدام الطوب الاخضر .

بالنسبة إلى الدولة ، وهذا الإنتماء بالنسبة إلى البيئة ، أكسبته بُعداً عالميا لصدقه ، ولو كان مثل الآخرين بطبيعة الحال لما كانت له أهميته » .

« وقد جاءت فترة هوجمت فيها عمارة الطين بعد إنشاء السد العالى ، لأن مثل هذه المادة لم تعد متوفرة ، ولكن عندما نسمع المهندس حسن فتحى يتكلم ، نجد أنه يقول إن البناء يكون بالمادة الموجودة ، أى أن حسن فتحى لاينادى بعمارة الطين فقط ، فقد بنى بالحجر والطَّفلة ، ولو كان وجد الخشب متوافراً لبنى بالخشب ، ولو كان وجد الحديد لبنى بالحديد ، ولكن بجميع هذه المواد كان سيظل منتمياً ، كان سيظل نابعاً من الأرض التى زُرع فيها الخشب ، أو التى صُنع منها الحجر . فالمهندس حسن فتحى ، كما نرى ، استوعب مادة العصر الموجودة فيه .. استوعب التشكيلات والتكوينات والمكونات التى تنتج من المادة .. استنتج واستوعب طريقة صناعة البناء نفسها ، فهو لابد أن يكون « عامل بناء » حتى يستوعب المادة ويكون عالماً بخصائصها » .

ويضيف أ. د . طاهر الصادق « إن فلسفة الأستاذ حسن فتحى أن يبنى للفقراء . وإنه لشرف كبير أن يحمل على عاتقه مشكلة الملايين . فالقادرون على البناء قلة ، وهم قادرون ومتطلباتهم لانهائية ، ويستطيعون أن يبنوا فى أى وقت يشاءون ، ولكن الفقراء لايستطيعون أن يبنوا فى أى وقت ولاطبقا لاحتياجاتهم ، والمهندس حسن فتحى بشكل ما ، وضع فكره ووضع فلسفته مساهمة منه فى حل هذه المشاكل » .

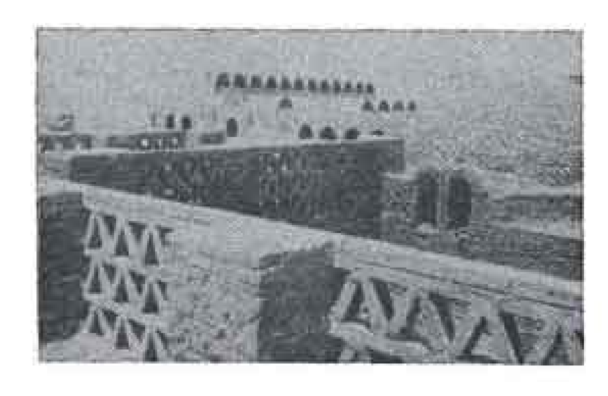
« أما بالنسبة للمبانى متعددة الأدوار فيقول أ. د. طاهر الصادق إن هذه النقطة فى الحقيقة كثيراً ماتكلم عنها المهندس حسن فتحى ، وضرب لنا مثلا بذلك على العمارة فى فترة الحكم الإسلامى ، ونظام الوكالات ، ونظام الخانات ، وقال فى أكثر من محاضرة ، وفى أكثر من لقاء ، أن العمارة فى هذه الفترة حلت مشكلة الطوابق المتعددة ، وفى نفس الوقت حافظت على النسق الاجتماعى فى داخل الوحدات المعمارية ، ومن كلام المهندس حسن فتحى نجد الانتماء إلى الأرض والأصالة ، لذلك فهو كفلسفة وكفكر تطبيقى لايتعاطف مع المبانى المرتفعة » .

ويرى د . طاهر الصادق « إن عدم انتشار فكر حسن فتحى على المستوى المعمارى التطبيقى محليا يرجع إلى موقف حضارى بالنسبة للبلد ككل . فهناك نوع من الاغتراب ، يكتنف كل عناصر الثقافة والحضارة المصرية ، وكل مايتعلق بالإنسان المعاصر ، الذى يسكن هذا الوادى ، فقد استورد له الكثير من العناصر الغربية ، حتى أصبح غريبا فى بيته . فإذا كان

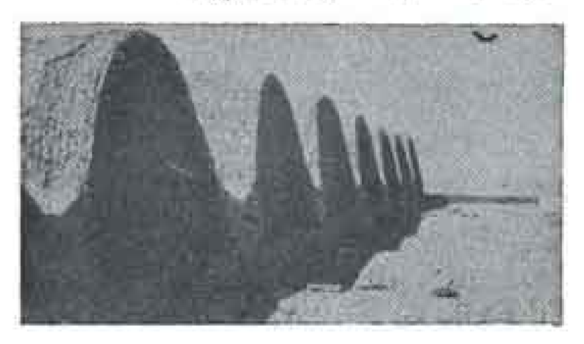
هناك بحث عن هوية مصرية فى الثلاثينات ، فما أحوجنا اليوم للبحث عن هوية مصرية فى الثمانينات » .

وقال عنه المرحوم .د . رأفت الزغبى « إن مما لاشك فيه أن حسن فتحى رائد العمارة المعاصرة ، وأن هناك أمثلة كثيرة لأعمال حسن فتحى فى العمارة الطينية ، مثل قرية القرنة ، أو أمثلة أخرى غير العمارة الطينية ، مثل التى بناها فى المريوطية تنوع فيها بأشكال مختلفة ، بما يؤكد على الأقل أنه ليس متجمداً فى خط واحد كما يقول البعض ، ويرى أن كل معمارى لابد وأن يكون له الطابع الخاص به ، ووجهة نظره فى العمل الذى يقوم به ، فمن الخطأ أن يكون كل المعماريين حسن فتحى ، ولكننا فى حاجة إلى النوعية التى تكون مثل حسن فتحى فكراً وموضوعاً . إن المهندس حسن فتحى كوّن مدرسة بفلسفته الخاصة ، وبفكره الخاص ، وباحتكاكاته ودراساته المباشرة للعمارة البيئية ، الشىء الأساسى الذى يفقده التعليم المعمارى فى مصر . فالأستاذ حسن فتحى ، كمهندس معمارى ، عندما يعمل عملا ما ، فى مكان ما ، يكون للبيئة التى يشتغل فيها ، تأثيرٌ كبير على اختياره لمواد البناء ، وبالتالى على نظام الإنشاء ، والشكل النهائى للعمل . ففى وقت ما ، كان المهندس حسن فتحى يستعمل الطين فنجح ، وعندما استعمل الطفلة فى واحة باريس نجح فى استعمال هذه المادة ، ونجح كذلك فى استعمال الحجر ، مما يؤكد عدم صحة مانسب إلى المهندس حسن فتحى » .

وعن انتشار فكر المهندس حسن فتحى قال المرحوم د . رأفت الزغبى إنه « لم ينتشر داخليا للأسف ، وذلك لأنه يحارَب ، ويرى أن كون هذه الأعمال المعمارية تحارَبُ فهذا فى حد ذاته يعتبر نجاحا ، وإن كان يرى ضرورةَ انتشار مثل هذا الفكر ، وأن وجوده أمر طبيعى ، فحتى لو لم يكن المهندس حسن فتحى موجودًا اليوم ، لوجب أن ينشأ مثل هذا الفكر . ففكر المهندس حسن فتحى لم ينشأ من فراغ ، وإنما له علاقةٌ وثيقة بالأصالة المعمارية ، التى كان يجب أن تكون موجودة فى كل شىء . ولكن هل سيكون هذا الانتشار سريعا ، أو بطيئاً ، هذا مالا يمكن الجزْم به ، وإن كان يعتمد بصفة أساسية على الفئة المثقفة ، وما إذا كانت مقتنعة بهذا الفكر أو لا ، وكانت الفرصة موجودة فى المدن الجديدة ، ولكن للأسف لم تضف هذه التجربةُ أى جديد ، ولم تحافظ على الطابع والصفات الجيدة ، التى تميزت بها العمارة فى مصر ، طوال تاريخ طويل ، وحضارة عريقة ، استمرت أكثر من ٥٠٠٠ سنة . وجاءت الطرزُ المعمارية ، فى هذه المدن ، بعيدةً كل البعد عن واقعنا المحلى » . ويضيف المرحوم د . رأفت الزغبى



صور مختلفة من قرية باريس توضح الإنشاء باستخدام الطفلة (١٩٦٧ م) .



« إننا إذا كنا نسعى إلى انتشار فكر أصيل ، مثل فكر المهندس حسن فتحى ، فالبداية فى الكليات ، وهذا يتطلب تغيير فكر التدريس . وإذا كان البعض يدّعى أن المهندس حسن فتحى لم يطور فكراً فلْيطورْ هو » .

ويقول أ.د. محمود يسرى « إن الأستاذ حسن فتحى أستاذٌ ورائدٌ من رواد الفكر فى مصر . والأستاذ حسن فتحى يعرفه الناس بعمارة الطين . ومن أشهر تطبيقاته القرنة وباريس فى مصر . وله تطبيقات فى بلاد أخرى مثل باكستان وأمريكا . وإذا كان الناس يتهمونه بالجمود فلأن فكره لم يظهر بوضوح ، لأن التجارب التى طبق فيها كلها تجارب متماثلة . فتجربة باريس شبيهة بتجربة القرنة . لذلك جاءت النتيجةُ قريبةً . وإن كان فيها تطور عن القرنة ، ولكن الناس اعتقدوا أنه نفس الفكر ، وأن حسن فتحى سيظل يبنى هكذا فى كل مكان . ويرى أ.د. محمود يسرى – وهو من المتأثرين جدا بفكر حسن فتحى – أن قرية باريس مَثّلَ ناجح جداً ، وأن النجاح فى استعمال المواد المحلية فى قرية القرنة ، فى حد ذاته نجاح للمعمارى ، ولكن لاقرية باريس نفّذت بالكامل ، ولا القرنة ، وهذا

استخدام الطوب الأحمر والحجر فى بناء منزل بدهشور .



بعكس أن الدولة لم تستوعب هذا المفهوم ، ولم تفهم فكر المهندس حسن فتحى ، ولم تقيّمه التقييم الواجب ، ولذلك فكل أعماله جاءت على صورة تجارب غير كاملة ، وهذه خسارة عظيمة لمصر وللعالم أجمع . ويرى أ . د . محمود يسرى أنه بالرغم من كل ما بذلته وزارة الثقافة لنشر كتاب القرنة ، والتقييم الأدبى للمهندس حسن فتحى ، إلا أنه كان أفيد للبلد أن تقيّم هذا العمل تقييما مادياً ، بمعنى أن تستوعبه وتنشره ، فلو كان عندنا أجيال كثيرة من الشباب الصغير المتشبعين بروح المهندس حسن فتحى لكانت العمارةُ فى مصر قد تغيرت عما هى عليه الآن » .

« والإمكانية لازالت موجودة ، خصوصا فى هيئة التدريس فى الجامعة ، ولكنها متوقفةٌ على مدى اقتناعهم بذلك ، فهم الذين ينقلون إلى الشباب ، وهم الذين لهم تأثير كبير عليه . ومن جانب آخر نجد أنه بطبيعة الحال لايوجد من يتفق تماما مع الأستاذ حسن فتحى ، وإنما فى الحقيقة لم يظهر هذا الكلام على السطح ، فلو ظهر هذا الكلام على السطح لكانت أفكار المهندس حسن فتحى قد تطورت . فكأى فكرة فى بداية نشأتها تكون خام ، ولكنها تتطور على مر الزمن . ولكن الذى حدث للأسف أن الذين قلّدوا حسن فتحى أضاعوا هذه الفكرة ، لأن مفهومهم عنها كان خاطئا . فالناس اعتقدوا أن المهندس حسن فتحى يبنى على الطراز العربى وعلى الطراز الإسلامى ، مادام هناك قبة ومثلث وبعض التفاصيل ، مثل مجموعات الشبابيك المثلثة » .

ويختلف أ . د . محمود يسرى مع المهندس حسن فتحى ، أو مع الذين نقلوا هذه الصورة عن حسن فتحى فى « أننا اليوم حينما نبنى على الطراز الإسلامى يجب أن لانقلد ، فنحن فى عصر آخر ، ولدينا مواد أخرى ، ولنا شخصية أخرى ، وتكنولوجيا أخرى ، لذلك نجد أن مايميز الطراز الإسلامى عن القوطى أو غيره أساساً التفاصيل كالعقد والمشربية والمقرنصات ، وهى لاتعتبر جوهرية فى التصميم ، ودائما متغيرة من عصر إلى عصر ، لأنها أساسا معتمدة على مادة البناء ، والتكنولوجيا الخاصة بعصر معين ، بينما الطابع هو الشخصية ، وهى صفات تجريدية يمكن تطبيقها على العمارة المعاصرة أو على أى عمارة » .

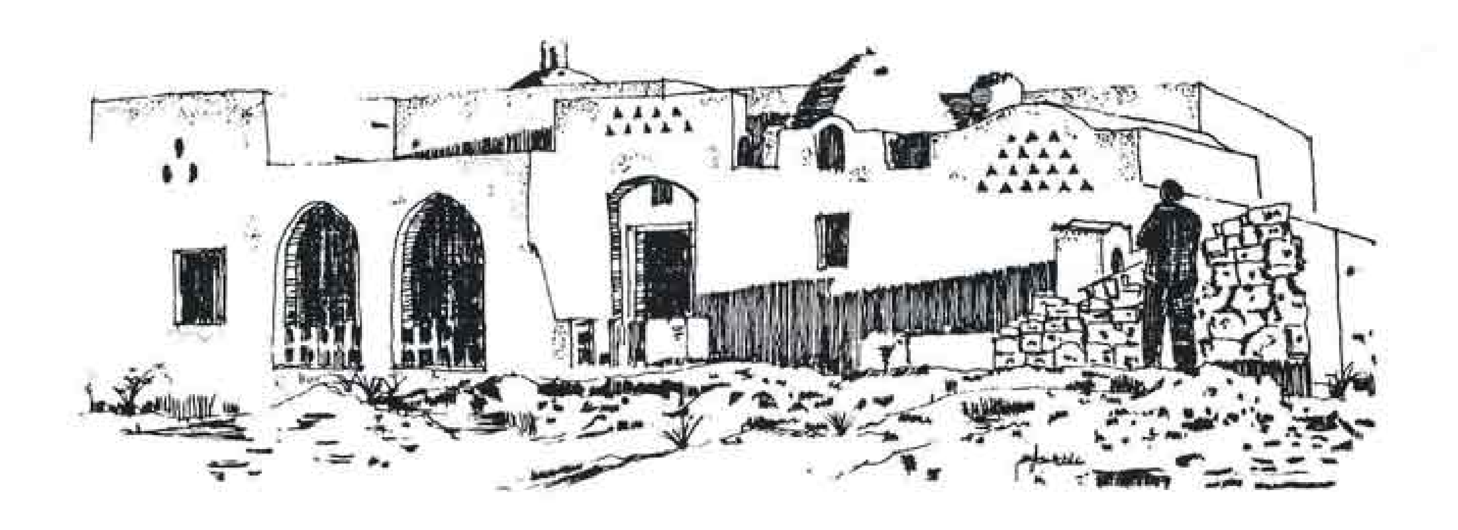
« واختلاف البعض مع المهندس حسن فتحى راجع إلى أن هؤلاء أخذوا عنه فكرة بسيطة وسطحية . وللأسف إن التجارب المكررة ، والنتائج السلبية جعلت البعض يعتقد أن فكر المهندس حسن فتحى يقف عند هذا الحد ، ولكن الحقيقة أن المهندس حسن فتحى درس الموضوع بأسلوب علمى بحت ، والتجارب التى كان يجريها فى معهد بحوث البناء على الطين وإمكانياته ،

دليل على ذلك . ولكنا نستطيع القول بأنه قضى وقتاً طويلاً فى تجاربَ على نوع معين وهو البناء بالطين ، مع أن فكره ، لو كان أتاح له الفرصةَ أن يطبق فى مواد أخرى ، لأحدث تأثيراً على العمارة . فالمعمارى لايستطيع أن يوضح نفسه وفكره فقط ، ولكن أعماله هى التى توضح فكرَه وفلسفتَه » .

ويخشى أ.د . محمود يسرى من « انتشار مفهوم خاطىء عن فكر المهندس حسن فتحى على أنه البناء بالطين واستخدام القبة فقط ، بينما المفهوم الحقيقى هو معالجة سبل المعيشة نفسها ومعالجة المناخ ومعالجة المادة . ولنشر هذا الفكر وتوصيل المفهوم للناس يرى أ. د . محمود يسرى ضرورة وجود تبنٍّ للفكر على مستوى الدولة . لابد وأن يكون هناك وعى للناس كلهم . فللأسف المهندس حسن فتحى قد حاز على التقدير خارجياً أكثر منه فى مصر ، وهذا لأنهم فى الخارج استطاعوا تفهّم فكره ، وفى مصر أساءوا فهمه . وهذه خسارة كبيرة ، لأن ظاهرة الأستاذ حسن فتحى لاتتكرر كثيراً . ويأمل د . محمود يسرى أن يتفهم الناس فكر المهندس حسن فتحى أكثر فى المستقبل ، وإن كان لايرى أى بشائر لذلك حتى الآن ، بدليل أن هذه المحاولات التى تعمل على نفس الخط لا تقيَّم . ويرجع ذلك إلى أن المسئولين عندهم الطين دليل التأخر والجهل ، والخرسانة دليل المدنية ، لذلك لابد من تطبيق الفكر بمواد مختلفة ، وبوظائف مختلفة ، حتى يقتنع به المسئولون » .

ويقول أ.د . صلاح زكى إن « مما لاشك فيه أن للمهندس حسن فتحى أسلوباً وفكراً وفلسفةً رائدة . ولكن من الخطأ تصوّر أن حسن فتحى هو المهندس الوحيد فى مصر . ويرى أن أسلوبَ المهندس حسن

منزل سيدى كرير بالساحل الشمالى لمصر – مثال لاستخدام مواد البناء المختلفة (١٩٧١ م) .



فتحى أسلوبٌ معمارى يتناسب مع البيئة الريفية ، وطرق الإنشاء البسيطة تتفقُ مع أسلوب معيشة الفلاح البسيط . ومن الناحية الاقتصادية بنوها بأنفسهم لأنفسهم ، ولكن أعماله فى القاهرة ، ولو أنها جميلة ، إلا أنها غير اقتصادية . فقد تكلفت أكثر مما كان متوقعا لها » .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يرى د . صلاح زكى « أن هذا الأسلوب فى الإنشاء من الصعب استعماله فى المدينة من ناحية المبدأ ، ولكن هذا لاينفى أن فلسفة المهندس حسن فتحى وفكره ، فلسفةٌ لها جدواها ، ويمكن تطبيقها ولكن بطرق وأساليب مختلفة » .

« وفلسفة المهندس حسن فتحى أن يبنى عمارةَ الفقراء ، معتمداً على جهودهم الذاتية فى بناء مساكنهم بأنفسهم ، دون تدخل من مهندس أو مقاول . وإذا نظرْنا للعالم كله نجد أن نسبةَ الأفراد الذين يستعينون بالمهندس المعمارى فى بناء مساكنهم نسبةٌ ضئيلة جداً ، وهذا يرجع إلى أن الأساليب الهندسية ، التى على مستوى راق ، والتى يتعلمها المهندس بحكم مهنته ، لايمكن تطبيقُها على مستوى الشعب كله . لذلك فالمهندس حسن فتحى ، راعَى هذه النقطة ، وأرشد الناسَ إلى كيفية استغلال طاقتهم ، واستخدام طرق إنشاء بسيطة ، وفى إمكان أى فرد أن يتعلمها ليبنى مسكنه بنفسه » .

« لذلك فتجارب حسن فتحى يمكن الاستفادة منها فى البناء لمحدودى الدخل ، ولكن بأسلوب متطور يتلاءم مع طبيعة المكان الذى يبنى فيه ، والاقتصاديات المتاحة ، فأسلوبه يصعب تطبيقه فى كل المجالات ، وإن كان يمكن تطبيقه ، ولكن فى حدود » .

« والاستفادةُ من فكر المهندس حسن فتحى ، تكون عن طريق تقييم تجربته تقييما شاملاً ، وذلك بنقدها نقداً علمياً سليماً ، للتعرف على عيوبها ، فلا يصح أن نذكر سلبيات التجربة ، دون التعرف على إيجابياتها » .

ويشير أ.د . صلاح زكى إلى نقطة هامة ، يوجه الاجتماعيون نظر المهندسين إليها وهى « أن الإنسان عندما تعطيه مسكنا لايشعر بأهميته ولايصونه ، كما لو كان هو الذى بناه بنفسه . ومن هنا نحس بأهمية نظرية المهندس حسن فتحى . فهو ينادى بأن يبنى الناس لأنفسهم . ويتضح لنا مدى صحة هذا الكلام ، إذا نظرنا إلى مايحدث فى الإسكان الحكومى (المساكن الشعبية) ، فقد تحوّل إلى مناطق خربة ، على عكس البيوت التى بناها الناس بأنفسهم » .

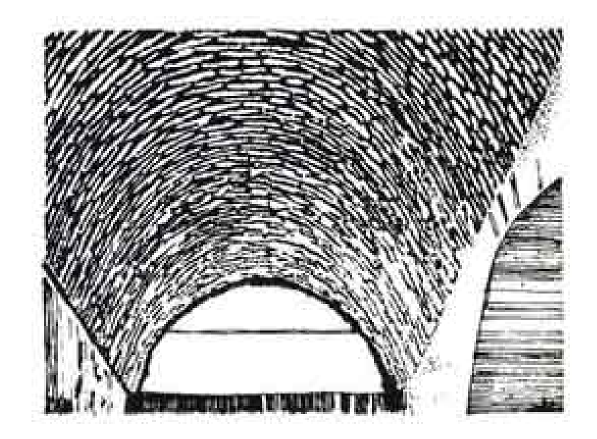
« وهذا الجانب من نظرية المهندس حسن فتحى ، يمكن تطبيقه ، وهناك مسئوليةٌ كبيرة تقع على المعماريين ، هى مسئولية تطوير فكر حسن فتحى ، والاستفادة من تجربته ، وتطبيق الجزء الذى يصلح من النظرية » .

ويضيف أ . د . صلاح زكى « إن مصر تواجه الآن مشكلة رئيسية أساسية ، وهى الإسكان الاقتصادى ، ولابد من وجود حل سريع لها ، لأن هناك تدهوراً فيه ، لكن أسلوب حسن فتحى لايصلح لحل جميع مشاكل الإسكان الاقتصادى ، لأنه لايسمح بأن تبنى مبان متعددة الطوابق ، فهذا سوف يعرضنا لمشاكل مثل تسوية القبة والقباب .. ولكن مما لاشك فيه أن عمارة حسن فتحى مثال لعمارة البيئة ، ولكنها لاتتناسب مع المناطق الحضرية » .

ويقول د . عادل يس : « إن المشكلة الأساسية فى إسكان المجاميع من الناس ، متى نبنى لهم ؟ ومتى نساعدهم على البناء ؟ ومتى يبنون هم لأنفسهم ؟ فإذا بنينا بالخرسانة المسلحة على نطاق واسع ، نجد أن هذا ضد الراحة الحرارية ، غير أن تكاليفها مرتفعة . والمشكلة الحقيقية فى الريف وفى المناطق الصحراوية ، حيث لاتوجد الأموال السائلة اللازمة لهذه النوعيات من عمليات البناء ، فقد كانت هذه هى المشكلة التى عاشها حسن فتحى ، وحاول أن يجد لها الحل . فقد حاول أن يصل إلى كيفية أن يجعل الناس يبنون بأنفسهم ، الناس الذين لايملكون أموالا سائلة ، وكيف يساعد الناس بعضهم بعضاً ، ويشتركون فى المجهود . فبحث عن المادة ، عن أبسط مادة متاحة له فكان الطين ، وهو موجودٌ متوفر ، لايكلف شيئاً ، تعمل منه القوالب ويستخدم فى البناء هنا بالنسبة للريف ، وبالنسبة للصحراء ، وجد أن الطفلة متوفرة ، ويمكن أن يعمل طوب يُبنى منه ، وحتى لايحتاج إلى أى مواد غير موجودة ، وفكر فى استخدام المواد المتوفرة ، سواء طين أو طَفلة ، وبدأ يدرس إمكانيات هذه المواد فوجد أنها لاتتحمل الشد ، إذاً يجب أن يحملها كلها ضغط . ووجد أن فى أسوان والأقصر وقتها ، اعتاد الناس من الآف السنين على أن يستخدموا الأقبية والقباب ، كأسلوب تغطية ، فبدأ فى استخدامها . فالمهندس حسن فتحى إذ بحث عن البيئة ، وعما ينفع لها فاستخدم الشكل النابع منها ، وأدخل على تصميماته الطابع الحضارى ، فهو إنسان نبع من البيئة » .

ويسأل د . عادل يس « لماذا نكون ضد فكر كهذا ؟ فهو بالتأكيد فكر سليم ، لأنه ترجمة سليمة لما هو موجود ، وإذا عارضناه لمجرد أنه يبنى

منزل فؤاد رياض بالجيزة مثال لاستخدام الحجر فى البناء (١٩٧٣ م) .



بالطين أو الحجر ، فهذا قصور فى تفكيرنا ، فإذا استطاع مهندس معمارى أن يربط بين مواد البناء ، والمناخ ، والبيئة ، والناس ، والاقتصاد ، وأن يخرج منها بعمل ، لايستطيع أحد أن يقول عنه سوى أنه نابغة ، حتى لو رأى بعض الناس أنه مخطىء فى بعض الأمور » .

« وإذا كان المهندس حسن فتحى له مكانة عالمية ، فهذا بالتأكيد لأنهم وجدوا فكره فكراً جيداً ، وأن ماينادى به متطور . فلو كانت غير ذلك ماكان قد لاقى كل هذا التقدير . فإذا كانت عقولهم اكتسبت هذا الفكر ، ووجدناهم يدخلونه فى مناهجهم العلمية ، وفى الكثير من كتبهم التى تعالج مشاكل المناخ والمشاكل السكانية ، ويستدعونه ليزودهم بفكره ، فكان الأولى بنا أن نكتسب نحن هذا الفكرَ ، ونطبقه عندنا » .

ويقول د . سامى عبد العزيز « إن المهندس حسن فتحى يعتبر أستاذاً لأجيال وبالرغم من اتساع ثقافته واطلاعه ، إلا أنه لم ينبهر بعمارة الغرب ، بل زاده ذلك حبا فى معرفة تاريخه الطويل ، وحضارته العريقة ، فتعمق فى دراسته للحضارة والبيئة المصرية ، فبحث فى الحضارة الفرعونية ثم الإسلامية ، وحاول الخروج بفلسفة معينة منها . فوجد أن المسكن الإسلامى اهتم براحة الإنسان ، راحة مادية ونفسية . فهو يوفر للإنسان الخصوصية التى ينشُدها . وروعيت فى تصميمه معالجاتُ الصوت والاضاءة والحرارة ، وكذلك اهتم بالروابط الأسرية داخل المسكن ، وبالروابط الاجتماعية داخل المجتمع » .

« بحث المهندس حسن فتحى فى كل هذا ، وأكدت إطلاعاته ضرورةَ الاهتمام بالأصالة والبيئة . ونادى بأن نعمل على استمرارية الحضارة ، وعدم انقطاع التيار الحضارى ، بإدخال أفكار مستوردة ، لاتنبع من بيئتنا ، ولاترد بالتالى على احتياجاتنا . فوجدنا أن الحلول والنماذج ، التى قدمها المهندس حسن فتحى جاءت كلها من وحى بيئتنا ، نابعة من تراثنا وتاريخنا ، قدم فيها معالجاتٍ للمناخ ، فرأينا استخدامَ ملاقف الهواء ، ومعالجاتٍ للإضاءة فى المناطق شديدة الحرارة ، وكذلك راعى اختيار مواد البناء التى تتناسب مع طبيعة الجو والمناخ . فالمواد المحلية التى استخدمها راعى أن تكون فيها خاصية الاحتفاظ بالحرارة فى الشتاء ، وتساعد على تلطيف الجو فى الصيف . كما أن الفناء الداخلى أو الحديقة الخاصة التى يتجمع فيها أهل البيت كلهم ، تقوّى من الروابط الأسرية ، وتزيد بالتالى الشعورَ بالانتماء للأرض وللمجتمع » .

« وإذا نظرنا إلى حلول البناء المرتفع ، وماتثيره من مشكلات ، نجد أنها تجعل الإنسان يفقد اتصاله بمجتمعه ، ويفقد الإحساس والشعور بالانتماء ، إلى جانب أنها تسبب مشكلات مرور ، مما يزيد من التلوث والضوضاء ، ويقلل بالتالى من شعور الإنسان بالراحة فى مسكنه الخاص ، ولايجد هذه الراحة فى طريقه إلى عمله ، ولا فى مكان عمله ، ولا فى عودته ، وإمكانياته لاتسمح له بالترفيه عن نفسه بالخروج ، فتترجم عدم راحته هذه فى كثرة الأولاد ، فى حين أن الحلول الأفقية تحد كثيراً من تلك المشكلات . وإمكانيةُ هذه الحلول متاحة عندنا ، فالأرض متّسعة ، والامتداد الأفقى يكون تعميراً أكثر ، وهو شيء مطلوب . فلو استطعنا أن نوفر لكل شخص مسكناً مريحا يشعر فيه بالخصوصية ، ونوفر حديقةً خاصة ، أو فناءاً خاصاً بكل مسكن ، ومساكن لايزيد ارتفاعها عن ٥ – ٦ أدوار ، حيث ينمو الشعور بالجيرة ، ومراعاة الجار ، وبالتالى الإحساس بالانتماء ، نحل بالتالى الكثير من مشاكلنا » .

« والمهندس حسن فتحى استطاع أن يصل إلى حلول لكثير من هذه المشاكل ، فجاء فكرُه معالجا لمشاكل أساسية وهامة فى المجتمع ، لعل أهمَّها زيادة السكان .. مما سبق نجد أن تطبيقَ فكرٍ مثل فكر المهندس حسن فتحى يساعد على حل هذه المشكلة » .

ويرى د . سامى عبد العزيز « أن من أسباب عدم انتشار فكر المهندس حسن فتحى أن الشباب الذى يدرس فى الخارج يبهر بالتكنولوجيا المعاصرة ، ويرجع متأثراً جداً بها ، ويحاول تطبيقَها كما هى فى مصر ، ناسياً أو متجاهلاً اختلافَ البيئة المحلية . هذا إلى جانب عدم تفهم فكر المهندس حسن فتحى تفهما سليماً وواعياً . فعمارة المهندس حسن فتحى ليست قبة وطيناً فقط ولكن عمارةٌ بيئية ، واستخدامُ مواد محلية متوفرة ، ومعالجةٌ لمشكلات معينة ، معالجة واجهات ومعالجة صوت ، وهذا مانال عنه جوائز من الغرب » .

ويرى د . سامى عبد العزيز « أن نقدَ حسن فتحى وتحليل فلسفته هو الوسيلة الوحيدة لنشره ، وأن المسئوليةَ الكبيرة على المعمارى وأستاذ الجامعة بصفة خاصة فى تنمية الوعى المعمارى . فهو يرى أن المعمارى يجب أن يرفض القيام بأى عمل لايتفق مع فكره وفلسفته ولايكون أصيلا ، نابعا من تراثنا العربى السخى ، حتى تكون هناك نهايةٌ لما يكتنف مبانينا من اغتراب » .

وهكذا نجد أن الأستاذ حسن فتحى قد شغل أذهانَ العديد من المعماريين فى مصر والخارج ، سواء من المؤيدين لفكره أو المعارضين له . لقد تحدث حسن فتحى كثيراً عن أعماله ، وكتب كثيراً عن تجاربه ، الأمر الذى أثار الإعجاب به ، والتحمس لمبادئه ، وهو مالم يحققه غيره ممن لديهم أفكار ومبادىء تنادى بتأصيل العمارة المحلية ، لتتلاءم مع المقوّمات الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمع .

وعلى المستوى العالمى يقول تقرير الاتحاد الدولى للمعماريين فى حيثيات منح حسن فتحى الميداليةَ الذهبية لعام ١٩٨٥ ، أنه بالرغم من أن هناك العديدَ من الجوائز المعمارية التى تمنحها بانتظام المنظماتُ الوطنية والمجموعاتُ الخاصة ، إلا أن الاتحاد الدولى للمعماريين قرر إنشاء جائزة الميدالية الذهبية . وبذلك تصبح أعلى تقدير يمنح من المنظمة المعمارية الدولية الوحيدة ، والتى تمثل ٩٨ دولة تضم أكثر من ٩٠٠ ألف معمارى . وبإنشاء هذه الجائزة كان الاتحاد يرغب فى أن يضعها فى المستوى والقيمة الأدبية لجائزة نوبل ، فى مجالات الفنون والعلوم والاجتماع . لقد قررت لجنة تحكيم جائزة الإتحاد الدولى للمعماريين التى اجتمعت فى باريس فى الفترة بين ٢٩ ، ٣٠ نوفمبر ١٩٨٤ منحَ الميدالية الذهبية للمعمارى المصرى حسن فتحى . وقد ضمت اللجنة كلا من « رفائيل دى لاهوز » رئيس الاتحاد الدولى للمعماريين عن الاتحاد و « هانز هيللن » عن المعماريين الأفريقيين و « راندال فوزبيك » عن المعماريين فى الأمريكتين ، وسكرتير اللجنة ، وكذلك المعمارى اليابانى « كينزوتانج » عن المعماريين فى آسيا ، و « أنطونيولاميلا » عن المعماريين فى أوروبا ، و « مهدى المنديرا » ، عن المدارس المعمارية ، و « جورج هلوزبرج » عن اللجنة الدولية للمعماريين . وقدمت له هذه الجائزة ، التى فاز بها ، فى الاجتماع الخامس عشر الذى عقده الاتحاد فى القاهرة فى يناير ١٩٨٥ م . وتعتبر هذه الجائزة أعلى تكريم يقدمه الاتحاد الدولى للمعماريين ، لمعمارى باسم زملائه فى المهنة . وهى جائزة تمنح لأحد المعماريين الأحياء تقديراً لأعماله العظيمة فى مجال العمارة والإرتقاء بالمستوى البيئى والاجتماعى للإنسان . وقد رشح لهذه الجائزة كل من الأستاذ « باربيانو » من إيطاليا ، و « جونفريد بوهن » من ألمانيا ، و « آرثر إريكسون » من كندا ، و « ميلوراد ماكورا » من يوغسلافيا ، و « اوى باكوفتش » من المجر ، و « أوسكار نيمار » من البرازيل ، و « منج باير » من الولايات المتحدة ، و « ريما بيتيلا » من فنلندا (فاز بها عام ١٩٨٧) ، و « بلشك » من النمسا ، و « كينتانا سيمونين » من كوبا ، و « بدرو رامبرز » من المكسيك ، و « برنارد زيرفوس » من فرنسا .

وعندما قررت اللجنة منحَ حسن فتحى هذه الجائزةَ العالمية ، رجعت إلى الأسس التى وردت فى لائحة الجائزة ، والتى تنص على أن يكون المعمارى قد قام بمجهود نشط فى الارتقاء بالظروف المعيشية للإنسان ، والحد من المبانى المتهالكة ، والعمل على الارتقاء بالمناطق المتخلفة ، والمساهمة فى تفاهم أفضل بين الناس من خلال المجهودات المتواصلة ، للوصول إلى التوازن المعنوى والمادى . وعن حسن فتحى قالت اللجنة إنه عاش وعمل خلال فترات ، شهدت نمواً سكانياً كبيراً ، مع تقدم تكنولوجى محدود . ومن خلال نشاطه الممتد رأى المشاكلَ المترتبة على توزيع الفوائد الناتجة عن التكنولوجيا الحديثة ، بينما ضاعت الحرف القديمة دون التعويض عنها بنماذج جديدة ، مما زاد من الفقر فى مجال الإسكان ، الأمر الذى كرس له حسن فتحى جزءاً كبيراً من حياته ، وذلك بالعودة إلى جذور البناء المحلى ، فقد درب الناس والمعماريين والحرفيين وأعضاء المجتمع معا فى نفس الوقت ، وذلك لبناء بيئة عمرانية أفضل . كما كان قادراً على إعطاء الجذور الثقافية للعمل المعمارى قيمها المناسبة . إن مساهماتِ حسن فتحى عديدة ، ولكن أهم مافيها هو الإخلاص الذى استثمره فى عمله فى كل جوانب الممارسة المعمارية .

حسن فتحى يلقى إحدى محاضراته بالدورات التدريبية بمركز الدراسات التخطيطية والمعمارية (١٩٨٣ م) .



هكذا كان رأى العالم فى حسن فتحى ، الذى يعتبر فى حد ذاته قيمةً أكثر منه معمارياً .. دعوةً أكثر منه إنجازاً .. رسالةً أكثر منه مقالةً أو كتاباً .. هو ظاهرة أكثر منه مؤسسة ، جاهد بمفرده عندما تخلى عنه مريدوه ، وارتفع صوته حتى سمعه كل العالم ، دون أن يسمعه كل أبناء وطنه . هو لحن واحد عزف على وتر واحد ولم تجربه باقى الأوتار . هو قصة كلها خيال وترتبط بقليل من الواقع . هو مبادىء حددتها المعايشة . هو فكر مندفع ولامكان أمامه لفكر آخر . هو حديث يجذب الغريب ولايصبر عليه القريب . وهو فى النهاية علامة مميزة ظهرت فى فترة محددة .



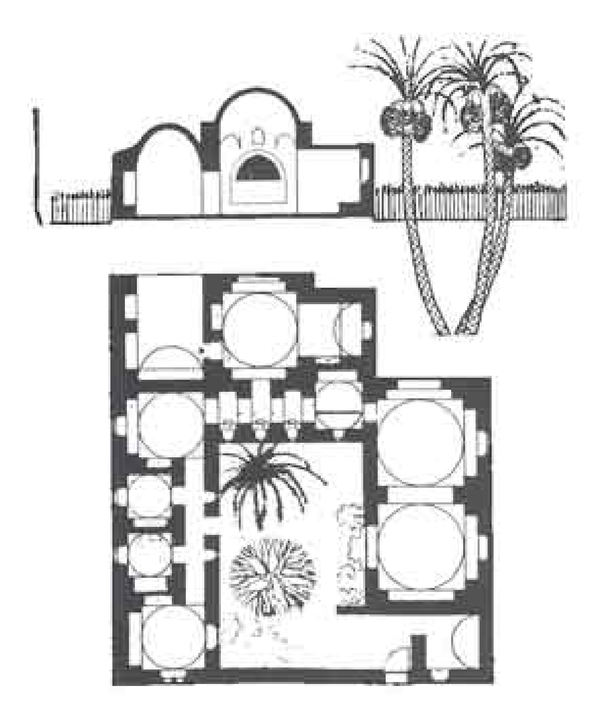
حسن فتحى يشرح نظريات التحميل على القبة والقبو لأهالى دار الإسلام - نيومكسيكو

◄

حسن فتحى والعمارة الريفية

بدأ حسن فتحى أول تجربة له مع الإمكان الريفى عام ١٩٤٠ ، وهو فى سن الأربعين عندما كلفته الجمعية الزراعية الملكية بتصميم بعض مساكن للفلاحين فى بهتيم شمالى القاهرة ، مستعملا الطوب اللبن ، لعدم توافر مواد أخرى بسبب الحرب العالمية الثانية فى ذلك الوقت . ومع أن الفلاحين فى هذه المنطقة من الدلتا لم يتعودوا بناء القباب أو الأقبية ، إلا أنه أصر على أنهم لابد وأن يبنوا بهذا النظام ، الذى استوعبه من قبل فى مساكن الفراعنة ، ولكن البنائين فى هذه المنطقة فشلوا فى بناء هذه الأقبية أو القباب ، وكان أول فشل يقابله . وفى عام ١٩٤١ سافر لأول مرة جنوبا إلى أسوان ، وفى قرى الغرب وجد منظراً جميلا للمساكن المبنية بالقباب والأقبية . فسكان قرى غرب أسوان كانوا أساساً من النوبة ، وهاجروا إلى هذه المنطقة ، وأعادوا بناء تجمعاتهم السكنية بأنفسهم ، ومن خلال تجاربهم السابقة فى النوبة . عندها وجد حسن فتحى عالما جديداً عليه ليس مثله فى مصر كلها ، كما يقول فى كتابه « عمارة الفقراء » إنه وجد هناك العمارة المصرية التقليدية النابعة من التربة المصرية ، ثم ذهب إلى الأقصر حيث وجد فى مخازن الرامسيوم مزيداً من الأقبية التى عاشت الآف السنين . كما وجدها بعد ذلك فى تونه الجبل . وأخذ يبحث عن البنائين فى منطقة أسوان ، حتى وجدهم ، ثم دعاهم إلى بهتيم لإقامة الأقبية التى تداعت من قبل .. هكذا تابع حسن فتحى بناءَ القباب والأقبية ووجد من يبنيها له .. وهكذا بدأ تعامُله مع مادة الطين فى بناء الإسكان الريفى . وبدأ يبحث عمن يبنى له بهذا الأسلوب الجديد والقديم فى نفس الوقت . وبدأ تجربة أخرى فى منزل لأحد أصدقائه (طاهر العمرى) فى مزرعته قرب الفيوم . ثم نقل تجربته بعد ذلك فى بناء سكن لصديقه الفنان حامد سعيد بمزرعته فى قرية المرج شمالى القاهرة (١٩٤٢) . وهكذا انطلق حسن فتحى فى تصميم المساكن الريفية للأثرياء من أصحاب المزارع والفنانين ، وصمم وهو فى الثانية والخمسين من عمره (عام ١٩٥٢) فى البر الغربى للأقصر منزلَ « ستوبلير » ، الذى كان يعمل مع مصلحة الآثار فى ذلك الوقت – وبناه على سفح ربوة عالية تطل على وادى الملكات ، بعيداً عن العمران . وبدأ حسن فتحى مع ذلك دراسة مفردات العمارة الإسلامية ، والمساكن

منزل الفنان حامد سعيد – المرج – القاهرة (١٩٤٢ – ١٩٤٥ م) .



التركية منها على وجه الخصوص ، وأخذ يستعملها فى عمارته الريفية فى المشربيات والفتحات وغيرها من العناصر الخشبية . هكذا ظهرت عمارته بقبابها وأقبيتها ، وأفنيتها الداخلية ، وحوائطها السميكة ، وفتحاتها الصغيرة ، ومشربياتها الداخلية والخارجية كصيغة معاصرة للعمارة الإسلامية . وعادة ماتعطى القبابُ والأقبية والعقود تشكيلات فراغية متجانسةً ، تعبر عن رصانة المبنى وتوازنه . كما توفر فراغاتٍ داخلية متدرجة التتابع البصرى ، هذا بالإضافة إلى العزل الحرارى ، والراحة المناخية التى توفرها بالداخل ، وبخاصة فى أجواء الصيف الحار ، وإن كانت لاتوفر الدفء فى أجواء الشتاء القارس ، لاسيما فى المناطق الشمالية للدلتا .

وبمقارنة العمارة الريفية التى رآها حسن فتحى فى قرى غرب أسوان ، وما صممه بعد ذلك من عمارة ريفية ، تجد سيطرة الأقبية على التشكيلات المعمارية فى قرى غرب أسوان ، وعدم ظهور القباب بالشكل الرئيسى . فمعظم القباب تختفى خلف جدر من المبانى ، لايكاد يرى الإنسان منها غير أجزائها العلوية . وهنا يسيطر على القرية طابع التجانس فى التشكيل بين القباب والأقبية ، بعكس عمارة حسن فتحى التى تظهر فيها القبابُ مسيطرةً على التكوين المعمارى . والقبة فى العمارة الإسلامية ارتبطت أساسا بالأضرحة ، فهى لذلك لاتظهر بكيانها الكلّى فى مساكن قرى غرب أسوان . وإذا كانت القبةُ تعتبر عنصراً مسيطراً ، مؤكدةً الاتزانَ فى التشكيل المعمارى للمبنى ، إلا أنها فى وجدان الإنسان المصرى تعبّر عن الضريح . وإن كانت قد انتقلت بعد ذلك ، لتكون عنصراً مركزيا فى تصميم المساجد . وهى فى كلتا الحالتين بعيدة عن العمارة السكنية ، سواء الريفية منها ، كما فى قرى غرب أسوان حيث اختفت إلا أجزاءها العلوية ، أو الحضرية منها كما فى بيت السحيمى والذهبى بالقاهرة . وهنا تتردد العمارة الريفية عند حسن فتحى بين العمارة السكنية وعمارة المساجد أو الأضرحة ، وإن كانت فى صيغتها النهائية ، تعبّر عن تشكيلات معمارية متجانسة ومتوازية ، ترتبط ارتباط وثيقا بالبيئة المحلية مادياً ومناخياً .

حاول حسن فتحى بناءَ مسكن ريفى فى عزبة البصرى قرب المعادى ، وكانت قد أصيبت بسيول الأمطار التى قضت على معظم مساكنها .. ولمعرفته بأعضاء جمعية الهلال الأحمر المصرى ، التى تكفلت ببناءِ بعض المساكن لمن تهدمت مساكنهم ، تقدّم متطوعاً لبناء نموذج من عمارته الريفية بالمواد المحلية ، وساعدته على ذلك حَرَم عبود باشا . وبعد أربعين يوماً تم بناء أول مسكن وتكلف ١٦٤ جنيه مصرى فى ذلك الوقت . وأبدى

حسن فتحى استعداده لبناء التسعة عشر منزلا الأخرى بنفس الأسلوب ، إلا أن حرم سرى باشا ، وهى رئيسة جمعية الهلال الأحمر ، أخطرته بأن لهم معمارياً آخر سوف يقوم بالمهمة .. وكانت صدمة عنيفة له ، فى ذلك الوقت . وهكذا كان حسن فتحى يسعى لدى الجهات المختلفة ، من خلال أصدقائه ، لمحاولة بناء نماذج من عمارته الريفية ، بعد أن عرف أسس وأساليب تنفيذها ، وتعرّف على مجموعة من البنائين من أبناء النوبة فى أسوان ، فكانوا ذخيرته فى كل مكان ، حتى ذهب بهم إلى أمريكا لبناء مسجد ومدرسة قرية « دار الإسلام » بأبيكيو . وقد أخذ حسن فتحى بالتشكيلات المعمارية ، التى تكونها القبابُ والأقبية ، وبدأت قناعتهُ بأسلوب البناء بالطين ، كوسيلة رخيصة فى البناء . وإذا كان الطينُ فى ذلك الوقت ، مادة متجددة ، يحملها النيل كل عام ليتركها على أرض الوادى ، فهى خير لتجديد خصوبة الأرض ، كما هى خير لبناء المساكن الريفية ، بعيداً عن الأرض الزراعية ، إلا أن الوضعَ قد تغير بعد بناء السد العالى فى الستينات ، وأصبح طمى النيل مادةً نادرة ، محدودة الكمية ، تنقص خصوبتهُا مع الزمن . ومن ناحية أخرى إذا كانت مادة الطين تصلح للمناطق الجافة ، كما فى جنوب الوادى فى النوبة ، ثم فى أسوان فهى لاتتحمل الأمطار ، وإن كانت قليلة فى شمال الوادى والدلتا . وبعد ذلك أخذ حسن فتحى فى استثمار كل إمكانيات البناء بالطين ، سواء فى بناء المساكن للفقراء أو للأغنياء من أصحاب الأراضى الزراعية ، خاصة من هم فى مستوى ثقافى خاص . ولكن أين عمارة الفقراء من كل ذلك ؟ هذا ما سوف توضحه قصة بناء قرية القرنة على الضفة الغربية من النيل عند مدينة الأقصر .



◄ التشكيلات المعمارية بمبانى قرية دار الإسلام بأبيكيو - نيومكسيكو (١٩٨٠ م) .

القرنة الجديدة بين النظرية والتطبيق

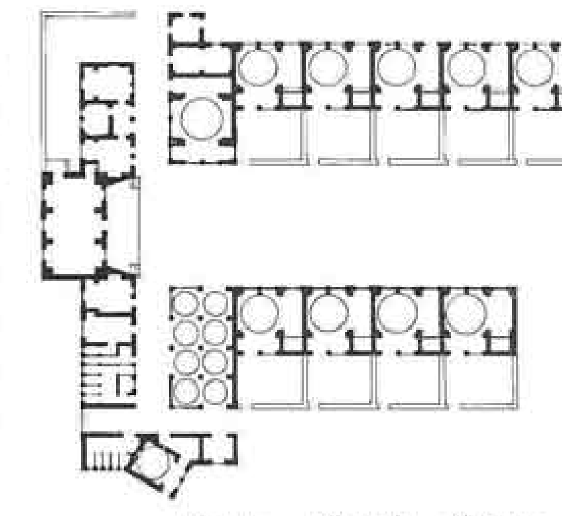
إن مشروعَ قرية القرنة ، هو فى حد ذاته ، قصةٌ درامية بقدر ماهو عمل معمارى ارتبط باسم حسن فتحى ، وانتشر فى كل المحافل المعمارية العالمية . وهو المشروع الذى بنى عليه نظرياته فى الاستيطان الريفى ، والتصميم المعمارى . وتبدأ قصة القرنة عام ١٩٤٥ ، عندما تفاقمت مشكلة سرقة الآثار المصرية القديمة ، والتى كان يقوم بها أهالى قرية القرنة ، الذين أقاموا مساكنهم على تلال قرب وادى الملكات .. واتخذوا من هذه المساكن ساتراً يحميهم فى أثناء التنقيب عن الآثار تحت الأرض . لذا بدأت مصلحة الآثار فى ذلك الوقت تتخذ الإجراءات ، لبناء قرية جديدة لإسكان أصحاب مساكن القرنة القديمة ، والتى صدر بنزع ملكيتها قرارٌ ملكى . وكان حسن فتحى على اتصالٍ بالمهندس عثمان رستم رئيس المهندسين ، ومسيو « ستوبلير » رئيس قسم الترميم بمصلحة الآثار اللذين رفعا اقتراحهما ، بأن يتولى حسن فتحى بناءَ مساكن القرية الجديدة إلى مسيو درايتون مدير مصلحة الآثار الذى شاهد النموذجين اللذين بناهما حسن فتحى للجمعية الملكية الزراعية وجمعية الهلال الأحمر ، ووافق على تكليفه بالمشروع . وكان ذلك عام ١٩٤٦ وبُدِئ باختيار موقع القرية الجديدة ، بعيداً عن الجبال ، حيث تمتد مقابرُ الملكات ووادى القردة ، ووقع الاختيار على قطعة أرض زراعية محاطةٍ بنظام من السدود ضد فيضان النيل ، وتم شراؤها من مالكها فى ذلك الوقت بولس حنا باشا . وهكذا بدأ أول خطأ يظهر فى اختيار الموقع ، فقد دأب المصريون القدماء على البناء على مشارف الأرض الزراعية بعيدا عن خطر الفيضان ، وأخذ حسن فتحى على عاتقه كل مايتعلق بالمشروع دون الاعتماد على النظم المالية والإدارية الحكومية . وكانت بدايةَ فرصة العمر أمامه لتحقيق ذاته ، فلم يكن له مكتب إستشارى ، كما كان لمعظم أساتذة الجامعات فى ذلك الوقت ، بل تفرغ تفرغا كاملاً لهذا المشروع .

يقول حسن فتحى فى كتابه « عمارة الفقراء » إنه بالبحث عن الخاصية المعمارية فى مصر لم يجد منها إلا ماتركه الفراعنةُ والمسلمون من عمران . فقد فقدت مصر الاستمراريةَ الحضارية ، منذ أنهى محمد على حكم المماليك . وفقدت معها شخصيتها المعمارية . وبعد مقدماتٍ طويلة من فلسفة العمارة فى البحث عن الشكل أو الطابع ، ثم عن أسلوب اتخاذ

القرار ، ودور التقاليد الموروثة ، يصل حسن فتحى إلى أن مشاركة الساكن مع الحرفيين فى بناء المسكن ، هى التى تعطى له شخصيته وذاتيته . وهنا يجدر البحث عن دور الحرفىّ فى بناء المساكن ، ويرجع إلى المعلم محمد اسماعيل والمعلم لطفى للبحث عن الأسلوب الأمثل للبناء . وينظر حسن فتحى إلى الجانب الاجتماعى فى عملية البناء . فالأسلوب السريع فى إنتاج صفوف عديدة من إسكان الفقراء يؤدى إلى القلق وعدم الراحة مع فقدان الخيال . ثم يقارن بين المدخل التقليدى لتوفير مساكن للفقراء فى أسرع وقت ممكن ، والمدخل الإنسانى الذى يدعو إليه حيث يشارك صاحبُ الأرض مع البنائين والحرفيين فى بناء المسكن . ويضرب المثل على ذلك بعمارة النوبة جنوبى أسوان . وهنا يجادل حسن فتحى عن رغبة الفلاح المصرى فى البناء بالأسلوب التقليدى أو بالخرسانة المسلحة فيقول في كتابه « عمارة الفقراء » .. إنه عندما بدأ فى بناء مدرسة فارس ، اعترض الفلاحون على أسلوب البناء بالطين ، وأبدوا رغبتهم فى بنائها بالخرسانة المسلحة . ولكن عندما انتهى بناء المدرسة بالقباب والأقبية ذهب العمدة إلى حسن فتحى ليعبر له عن افتخاره بالمدرسة ، وقال إن الفلاحين الذين يحضرون للاحتفال بمولد أحد أولياء الله ، ذهبوا هذا العام لزيارة المدرسة بدلا من الضريح .. وهكذا يخرج حسن فتحى باستنتاج رد الفعل عند الفلاحين بأنهم قد تطوروا ثقافيا عندما أقيمت لهم نماذج من عمارة الأقبية والقباب .. فى حين أنه يمكن الوصول إلى استنتاج آخر هو أن الفلاحين ذهبوا لزيارة المدرسة الجديدة ، لأنها تظهر وكأنها ضريح جديد لولى جديد ، عندما شاهدوا القباب ترتفع مع المبنى .

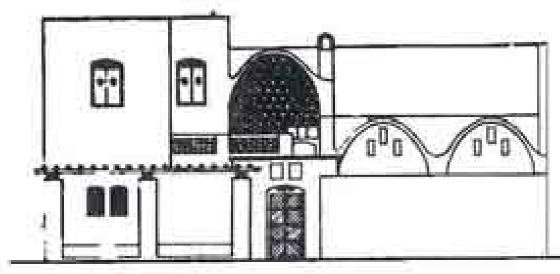
وفى قصة القرنة يتحدث حسن فتحى عن الثالوث المكون من المالك والمعمارى والحرفى فيقول : « فى القرنة كنا المصممين والمشرفين على التنفيذ والمقاولين فى نفس الوقت . وكان البناءون ملمين بالعملية الإنشائية ، ولم يكن علىّ إلا أن أرسم المساقطَ الأفقية للمساكن كل على حدة ، مع إيضاح الإرتفاعات . وهكذا يعيد المعمارى جزءاً كبيراً من العمل الذى أخذه على عاتقه – دون ضرورة – إلى الحرفيين كجزء من فريق العمل . لقد كانت الغرفةُ هى الوحدة التصميمية ، وبذلك يمكن للبنّاء إقامتَها بأحجامها المختلفة ، كأنها سابقةُ التجهيز من المصنع . وهكذا فإن اقتصادياتِ المشروع لم يكن من الممكن الحصول عليها بالخرسانة المسلحة ، أو أى مواد بناء غريبة أو أسلوب إنشائى آخر » .

أما عن العنصر الثالث من العملية الإنشائية وهو المالك ، فيقول حسن فتحى : « إنه حاول ترغيبَ الفلاحين فى المشاركة فى بناء مساكنهم



مدرسة فارس بالوجه القبلي — (١٩٥٧ م) . إستخدم فيها حسن فتحي أسلوب البناء بالطين .

مسكن أحد المزارعين بقرية القرنة الجديدة . (١٩٤٦ - ١٩٥٣ م) .



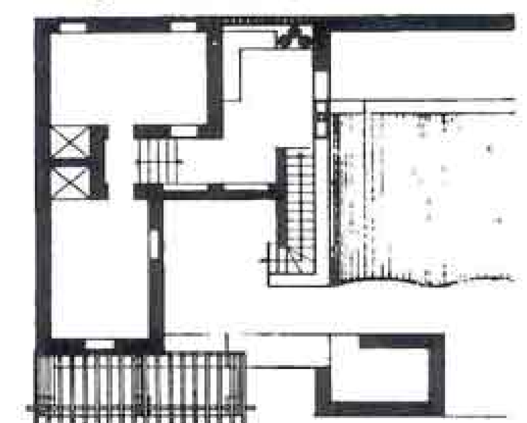
واجهة شمالية

مسقط أفقي الدور الأرضي





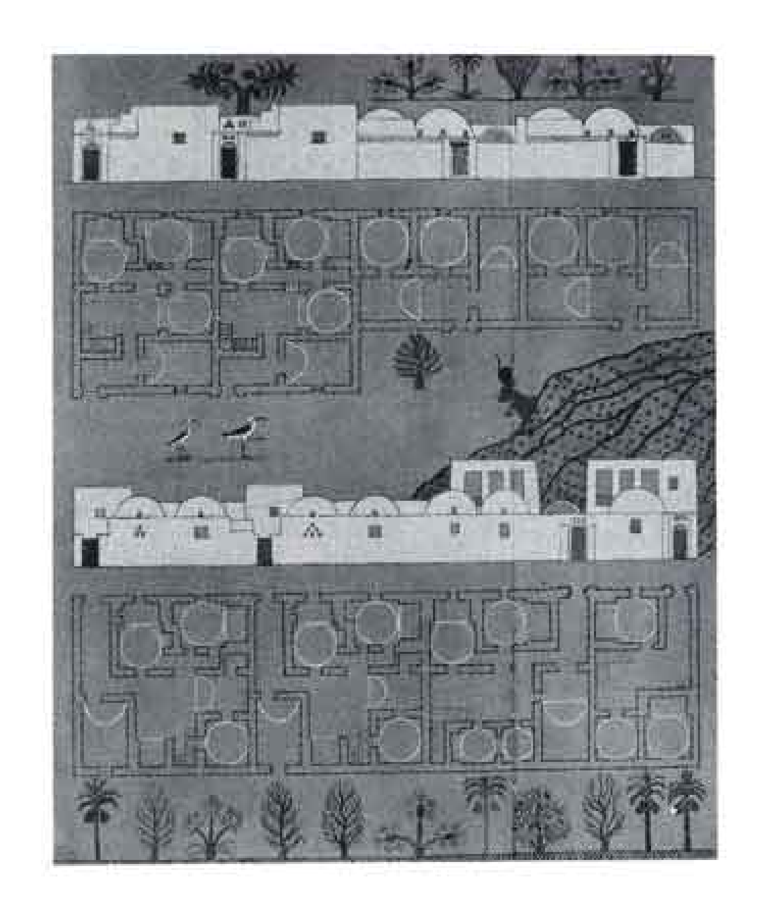
مسقط أفقي الدور العلوي .



الجديدة . ولكنهم لم يستجيبوا حتى لايكون فى ذلك موافقةٌ ضمنية على تركهم منازلَهم القائمة . ويرْجع ذلك أيضا إلى عدم قدرة الفلاحين على الإفصاح عن متطلباتهم المعيشية وتصورهم لمساكنهم الجديدة . فقد قال أحدهم له إنه لايرغب إلا فى إيواء ماشيته وغير ذلك فلا أهمية له عنده » .
وحاول حسن فتحى تغيير مفهومهم هذا ، بأنهم قد يخجلون أولادهم المتعلمين ، فبدأوا إظهارَ بعض الاهتمام بالمساكن الجديدة ، وإن كانوا قد قالوا له أن يصمم لهم مايعجبه ، الأمر الذى زاد المشكلة تعقيداً ، فكيف له أن يصمم لأشخاص لايريدون المشاركة ولو بالرغبة . وحاول أن يستطلع رأىَ سيدات القرية بوصفهن أقربَ إلى متطلبات المسكن من الرجال . ولكنه لم ينجح فى ذلك لابتعاد النساء عن هذا الأمر . لقد تم بناء عشرين مسكناً كنماذجَ لهم ، ليروا فيها النمطَ المعماري المقترح . وكان حسن فتحي يأمل فى استطلاع رغباتِ السكان من خلال هذه النماذج . وكان موقفاً محرجاً ومحيراً فى نفس الوقت ، ويقول : إن إحجام الناس عن المشاركة ربما يرجع إلى إحساسهم بأن المشروع حكومى ، وربما تختلف نظرتُهم ، ويقومون بدور أكثر إيجابية ، إذا كان المشروع ممولا من أموالهم الخاصة . وهكذا ظلت نظرية مشاركة المالك والمعمارى والحرَفى فى العملية الإنشائية فى قالبها الفلسفى بعيداً عن الواقع العملى ، وانهارت النظريةُ فى أولها .

حاول حسن فتحى أن يبحث عن القيم المعمارية فى قرية القرنة القديمة ، فلم يجد فيها إلا القليل من المتطلبات المعيشية . وكان يتصور أنه سوف يرى امتداداً لعمارة النوبة ، ولكنه لم يجد فيها أى علامة ، وأشار بعد ذلك إلى أن هذه القيم المعمارية تتناقص تدريجيا من صعيد مصر إلى الدلتا . وهنا لابد من التنويه بصعوبة المقارنة بين عمارة النوبة ، والعمارة الريفية فى الصعيد أو الدلتا . فالنوبة مجتمع خاص له لغتُه الخاصة ، وظروفهُ البيئية والثقافية الخاصة ، التى أفرزت هذه النماذجَ الراقية من العمارة التلقائية . مما لا وجود له فى قرى الصعيد أو الدلتا ، اللهم إلا فى قرى عزب أسوان ، التى يسكنها سكانٌ من أصل نوبى . وهكذا شعر حسن فتحى بالفارق الحضارى بين سكان النوبة وسكان القرنة . وأخذ يبحث له عن مخرج لدفع النمط المعمارى الذى اقتنع به إلى القرنة الجديدة . وإذا كان حسن فتحى لم يوفّق فى فرض نظرية المشاركة بين صاحب الملك والمعمارى والحرفى فى قرية القرنة الجديدة التى أنشأها تحت سيطرته الكاملة .. فكيف له أن يطبق هذه النظريةَ على خمسة آلاف قرية أخرى فى الصعيد والدلتا .. إن النظرية تفقد ذاتَها العلمية ، إن لم تكن مبنية على الواقع العملى . ولكنها الرومانسيةُ الفنيةُ ، التى كانت العاملَ المستتر فى توجيه الفكر المعمارى والعمرانى لقرية القرنة الجديدة .

يقول حسن فتحي في مكان آخر عن قصة القرنة إنه أراد أن يعبُر الفجوة التي تفصل بين عمارة المجتمع وعمارة المعماري ، أراد أن يجد رباطاً واضحاً بينهما في صورة أشكال مقبولة للطرفين ، حيث يستطيع الفلاحُ بها أن يرى بعض الأشكال المعمارية القريبة منه ، ويبني عليها للمستقبل ، كما يستطيع المعماري أن يختبر بها صدق أعماله بالنسبة للسكان والمكان . حاول حسن فتحي البحث عن عمارة تنبع من البيئة المحلية ، وكأنها عريقة المنشأ ، كالنخيل أو الشجر الذي ينبت في نفس المكان . كان يرغب في أن تكون القرية الجديدة مثلا لإمكانية قيام العمارة المحلية بالناس في مصر ، مع أن الناس في حالة القرنة لم يشاركوا في بنائها .

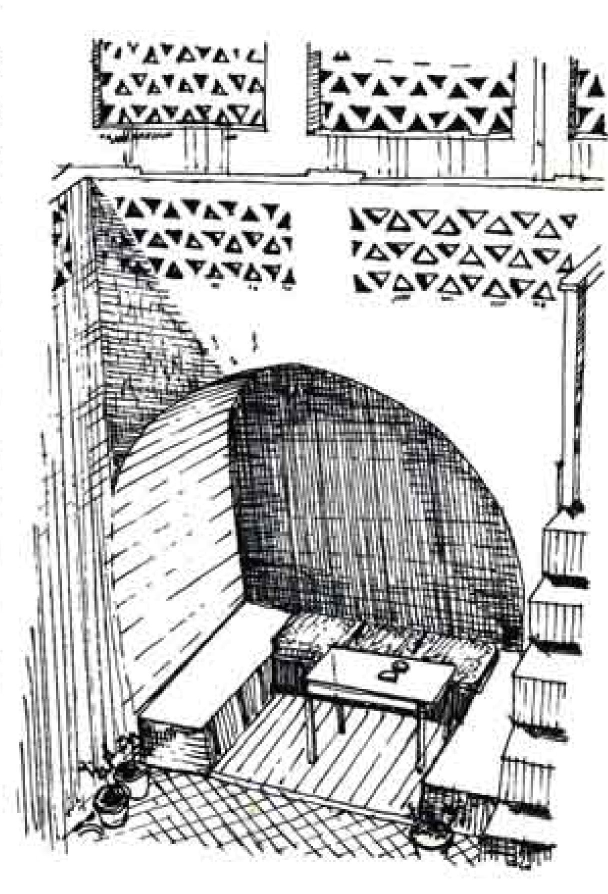


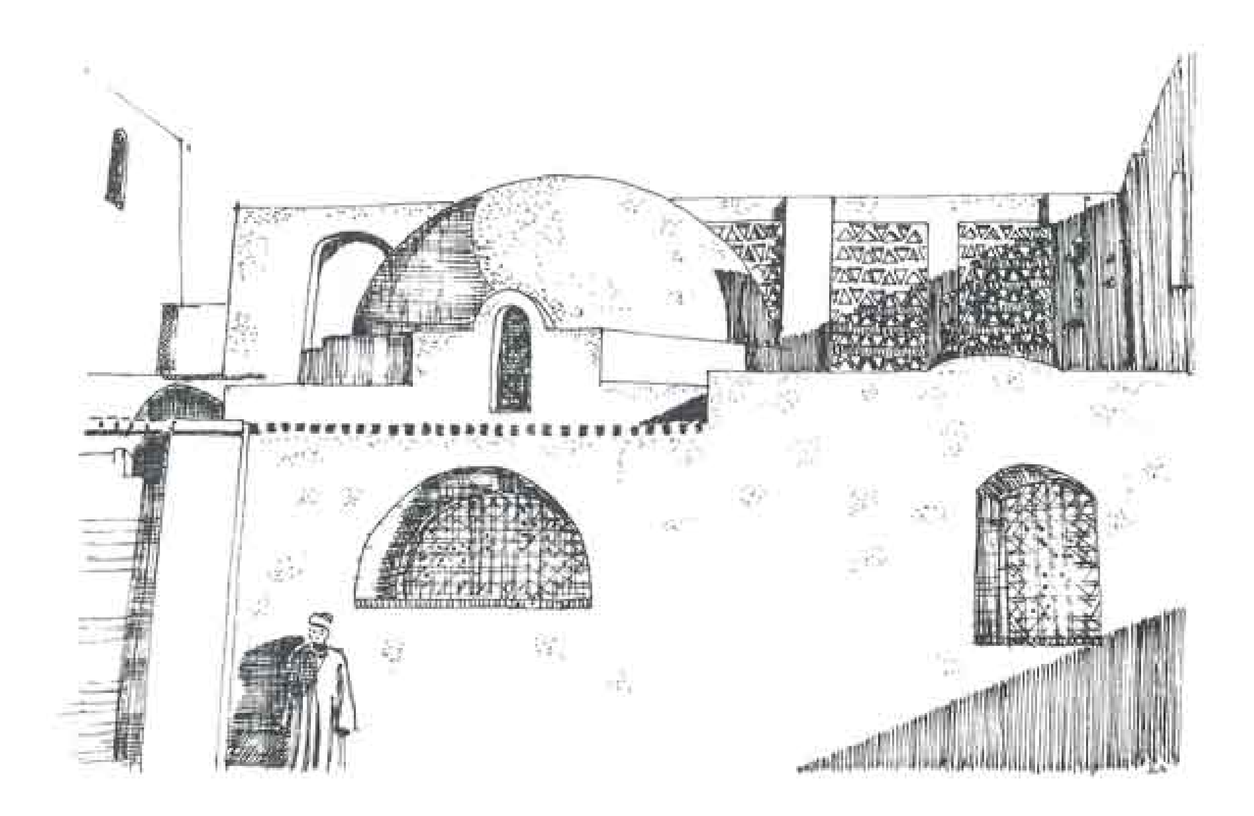
محاولة إظهار أن العمارة تنبع من البيئة في تصميمات قرية القرنة الجديدة .

ويدخل حسن فتحى بعد ذلك فى موضوع البيئة ، وحرارة الموقع ، وكيفية المساعدة على حركة الهواء فى داخل المسكن ، فيقول إنه كلما زادت نسبةُ مساحة الفتحة التى يخرج منها الهواء إلى الفتحة التى يدخل منها كلما زادت سرعة الهواء فى كل أرجاء المبنى . وهذا يعكس المنطق السائد الذى يحاول المعماريون فيه أن يضعوا فتحاتٍ أوسع ناحية الشمال الغربى لاستقبال الهواء من هذا الاتجاه ، كما يضعون فتحاتٍ أضيق فى جنوب المبنى . وهكذا يتطرق حسن فتحى إلى موضوع التوجيه الأنسب للمبانى السكنية بعناصرها المختلفة . ثم ينتقل إلى موضوع الملقف كأحد عناصر العمارة القاهرية القديمة ، وإمكانية استعماله فى المبانى العامة فى قرية القرنة ، مع أنه لايوجد مثيل محلى له لا فى عمارة القرنة القديمة ولافى عمارة أى قرية من قرى الصعيد .. وفى نفس الاتجاه يلجأ إلى المشربية وإمكانية استعمالها فى مبانى القرية .. هكذا يلجأ حسن فتحى إلى العناصر المعمارية فى عمارة الأغنياء بالقاهرة القديمة ، لتطبيقها فى عمارة الفلاحين ، أو كما يسميها عمارة الفقراء فى القرنة الجديدة .

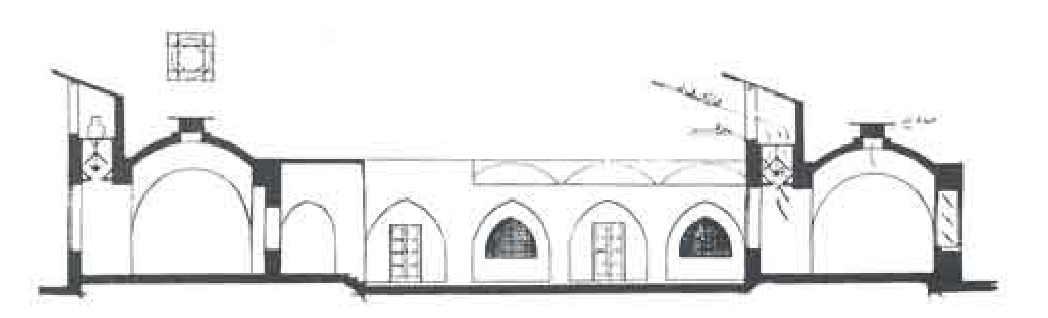
وفى مجال ربط العمارة بالمجتمع يقول حسن فتحى فى قصة القرنة الجديدة : إن لدينا مجتمعاً حيا قائماً فى القرنة القديمة ، فإما أن تنشأ له وحدات سكنية نمطية ، مثل الأحذية الجاهزة ، وكل عائلة تختار الأقرب إلى رغباتها ، أو أن تنشأ وحدة سكنية لكل عائلة على حدة ، الأمر الذى يتطلب التشاور مع كل عائلة ، للحصول على كل البيانات الممكنة ، بالرغم من صعوبة الأمر ، وتشكك مجتمع القرنة فى المشروع . وكان لابد من عمل دراسة عمرانية اجتماعية على القرنة القديمة ، وذلك لاستطلاع مستقبل التركيب السكانى للقرية ، مع زيادة التعليم ، وظهور طبقة من الموظفين من أولاد الفلاحين ، وانعكاس تأثير المدينة على متطلباتهم المعيشية ومنها نوعية الإسكان ، وذلك مع اندثار أغلب حرف البناء التقليدية . ويقول حسن فتحى إنه لم يتوفر لهم خبير فى الاجتماع السكانى ، فكان لابد من الاعتماد على الظاهر من البيانات التخطيطية ، ومع ذلك بدأ يوضح أهمية الفناء الخارجى ، الذى تلتف حوله مساكنُ العائلات المركبة أو المتقاربة نسبيا . ثم تحدث عن أهمية الفناء الداخلى فى السكن العربى ، الذى نشأ فى الصحراء ، وكيف أن جزءَ السماء المرتبط بالفناء الداخلى هو قبةٌ مرفوعة على أربعة أركان ، الأمر الذى يوفر قيمةً رمزية للمسكن ، وهو نفس الرمز الذى توفره القبةُ المنشأة على ثمانية أضلاع ، ويمثل عرش الرحمن الذى يحمله ثمانية .. وهو نفس التشبيه الرمزى الذى يستعمله الصوفية ، ويُخرج المضمون عن الشكل ، وهذا مالايرتبط بالقيم الإسلامية الصريحة

الفناء الداخلى فى أحد بيوت القرنة الجديدة .

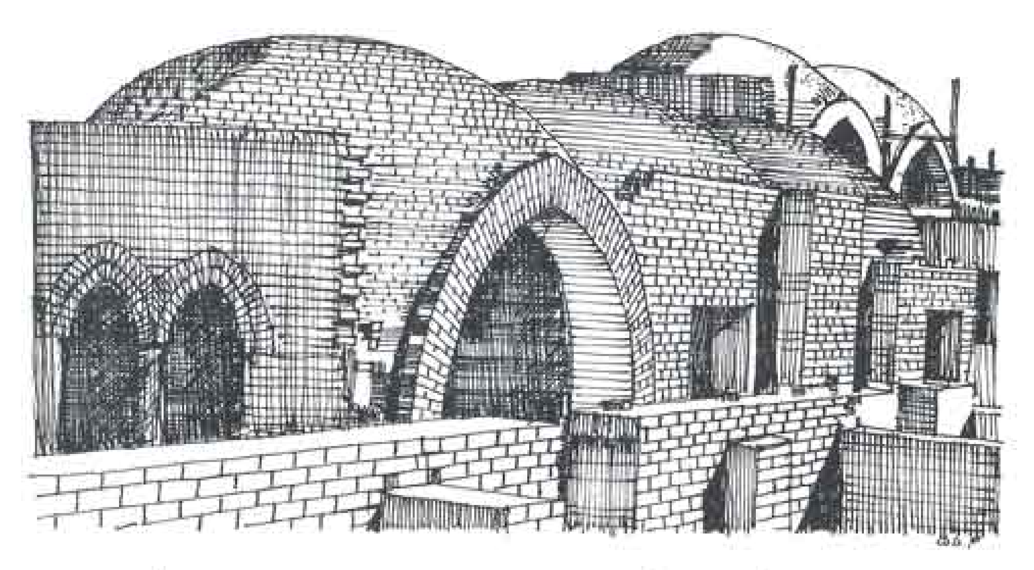




أحد البيوت من الطين النيء بالقرنة الجديدة - وتظهر المشربية كعنصر جديد فى مبانى القرية .



الملقف فى المدرسة الابتدائية بالقرنة الجديدة - عنصر جديد أدخله حسن فتحى فى عمارة القرنة الجديدة نقلاً عن عمارة القاهرة القديمة .



قصر الشيخ ناصر بالكويت - يعكس النمط المعمارى الذى اتبعه حسن فتحى ، وظهر فى أغلب تصميماته من جنوب الصعيد وحتى أبكيو فى أمريكا

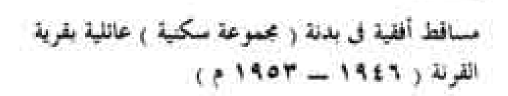
الواضحة . لقد أسهب حسن فتحى فى شرح هذه التشبيهات حتى رسخت فى عقول العديد من المعماريين العرب وغيرهم من الأجانب .. ومع ذلك فإن التطرق إلى هذه المسائل الرمزية لا علاقة له بمساكن القرنة القديمة أو بالعمارة الريفية فى المنطقة ، وإن كان يعتبرها مبرراً للنمط المعمارى ، الذى تولد فى مخيلته ، والذى ظهر فى تصميماته لمبانى القرية فى جنوب الصعيد ، وانتشر به حتى وصل « أبكيو » فى أمريكا غرباً .. وقصر الشيخ ناصر فى الكويت شرقا . وإذا كان الفناءُ الداخلى هو انعكاسٌ طبيعى للمتطلبات المعيشية للسكان .. فإن القبة التى هى نمط إنشائى يمكن تحقيقه بالمواد المحلية ، أصبحت فى عمارة حسن فتحى فى القرنة رمزاً معمارياً ، يطبقه فى كل تصميماته للعمارة الريفية التى حصر نفسه فيها . وقد عمل على تجميع المساكن التى تضم مجموعةً عائلية واحدة ، أو مايسمى بالبدنة حول فناء خارجى أسماه حوش الباشا ، ناقلا بذلك بعض الألفاظ ذات المدلول الأرستقراطى إلى القرية . وتتكون البدنة من عشرة إلى عشرين مسكنا متلاصقا تختلف حجما ومركزا ، تبعاً للهيكل الاجتماعى لأفراد البدنة . ولم يذكر حسن فتحى ما إذا كانت البدناتُ المكونةُ للتخطيط العمرانى للقرية هى نفسها البدناتُ القائمة فى القرية القديمة ، مع توضيح طبيعة العلاقات المكانية بين المساكن المكونة لكل منها ، حيث من المفروض نقل كل بدنة على حدة إلى القرية الجديدة ، إذا صح هذا الهدف الذى يؤكده حسن فتحى فى المدخل التخطيطى للقرية الجديدة . ويقول إنه صمم المساكن فى كل بدنة حول فناء خارجى ، ليكون ملتقى لأفراد البدنة فى أفراحهم وأتراحهم ، على طول الطرق العامة . ولم يحاول حسن فتحى حل مشكلة الحطب حلا علمياً سواء فى التخزين أو الاستعمال ، والحطب من المظاهر المخلة بالقرية المصرية ، التى لم يكن لها أثر فى مساكن قرى النوبة . لقد أعطى حسن فتحى الفناءَ الخارجى للبدنة قدراً من التحليل الوظيفى الاجتماعى والمناخى والإنسانى ، فى أسلوب شيق جذاب يتعرض فيه لعادات القرية المصرية ، والعلاقات الاجتماعية بين أفرادها . سواء كانت هذه النواحى متوفرةً فى القرية القديمة أم لا ، وهى قرية ذات طبيعة خاصة ، أنشئت فى ظروف خاصة ، وأقام بها أهلُها لهدف خاص ، يرتبط بالتنقيب عن الآثار ، وقد لاتتوفر لها المقومات الاجتماعية السائدة فى الريف المصرى ، وهو مالم يظهر فى قصة القرنة التى كتبها حسن فتحى تحت عنوان « عمارة الفقراء » . وهكذا تستمر النظرية بعيدةً عن الواقع ، ويسيطر الفكر المعمارى على التصميم والتشكيل العمرانى أكثر مما يسيطر عليه الفكر التخطيطى فى المقام الأول .



مسقط أفقى الدور الأرضى

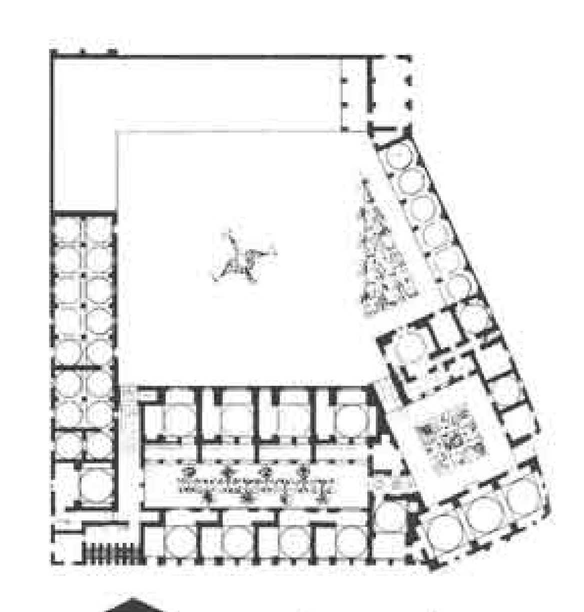


مسقط أفقى الدور العلوى

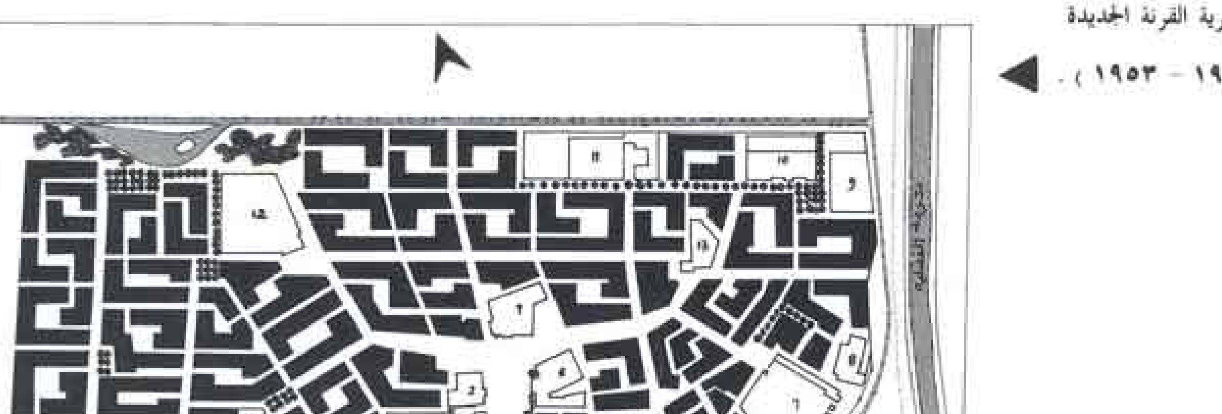


مساقط أفقية فى بدنة (مجموعة سكنية) عائلية بقرية القرنة (١٩٤٦ ــ ١٩٥٣ م)

فى إطار الفكر التخطيطى المحدود ، يقول حسن فتحى إن تخطيط القرية الجديدة وضع ليستوعب تسعة آلاف نسمة (٩٠٠٠ شخص) يعمل منهم حوالى ٣٠٠٠ فى الزراعة ، والباقى لابد من البحث لهم عن فرص عمل خاصة ، فى خدمة الآثار ، والأنشطة السياحية ، والصناعات الريفية ، وكان على حد قوله يريد أن يعلم سكان القرنة طرق ضرب وحرق الطوب ، واستخدام الحجر ، وأساليب البناء والأعمال الصحية والبياض حتى يمكن بناء القرية . أما الأثاث الداخلى ، فكان يريد أن يحافظ على التصميمات التقليدية ، مع تطويرها لتتناسب مع التصميمات الجديدة . وكان يريد إنشاء صناعات حرفية عديدة ، تخدم صناعة السياحة كما تخدم القرى المجاورة ، الأمر الذى يساعد على الارتقاء بالمستوى الحضارى للقرية الجديدة ماديا وثقافياً . لذلك فكر حسن فتحى فى بناء مركز تدريب حرفى وسوق تجارى ، واقترح إدخال صناعة النسيج اليدوى ، لكنه لم يوفق فى ذلك . ثم اقترح إدخال صناعة الفخار وجانبه التوفيق ، واقترح بناء خان للحرف يضم مجموعةً من الورش ومساكن لأصحابها ، ووضع خطة لتدريب وتشغيل هذه الخان ، ذلك بخلاف اقتراح بإنشاء مدرستين ابتدائيتين لأطفال القرية . وعلى الطريق العام اقترح حسن فتحى إقامة معرض لمنتجات القرية بجوار مركز اجتماعى ومركز صحى وحمام شعبى ومسرح مكشوف ، وضمن كل هذه المقترحاتِ فى تقرير رفعه إلى مصلحة الآثار ، على أن يتم بناء هذه المبانى بالجهود الذاتية ، مع غيرها من مساكن القرية . ويقول حسن فتحى إن مصلحةَ الآثار ، لم توفر له إلا ١٥٠٠٠ جنيه ليبدأ بها مشروعه . وهنا يبدأ التحدى خاصة وأن أهالى القرية القديمة

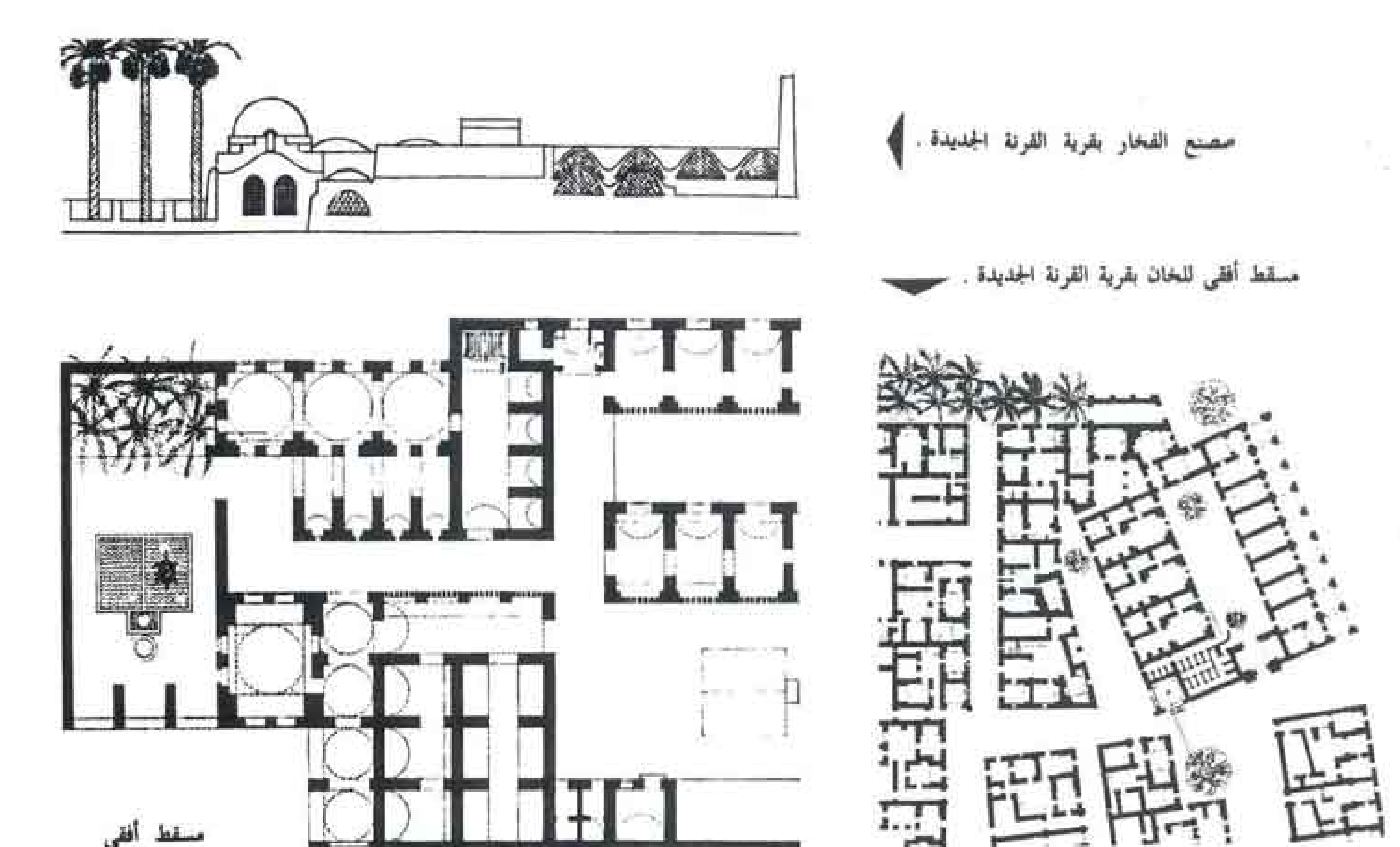


مسقط أفقى الدور الأرضى للمدرسة الابتدائية بقرية القرنة الجديدة .



المخطط العام لقرية القرنة الجديدة بالأقصر (١٩٤٦ - ١٩٥٣) .

كانوا معارضين لبناء القرية الجديدة ، ومع ذلك حاول حسن فتحى توزيع مجموعاتهم السكنية القديمة ، على التخطيط الحديث للقرية الجديدة التى تتكون من أربعة أحياء ، لإسكان الأسر الممتدة الرئيسية الخمس ، التى تقطن أربعة أحياء فى القرية القديمة ، وبنفس العلاقات المكانية التى كانت عليها الأسر وإن لم يظهر ذلك فى شكل مخططات توضيحية ، وهنا لم تظهر أى مشاركة من هذه الأسر فى اختيار مواقعها فى القرية الجديدة . وكان التوزيعُ العام لهذه الأسر اجتهاداً شخصياً له . والتساؤل هنا هل كان حسن فتحى قد خطط القرية أولا بالصورة التى وضعها ، ثم حاول إسكان الأسر فى أحيائها المتجاورة ، أمْ أنه وزع القبائل أولا فى الموقع الجديد ، وبنى مخططه على ذلك ؟! هنا يغلب أيضا الفكر المعمارى على الفكر التخطيطى . ويلاحظ أيضا أن توزيعَ الأسر فى القرية القديمة كان فى شكل أحياء منفصلة أو متباعدة أكثر مما هو ظاهر فى تخطيط القرية الجديدة ، بالإضافة إلى أن الفصل بين أحياء القرية لايكون بالشوارع ، فالشارع دائما هو محور الحركة والنشاط فى الحى السكنى بالقرية ، وهذه ظاهرة تتصف بها القرية المصرية . ويقول حسن فتحى إن الشوارع العريضة التى تفصل الأحياء هى فى الأساس شرايين رئيسية لحركة المرور ، التى تتصل بكل المبانى العامة وتلتقى عند الميدان الكبير .. إنه من الصعب التفرقة بين مسارات المرور ومسارات المشاة فى هذه الحالة . ومع ذلك فإن التخطيط العام للقرية ،

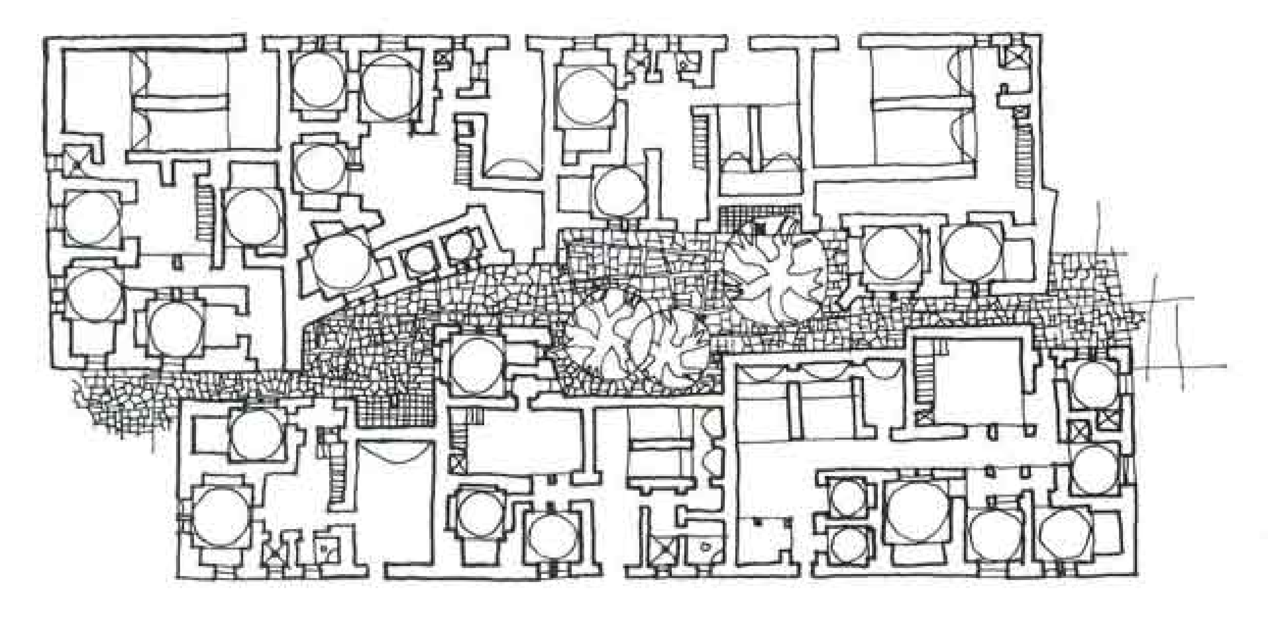


صصنع الفخار بقرية القرنة الجديدة .

مسقط أفقى للخان بقرية القرنة الجديدة .

الذى وضعه فى عام ١٩٤٦ يعتبر فى حد ذاته تقدماً تخطيطاً وفكرياً ، بالنسبة لهذا الوقت ، حيث كان التخطيط العمرانى لايتعدّى أن يكون مجموعة من الشوارع المتقاطعة ، بأشكال هندسية منتظمة . لقد فتح حسن فتحى بهذا التخطيط فتحاً جديداً فى تخطيط القرى ، بل وفى التخطيط العمرانى بصفة عامة . حاول أن يعيد به صورةَ المدينة القديمة بكل ملامحها التشكيلية والبصرية ، الأمر الذى ظهر فى المساقط الأفقية المختلفة للوحدات السكنية فى صور غير منتظمة ، كما ظهرت هذه الصورةُ أيضاً فى التشكيلات البصرية للأفنية الخارجية للمجموعات السكنية . ويقول حسن فتحى بعد ذلك إن المعمارى الذى تأثر خياله بجمال مدينة « سيينا » و « فيرونا » فى إيطاليا ليس من العدل أن يقدم للعميل الذى يتعامل معه أقل من أجمل عمارة يمكن أن يصوغها . والمعمارى المصرى يستطيع أن يرى الشوارعَ الجميلة فى القاهرة القديمة ، فى درب اللبانة بميدان صلاح الدين فى منطقة القلعة فى شارع الدرديرى ، ويرى كيف عالج المعمارى وضع الغرف المربعة فى الأدوار العليا بالنسبة لحركة الانحناء فى الشوارع . وإن كانت هذه الصور لاتتكرر فى القرية المصرية ، فالقرية المصرية لاتعدو أن تكون كتلةً صماء من المبانى ليس فيها العمق الثقافى أو الحضارى لقرى النوبة مثلا أو للأحياء القديمة من المدن . من هنا نلاحظ أن حسن فتحى يحاول أن يعكس انطباعاتِه التشكيليةَ أو البصرية عن المدينة القديمة على القرية الجديدة ، كما حاول فى نفس الوقت أن يعكس التصميمات المعمارية ، لمساكن الفسطاط مثلا ، على مساكن القرنة الجديدة ، مع اختلاف مساحتها وأحجامها وتكويناتها التى تعطى القرية طابعها البصرى المتميز والجميل .

دراسة لشارع قروى بفسحة مغلقة ــ القرنة الجديدة .



وهنا يظهر تساؤل آخر عما إذا كان حسن فتحى قد لجأ إلى هذا الاختلاف فى التصميمات ، بهدف إعطاء تكوينات بصرية جميلة ، وحتى يتاح له فى نفس الوقت أن تخصص هذه المساكن للعائلات المختلفة ، حسب أحجامها المختلفة ؟ . أم أنه درس الهيكل السكانى للعائلات أولاً ، ليدرك احتياجاتِ كل منها من الإسكان الجديد ؟ حتى وإن لم يتجاوبْ سكانُ القرنة القديمة مع عملية التخطيط أو البناء كما قال . الأمر الذى أبعد نظريته فى البناء بالجهود الذاتية عن الواقع خاصة فى هذا المشروع . وهنا يجيب حسن فتحى فى كتابه « عمارة الفقراء » أنه وقد أقحم نفسَه فى تنظيم المساكن التى تختلف فى الحجم حسب مساحات المساكن القديمة التى سوف تستبدل بدلا عنها فى المجموعات السكنية الغير منتظمة ، فكان لابد من تصميم كل مسكن ليتناسبَ مع السكان الذين سيقطنونه . ويُفهم من ذلك أنه صمم بإتقان مسكناً خاصاً لكل عائلة فى القرية القديمة ، فى مخططه للقرية الجديدة ، وتحاشى فى ذلك إضافة الاختلافات بدون هدف . ويقول أيضا إنه أخذ على عاتقه تصميمَ المساكن تبعاً للتخطيط الغير منتظم وليس العكس . فالتخطيط على أساس تصميمات معمارية مسبقة لايعطى إلا لمحاتٍ من الجمال . ويرجع التساؤل مرة أخرى إذا كانت القرية القديمة بها أكثر من ٦ آلاف شخص ، والتخطيط الجديد للقرية وضع كما يقول حسن فتحى لاستيعاب ٩ آلاف شخص أى حوالى ١٥٠٠ أسرة ، باعتبار متوسط حجم الأسرة ٦ أشخاص ، فهل يستطيع المعمارى أن يصمم هذا العدد ولكل مسكن على حدة وبإتقان ؟ قد يحدث ذلك إذا استعمل المصمم أسلوبا فى توحيد العناصر الداخلية للمسكن ، يستطيع أن يزيدَها أو يقلل منها تبعاً لظروف كل عائلة . وإن كان ذلك لم يتيسر فى حالة القرنة ، حيث لم يشارك السكان فى عملية التخطيط ، أو التصميم لمساكن القرية الجديدة ، بل ربما كانوا يقاومون هذا المشروع كما يقاومون حسن فتحى نفسه .

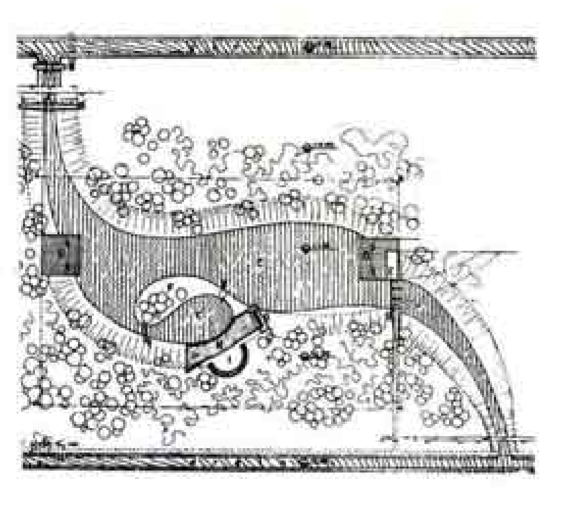
لقد وصف حسن فتحى بإسهاب مبانى القرية بالتفصيل شارحاً المدخلَ التصميمى لكل منها ، فبدأ بالمسجد ثم السوق ثم المسرح ، ثم المدارس ، ثم الحمام ومكان ضرب الطوب ، ومنزل الفلاح بتفاصيله ، وعناصره المعمارية ، ثم انتقل فجأةً بعد ذلك إلى مشروع آخر هو الوقاية من مرض البلهارسيا ، وإنشاء البحيرة الصناعية بجوار القرية . وهذا موضوع آخر اهتم به حسن فتحى ، وعرضه على العديد من أطباء الصحة العامة للموافقة عليه . ولكن من الملاحظ أنه فى إدخاله لعنصر المسرح إلى القرية ، كان يرجع إلى مفهوم المسرح الإغريقى ، وهو عنصر غريب على القرية المصرية كما يعترف بذلك . كما أنه بإدخاله لعنصر الحمّام العام إلى القرية إنما يعيد

مسقط أفقى لاثنين من بيوت المزارعين فى قرية القرنة الجديدة



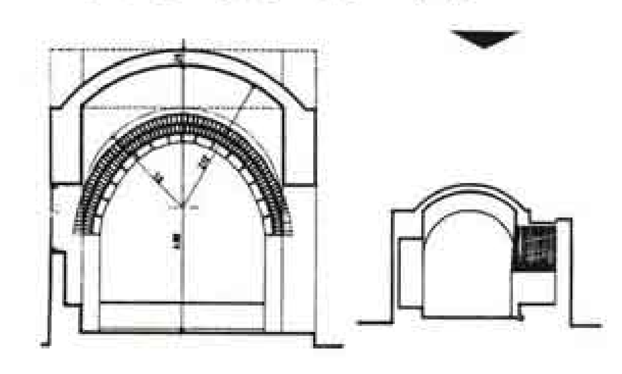


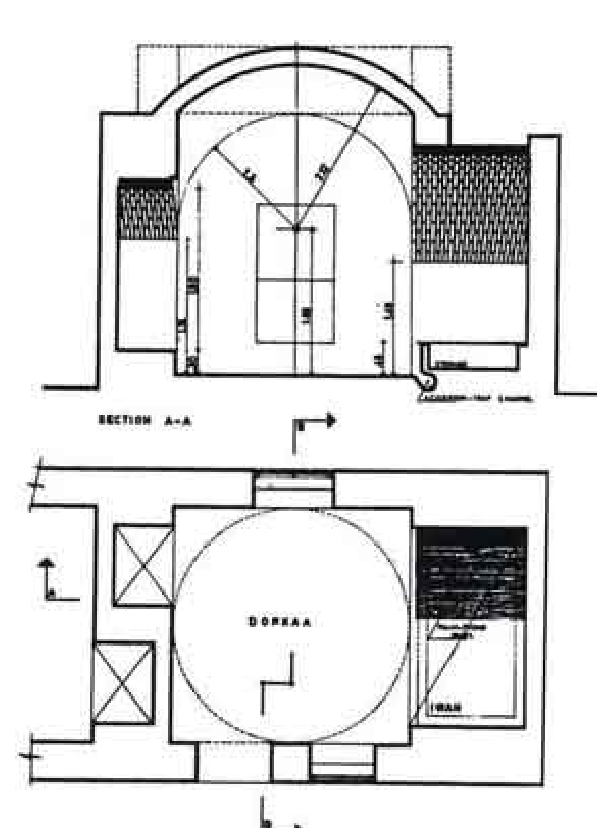
مسجد قرية القرنة الجديدة – عام (١٩٦٨ م) .



مسقط أفقى للبحيرة الصناعية المقترحة للوقاية من مرض البلهارسيا

تفاصيل غرف النوم بمساكن قرية القرنة الجديدة .



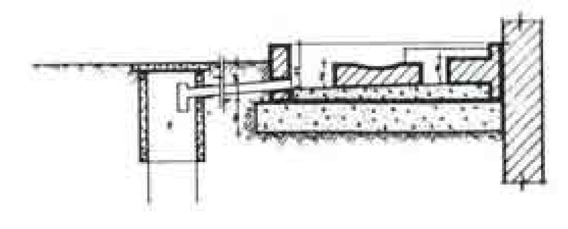


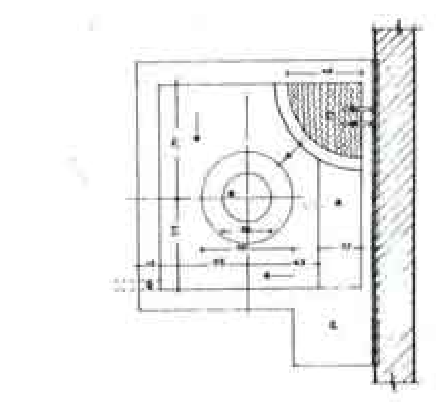
بعضَ المعالم المعمارية فى المدينة العربية القديمة . والحمام العام بالصورة التى وضعها عنصر غريب على القرية المصرية . ويدل ذلك على الخلفية الثقافية عند حسن فتحى ، والتى يريد أن يحققها فى مشروع القرنة ، فهو تارةً يرجع إلى العمارة الإسلامية فى القاهرة القديمة كمصدر للإلهام ، ومرةً يرجع إلى المسرح الإغريقى كجانب ثقافى ، ثم الحمّام كعامل اجتماعى ، مبرراً كل ذلك بأسلوبه المقنع الجميل .

وفى وصفه لمسكن الفلاح ، يحاول حسن فتحى إبراز التفاصيل التصميمية للمسكن من خلال مشاهداته الخاصة ، مبرراً مدخلَه التصميمى لمساكن القرنة الجديدة ، ومايجب أن تكون عليه . فهو يحاول إبراز الشكل التصميمى لغرفة النوم ، بما يتلاءم مع فكره التصميمى ، وكيف أن السرير يمكن بناؤه بين الدعامات الركنية ، التى تحمل القبة ، التى تغطى الغرفة . وهنا يرجع مرة أخرى إلى تصميم مساكن القاهرة القديمة ، أو المسكن العراقى القديم ، أو مساكن الفسطاط ، ثم يتطرق إلى عنصر الفرن والتدفئة ويحاول تطويره فيلجأ إلى نظام المطبخ والتدفئة الذى كان مستعملا فى منطقة التيرول بالنمسا ، ويحاول تطبيقه فى مساكن القرنة . وعندما تطرق إلى عنصر التغذية بالمياه لجأ إلى بعض الأمثلة من الهند ، وكيف أن البنت الريفية تفضل أن تنقل المياه من الترعة إلى المنزل أكثر مما تفضّل مد المساكن بشبكات المرافق الموجودة .

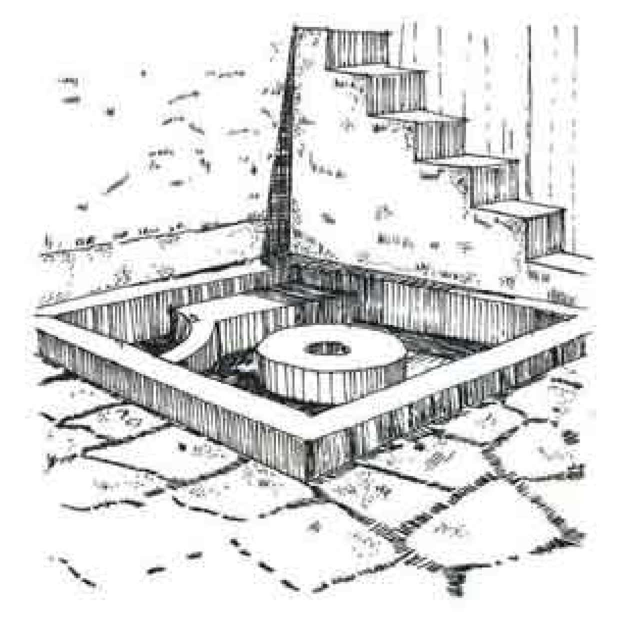
ثم يصف خزاناتِ المياه من الفخار لكى توضع أعلى المساكن . ثم يتدخل فى نظام المعيشة بالمسكن الريفى ، ويحاول أن يصمِّم لربة المسكن مكاناً مناسباً للغسيل فى فناء المسكن . ثم يحاول علاجَ مشكلة التخلص من

الفضلات البشرية ، كما يشرح بالتفصيل مبدأ تصميم حظيرة المواشى . ويظهر هنا اهتمام حسن فتحى بالتفاصيل المعمارية ، ولكن من المنطق المعمارى أكثر منه من الواقع العملى ، ومدى تجاوب الفلاح مع البيئة المعمارية التى يقترحُها .. فهو فى البداية يتحدث عن أسلوب تصميم المسكن من الجانب المطلق ، وليس مكان القرنة على وجه الخصوص . فهو لم يوضح التكوينَ الاقتصادى لسكان القرنة القديمة ، سواء كانوا عاملين فى الزراعة أم فى الرعى أم فى أى نشاط آخر . وهو هنا يفترض أنهم سوف يعملون فى الزراعة ، ويبنى تصميمَه على هذا الافتراض . كما لم يوضح من ناحية أخرى مكانَ العمل بالنسبة لسكان القرنة القديمة ، وأين كانت مزارعُهم بالنسبة للقرنة الجديدة ، وكم يبلغ متوسط دخل الأسرة ، ومدى استعدادهم للمساهمة المادية فى الإنشاءات الجديدة ، أو بمعنى آخر اعتبارهم من الفقراء ، وماهو تعريفه للفقراء هنا ؟ اللهم إلا إذا اعتبر جميع الفلاحين من الفقراء . لقد كان حسن فتحى يتصور أنه فى بنائه للقرنة الجديدة ، سوف يقدم تجربةً ومثلا لأسلوب إعادة بناء القرى فى ريف مصر ، وذلك دون تقدير واضح لحجم المشكلة ، وما تحتاجه من تنظيمات إدارية ومالية ، لتحقيق هذا الهدف الكبير . فكان حسن فتحى يأمل أن يكونَ هذا المشروعُ نقطةَ انطلاق للجهود الذاتية فى البناء ، سوف تنتشر بين ملايين الفلاحين فى مصر ، ليقوموا بضرب الطوب وحفر الأرض وتحضير المونة وإطفاء الجير ، ووضع نظام الأعمال الصحية بأنفسهم . وبمعنى آخر حث الفلاحين على بناء مساكنهم بكل مافيها من تفاصيل معمارية ، كان حسن فتحى يريد أن يعرف كل شيء بالتفصيل عن تكاليف العمارة ، وتكاليف مواد البناء ، التى يمكن إنتاجها فى الموقع حتى يمكن حساب تكاليف الإنشاء ، بحيث يمكن تطبيقها فى مشروعات أخرى فى المستقبل . وهكذا كان خيالُه ينطلق وتمتد طموحاتُه ، التى بناها على أنقاض قرية القرنة .

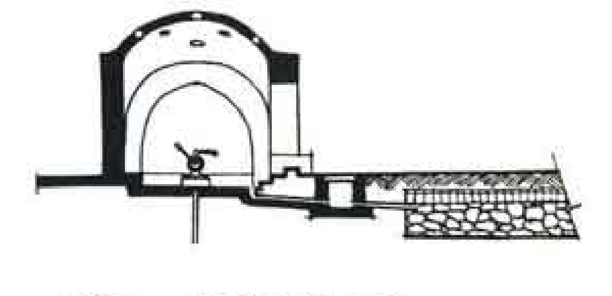




منطقة الغسيل فى فناء بيوت القرنة الجديدة .



ركن الغسيل فى فناء بيوت القرنة الجديدة .



قطاع بغرفة مضخة المياه .

القرنة مشروع رائد .. إلى أى مدى ؟!



أسلوب البناء كما يراه حسن فتحى - القرنة الجديدة .

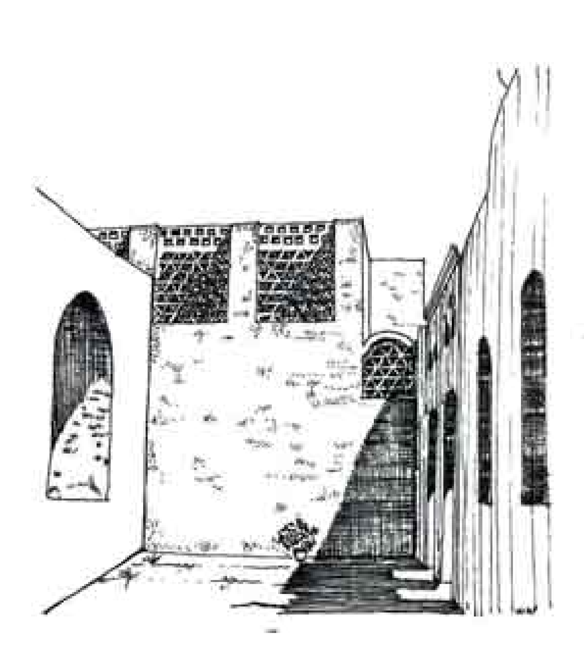
يقول حسن فتحى فى كتابه « عمارة الفقراء » « مع أنه كان يدفع أجورَ العمال فى مشروع القرنة الجديدة ، إلا أنه يرى إمكانيةَ تطبيق نظامه فى التخطيط وإدارة المشروع ، على القرى التى يقوم سكانُها بالعمل فى البناء تطوعاً ، وذلك بدلا من نظام المقاولات » . كما كان حسن فتحى يتمنى انتشارَ أسلوب البناء الذى طبقه قرية القرنة الجديدة ، فى باقى قرى الريف المصرى ، حيث يتوارث الأبناءُ الحرفةَ عن الآباء ، كما كان الأمر فى العصور السابقة ، هكذا دون اعتبار للتحولات الاجتماعية التى مر بها الريف المصرى ، بسبب التعليم العام الذى حول نسبة كبيرة من الأبناء إلى حرف غير زراعية . ومع ذلك فإن بناءَ القرنة الجديدة كان فى ظروف خاصة ، وتحت ضغوط خاصة ، وفى بيئة خاصة ، لايمكن اعتبارها ممثلةً لقرى الريف المصرى . فهنا قرية جديدة ، سوف تبنى لتستوعب سكان قرية قديمة سوف تزال ، الأمر الذى لايمكن تطبيقه على قرى مصر .. كما أنه ليس من المنطق بناء قرية جديدة على الأرض الزراعية ، وهدم قرية قديمة على الأرض الصحراوية .. إن العكسَ تماما هو المطلوب .

لقد كانت تجربةُ القرنة فى نظر حسن فتحى فاتحةً لتحقيق سياسة الإسكان الريفى على المستوى القومى فى مصر ، التى تعانى من نقص واضح فى الموارد المالية المخصصة للإسكان الريفى ، الأمر الذى لم تتحقق معه أى مخططات لإعادة بناء القرى المصرية ، فكانت المرحلة بين التخطيط والتشييد تبتلع المخصصاتِ المالية ، التى لم تكن تكفى إلا للقدر اليسير من المساكن . ولذلك كان يعاد التخطيط مرة أخرى بهدف بناء أكبر عدد ممكن من الوحدات السكنية ، بأقل تكاليف ممكنة . ويرجع ذلك من وجهة نظره إلى أن المعمارى دائماً مايفكر بالمواد وطرق الإنشاء التقليدية . والفلاحُ لايمكن أن يستخدم المعمارى لتصميم مسكنه . كما أن المعمارى يعمل للأثرياء أكثر مما يعمل للفقراء ، وهو يقيم فى المدينة ولا يقيم فى القرية . وهكذا تعمل وتفكر أجهزة التخطيط والإدارات الهندسية . ويعرض حسن فتحى بعد ذلك استعداده لتنظيم العمل لإعادة بناء القرى المصرية باستعمال الطين ، بأى حجم ، وفى أى مكان ، توفيراً للتكاليف الكبيرة ، التى يتحصل عليها المقاولون . وإذا كان ذلك مقبولا من الناحية

النظرية ، فإلى أى مدى يكون مقبولا من الناحية التطبيقية ؟ فتطبيقُ منهج حسن فتحى فى بناء الريف بهذا الأسلوب ، لابد له من إعادة بناء الهياكل الإدارية والتنظيمية ، التى سوف تضطلع بهذا الحلم الكبير .. فإذا كان المعمارى لا يستطيع الإقامة فى القرية لإعادة بنائها .. فلابد من البحث عن بديل له مثل المعماريين الحفاة — كما فى الصين — وإذا كانت مادة الطين أصبحت من أوائل الستينيات عند بناء السد العالى مادةً نادرة ، فلابد من البحث عن مرادف آخر لها . وإذا كان إعادة بناء القرى القديمة ، لا يمكن تحقيقه على الأراضى الزراعية المجاورة ، فلابد من البحث عن بناء القرى الجديدة على الأراضى الصحراوية ، عند أطراف الرقعة الزراعية ، الأمر الذى أثار الخلاف الفكرى والمنهجى بينه وبين أصحاب السلطة فى الأجهزة الرسمية . هذا الخلاف الذى استثمره حسن فتحى فى تكرار الشكوى أمام مريديه وزواره من الأجانب لاعتباره ضحية للروتين الكافر الملعون حسب تعبيره .

فى نفس المجال أخذ حسن فتحى يفنّد عيوبَ نظام المقاولات ، الذى يبدأ بترسية الأعمال المعمارية على مقاول ، ثم ظهور مقاول الباطن ، ثم وسطاء الأعمال ، وهكذا تتفاقم نسبة الزيادة فى تكاليف البناء ، خاصة باستعمال المواد المستوردة ، أو المصنَّعة . وهو يرجع سبب ذلك إلى أن الجهات الرسمية تعتمد على معمارييها الذين ليس أمامهم نظام بديل ، ثم يشير إلى تجربة المعونة الذاتية فى بناء الريف المصرى ، التى تمت بمعونة الأمم المتحدة ، ويقول « إن مشكلة هذا النظام أنه ينتهى بانتهاء المعونة نفسها ، كما أن الفلاحَ الذى يتعلم خلط الخرسانة وإنشاء الأسقف المصنعة ، يتوقف عمله إذا توقفت عنه هذه المواد ، ويرجع إلى حالته الإسكانية الأولى ، بل يفقد حرفته الأولى فى البناء ، باستعمال المواد المحلية ! ويرى حسن فتحى أن المسئولين فى المكاتب ، أو الأساتذة فى الجامعات بالدول المتقدمة يسيئهم منظرُ الفقراء فى الدول المتخلفة ، فيعاملونهم معاملةَ الغنى للفقير الشحاذ ، إذ يعطيه مبلغاً من المال ، ويطلب منه أن يرحل . فهم فى حالة المعونة الفنية ، يرسلون لهم مثلا بضعةَ ملايين من المساكن الجاهزة ، أو كميةً كبيرة من الأسمنت ، أو بعض المعونة لإنشاء مجارى صحية لهم . أو تسكينهم فى مجموعة من التكُنات أفضل من هذه المساكن المنهارة ، التى يقيمون فيها » .. ويشرح حسن فتحى ذلك بأسلوبه التهكمى المعروف ، « ولو وجهت هذه المعونات إلى إنماء القدرات الذاتية للفلاح المصرى ، لأمكنه أن يصل بمسكنه إلى عمارة بيئية تحظى بإعجاب العالم » . وعن التجربة الأخرى فى بناء المسكن النواة ، يقول حسن فتحى « إنه إذا وفرت

استخدام مواد بناء من البيئة وأساليب بناء محلية — القرنة الجديدة .



الدولةُ نواةَ المسكن بالخرسانة المسلحة والطوب الأحمر ، فإنه يصعب على الفلاح استكمال المبنى عادة من الطين كمادة مختلفة » . وهو بذلك يصر على استعمال الطين ، ولم يتطرق إلى أى مادة أخرى كبديل ، ومن هنا يقول البعض إن إصرار حسن فتحى على استعمال الطين ، الذى أصبح مادةً نادرة يفقِد رسالتَهُ مبادئَها وأهدافَها . فالبحث عن التكنولوجيا المتوافقة باستعمال المواد المحلية لايقف عند مادة واحدة ، ولكن البحثَ لابد وأن يتطرقَ إلى مرادفات .. ولكن أين هذه المرادفات فى عمارة حسن فتحى ؟! ويستطرد حسن فتحى فى حديثه قائلا : « إن المعماريين والإنشائيين المسئولين عن إعادة إسكان الفلاحين ، إن لم يكونوا مقتنعين بأهمية إدراك الفلاح لدوره فى إعادة البناء الجديد ، فإنه من الصعب تحقيق أى سياسة للإسكان الريفى » . وتستمر هذه الدعوة دون برامج تنفيذية أو مناهج عملية ، فتستمر كدعوة نظرية ، لاتستقر فى الواقع الملموس .. وهذه هى المشكلة .. مشكلة الفلاسفة .

يقول حسن فتحى فى حديثه عن الأسلوب التعاونى فى بناء الإسكان الريفى « إن عمليةَ البناء فى الريف المصرى أصبحت نشاطا جماعيا مثل الحصاد أو إطفاء الحريق أو مثل الزواج أو الجنازة ، فالفلاحون فى النوبة يتعاونون فى كل ذلك تلقائيا مثل النمل أو النحل دون توجيه » ، وهنا يرجع حسن فتحى مرةً أخرى إلى المجتمع النوبى يمثل به عن آرائه ، مع أن هذا المجتمع لايمثل المجتمع الريفى المصرى ، فهو يختلف عنه لغةً وحضارة كما يختلف عنه بيئيا وثقافيا . ومن الخطأ اعتباره ممثلا للريف المصرى فى الدلتا أو فى الصعيد .. كما أن المجتمعَ الريفى تربطه قيمٌ اجتماعية ولاتربطه قيم تعاونية ، فهو لايتعاون فى العمليات الزراعية ، أو العمليات الإنتاجية الأخرى ومنها البناء ، ولكن تظهر قيمه الاجتماعية فى النواحى الإنسانية ، مثل الأفراح والزواج أو الموت أو عند الملمّات مثل التعرض للحريق ، أو التهديد بالفيضان . ثم إن هناك تبايناً واضحاً بين الأسلوب الأمثل لبناء المساكن الجديدة ، والأسلوب الأمثل لإعادة بناء المساكن القديمة ، الأمر الذى يدخل فى منهج الإرتقاء بالبيئات العمرانية . وهنا يمكن أن تطبق نظرياتُ حسن فتحى على بناء القرى الجديدة ، أكثر مما تطبق على إعادة بناء القرى القديمة . فى هذه الحالة يصبح منهج البناء التعاونى هو الأنسب سواء فى مراحل الإيواء الأولى أو مراحل الامتدادات التى تليها . ويرتبطُ التعاون الإسكانى بالتعاون الإنتاجى ، وهذا مالم يتطرق إليه حسن فتحى فى رسالته السامية . وبناء القرى الجديدة ، بطبيعة الحال ، لن يكونَ على حساب الأرض الزراعية ، بل فى المناطق الصحراوية ، وعندها يصبح ضربُ

المسجد أحد المبانى التى يمكن أن يطبق فيه منهج البناء التعاونى ــ القرنة الجديدة .



الطوب من الطين غيرَ ذى موضوع ، كما يُصبح تثبيتُ الرمل فى قوالب صالحة للبناء أمراً محتماً . وهنا يجب أن يبدأ البحثُ عن أسلوب جديد للتشييد ، كما بدأ البحث عن مواد جديدة للبناء . هذه هى بداية الطريق لبناء القرى الجديدة خارج الوادى ، وفى مناطق الإنتاج الجديدة زراعية أو صناعية . وهكذا يصبحُ التدريب من خلال الممارسة أمراً مقبولاً لدى العاملين فى هذه المناطق من زراع أو صناع ، بدءاً ببناء مساكنهم الخاصة ، أو بناء المبانى العامة ، التى يحتاجون إليها فى المراحل المختلفة للتنمية العمرانية ، وذلك فى نطاق نظام تعاونى متكامل إسكانى وإنتاجى معا ، كجناحين لعملية التنمية المحلية فى المناطق الجديدة . ولابد أن تتم عمليةُ البناء عن طريق فريق من البنّائين المحترفين ، يساعدهم فريقٌ من المشاركين المدرَّبين ، بحيث ينتقل البنّاء المحترف من مجموعة سكنية إلى أخرى ، بينما يساعده المدرَّبون من أبناء المجموعة السكنية . وهكذا تتكون عمالةٌ فنية دائمة يمكن استثمارها فى مشروعات أخرى ، وعمالة مدربة ينتهى عملها بانتهاء بناء مساكنهم ، فعملُهم الأساسى هو فى الإنتاج الزراعى أو الصناعى المحلى .

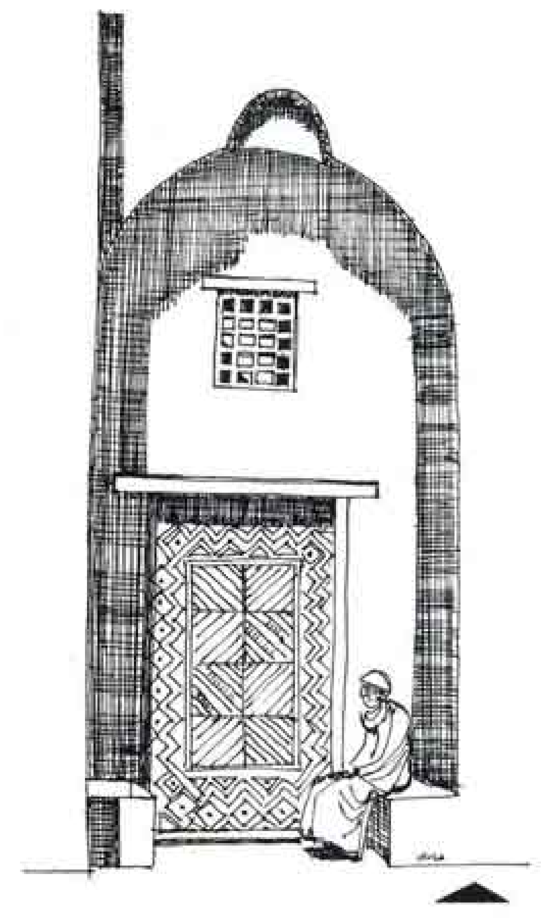
وحسن فتحى يقسم التدريب إلى خمس مراحل ، الأولى المتدرِّب ، والثانية المساعِد ، والثالثة مساعِد البنّاء ، والرابعة البنّاء والخامسة المعلّم ، ولايعنى ذلك أن ينتقل المتدربُ فى المراحل المختلفة حتى يصبح معلما ، كما يتصور حسن فتحى ، ولكن يقل العدد مع الانتقال من مرحلة إلى أخرى ، حيث يستمر التنظيم الهرمى للفئات المؤقتة من أصحاب المساكن والعمالة الدائمة الحرفية التى تنتقل إلى مشروعات أخرى ، وهو يتصور أن ينتهىَ التدريب بإعداد بنّائين يمكن أن يعملوا لدى الجهات الحكومية أو عند المقاولين . فقد اتصل حسن فتحى بالعديد من كبار المقاولين ، ليعرضَ عليهم فكره فى التدريب ، واستطلاع مدى طلبهم لهذه النوعية من البنائين ، فأبدوا جميعا رغبتهم فى استخدام هؤلاء العمال بعد ذلك . وهنا يظهر الإختلاف بين التدريب لإعداد البنّائين والتدريب لإعداد السكان المحليين ، للمشاركة أو المساعدة فى عمليات البناء . وهذا مالم يوضحْه حسن فتحى فى أسلوبه .

مــاذا بعــد القــرنــة الجــديــدة ؟

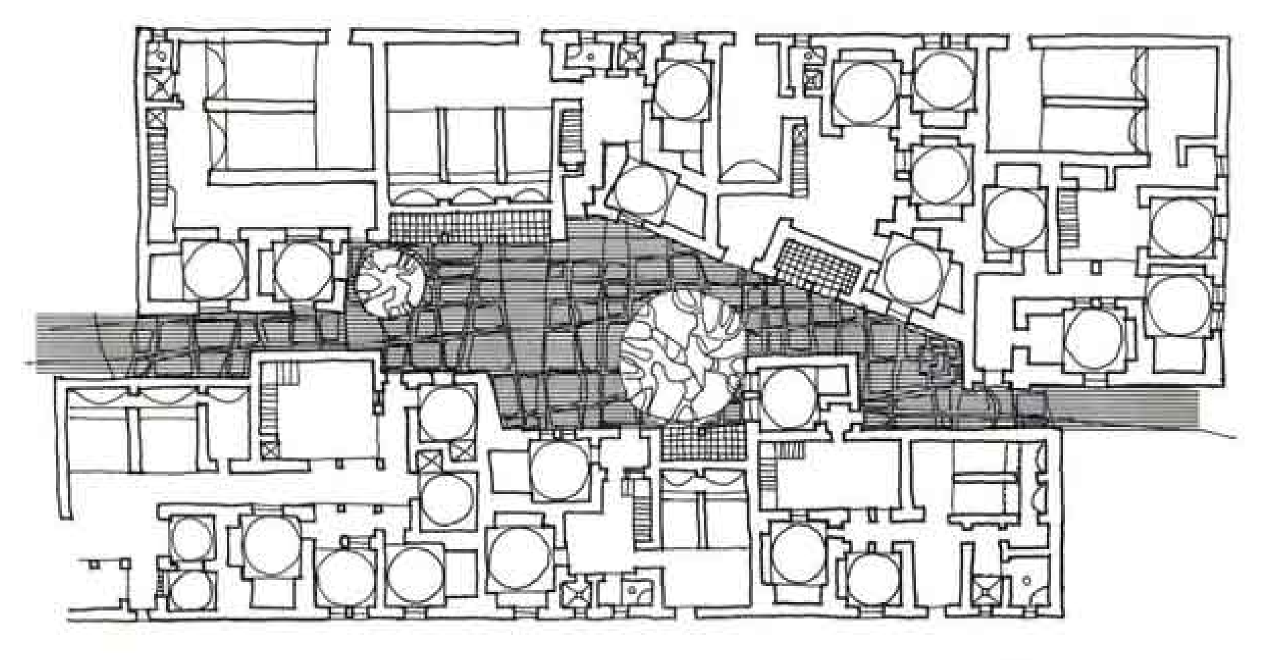
يقول حسن فتحى فى كتابه « عمارة الفقراء » « إن مشروعَ القُرنة لم يكن النهاية فى حد ذاته ، ولكنه كان البدايةَ بالنسبة لنظريته فى بناء الإسكان الريفى » . ومع أن عمارةَ الفقراء لاتقتصر على الفقراء فى الريف ، بل تمتد فى مفهومها أيضا إلى الفقراء فى المدن ، إلا أنه اقتصر فى منهجه على نصف المشكلة ، وتَرَكَ النصفَ الآخر دون أن يمسه فى محاولاته أو نظرياته . فبعد إنشاء قرية القُرنة ، اعترف فى كتابه أنها لم تُجِب على كل التساؤلات الخاصة بالإسكان الريفى . فبالنسبة لمواد البناء أثبتت التجربةُ إمكانية استعمال المواد المحلية فى البناء على نطاق واسع . مع أن هذه المواد المحلية وهى الطين أصبحت نادرةً ، أما بالنسبة للتكاليف فإن التجربة تجيب على هذا التساؤل ، حتى وإن لم يشارك أهل القرنة فى عمليات البناء ، لكون الانتقال إلى القرنة الجديدة ضد رغبتهم . فحتى يكون البناءُ رخيصاً فى الريف لابد من مشاركة الفلاح متطوعاً فى البناء ، ولكن لأن أهلَ القُرنة كانوا معارضين للمشروع ، فقد استخدم حسن فتحى العمالةَ المدفوعة الأجر ، وهو يحاول مع ذلك أن يخصم أجور العمالة من مشروعه ، حتى يثبت رخص البناء بالأسلوب الذى اقترحه . ويبدى حسن فتحى رغبتَه فى إعطائه الفرصة لتطبيق أسلوب التعاون الاختيارى فى بناء مشروع كبير . وقد جاءته الفرصةُ عام ١٩٥٤ ، عندما احترق جانبٌ كبير من قرية ميت النصارى وتُرك حوالى مائتى عائلة دون مأوى بعد هذا الحريق . وكانت رغبةُ الحكومة أن يتم إسكانهم فى أسرع وقت ممكن . وقد خصصت الدولةُ لكل عائلة ٢٠٠ جنيه كمعونة ، ورأى حسن فتحى تقسيمَ العائلات إلى عشرة مجموعات كل منها تضم عشرين عائلة بحيث يتم التفاوض مع كل مجموعة على حِدة ، واستطلاع إمكانية مشاركتهم فى بناء المساكن الجديدة . وقدرت تكاليف البناء بمبلغ ٨٤ جنيه للمسكن الواحد ، بحيث تأخذ كل عائلة ١٦ جنيه ، وتوفر الدولة ١٠٠ جنيه باقى المعونة ، وذلك على أساس إمكانية توفير ٣٠ عامل مساعد من كل مجموعة يمكن تدريبهم على أعمال البناء . وبعد اللقاء مع قادة المجموعات السكنية ، تم الاتفاق معهم على أن يقوم خمسة منهم بزيارة قرية القرنة الجديدة ، وفى نفس الوقت تم إعدادُ التصميمات المعمارية للمساكن الجديدة ، لتقدير حجم الأعمال المطلوبة ، واستطلاع رغبات العائلات قبل اختيار الموقع ووضع التخطيط

العام للمنطقة السكنية الجديدة. ولما كانت وزارة الشئون البلدية والقروية هي المسئولة عن الإسكان الريفى فقد كلفت معماريها بالقيام بهذه المهمة بالأسلوب الروتينى فى استعمال الخرسانة . وهكذا لم ينفذ المشروع بالأسلوب الذى اقترحه . ولم يذكر حسن فتحى هنا بدايةَ ارتباطه بالمشروع من الأساس ، هل كان بتكليف من الجهات الرسمية ؟ أو بتطوعه للقيام بهذا العمل دون تكليف رسمى ؟ فهو لم يستطع تقبلّ فكرة التعاون مع الجهات الرسمية ، بل فى عديد من الأحيان ، كان يظهر وكأنه يضع العراقيلَ أمام الجهات الرسمية حتى لاتتعاون معه ، كما ظهر فى مشروع المركز الثقافى بالجيزة ، الذى قام بتصميمه ، بالتعاون مع شركة التعمير والمساكن الشعبية فى السبعينات .

بالرغم من التنافر المستحكَم بين حسن فتحى والأجهزة الإدارية المصرية ، والتى كان دائم الشكوى منها ، إلا أنه كان يفكر فيما أسماه البرنامج القومى لإعادة بناء الريف ، أشار فيه إلى الأسس التخطيطية والمعمارية من المنطق النظرى ، لاسيما فيما يتعلق بمرحليات التنمية . فكما أن شبكاتِ الرى تحتاجُ إلى شبكات صرف فإن مد القرى بمياه الشرب لابد وأن يصاحبها نظامٌ للصرف الصحى . وأشار إلى أن ميكنة الزراعة سوف توفر قدراً من الأيدى العاملة لابد من إيجاد عمل بديل لها .. كما أن تصنيعَ المصنوعات الحرفية ، سوف يوفر قدراً آخر من العمالة ، يزيد من المشاكل الاجتماعية . وهو يؤكد هنا أن كل المشاكل التخطيطية التى تواجهها مصر ، وهبوط مستوى الحياة فيها سببه الزيادة السكانية الرهيبة على الأرض الضيقة . ويتطرق حسن فتحى بعد ذلك إلى جوانب التنمية القومية ،



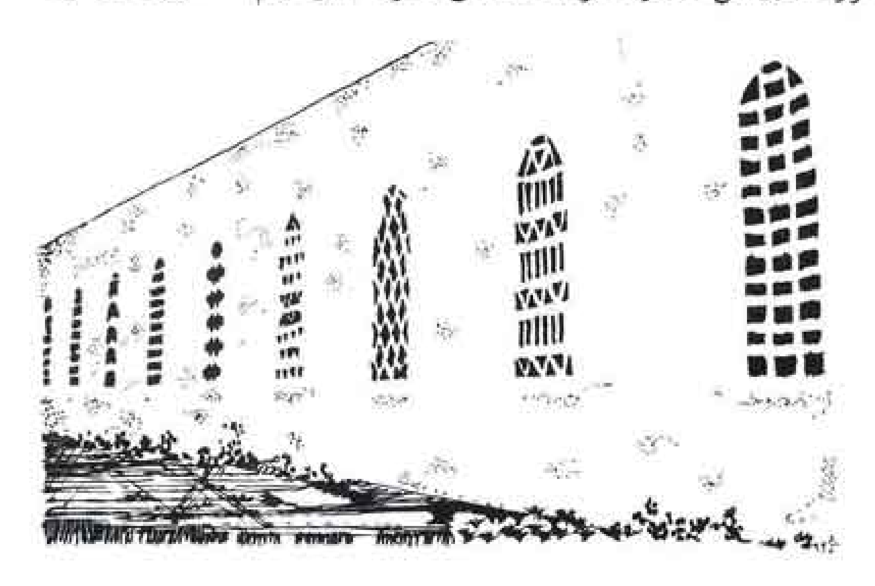
أحد المداخل بالقرنة الجديدة – (١٩٤٦ – ١٩٥٣ م) (مستوحاة من العمارة النوبية) .



دراسة للفراغات والممرات فى القرية المصرية .. كما يتصورها حسن فتحى .

وضرورة استثمار الطاقة البشرية إلى أقصى حد ممكن للوصول إلى أقصى درجة من العائد الاقتصادى والعائد الاجتماعى معاً ، وذلك فى البُعد المكانى فيما يسميه الكفاءة الاستيطانية ، وهو تعبير استعمله دكسيادس فى نظرياته للتنمية القومية . ويستطرد حسن فتحى فى سرد الأسس التخطيطية ، وما تتطلبه من بحوث علمية لكل جوانب التنمية السكانية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والعمرانية ، والبيئية ، والاستيطانية . ويعرض لأسس تطوير القرى الحالية إما بإزالة القرى القديمة ، وبناء القرى الجديدة ، أو بإعادة بناء القرى القائمة فى مكانها جزءاً بعد الآخر . وهذا مايفضله ، دون اعتبار لحجم المشكلة التى ترتبط بحوالى ٥٠٠٠ قرية ، ودون اعتبار للزيادة المطّردة فى عدد السكان فى القرى ، وامتداداتها العمرانية على الأراضى الزراعية أو اعتبار لكمية الطمى المتوفر فى الريف المصرى ، أو اعتبار للمشاكل الجانبية لعمليات التنمية ، وتوفير الخدمات فى القرى الحالية ، الأمر الذى يزيد من ارتباط السكان بالأرض . ويعنى ذلك زيادةَ الضغط السكانى على الأرض الذى هو أساس المشكلة كما يقول .

وحسن فتحى ينظر إلى هذه المشكلة نظرةً معمارية خالصة ، حيث يقول « يُمكن تنفيذ البرنامج القومى لإعادة بناء ٥٠٠٠ قرية ، فى فترة زمنية معقولة ، إذا توفرت أعداد المعماريين ، والمهندسين ، والإداريين ، والعمالة الماهرة ، وغير الماهرة » وهو هنا يقترح إنتاج النظام التعاونى فى البناء ، ويوزع الأدوارَ والواجبات على التخصصات المختلفة ، من المهندسين والباحثين والمعلمين ، ويوزع فرقَ العمل لبناء كل القرى فى مصر ، بما فيها من مساكن ومبان وخدمات عامة . ويقترح لذلك مشروعاً لقرية تعليمية ، يسميها قرية الفنون الريفية ، على غرار مدينة الفنون المنشأة فى شارع الهرم بالقاهرة . ويقترح حسن فتحى أن تضم القريةُ التعليمية بنّائين من أسوان ، وزجّاجين من القاهرة ، ونساجين من الشرقية ، ومعهم المعماريون يقيمون



أعمال الخرمات بالقرنة الجديدة .

فى هذه القرية ويعملون فيها ، مع ضرورة وجود غرف للزائرين من المعماريين والفنانين الأجانب . وهكذا يتخيل حسن فتحى أسلوب العمل لإعادة بناء القرى المصرية ، دون تقدير للمشاكل الإدارية والاجتماعية والسياسية والإعلامية ، إلى درجة أنه حدد العددَ المطلوب لإنجاز هذا البرنامج الطموح بـ : « ٣٠٠ معمارى ، و ١٠ محلل تربة ، و ٥ مهندس إنشائى و ١٥ خبير اقتصادى ، و ١٥ خبير اجتماعى ، و ٦ جغرافيين ، ١٥ إدارى » وكأنه يجهز مكتباً استشارياً يقوم بتنفيذ هذا البرنامج ، بعيداً عن التبعية لأى جهاز حكومى أو هيئة رسمية .. فإن أكثر مايخشاه هو التعامل مع البيروقراطية الرسمية .. ولم ينس حسن فتحى بخياله الواسع ضرورة إيجاد بركة فى كل قرية نتيجة للحفر ، للحصول على الطمى اللازم للبناء ، بحيث تتصل البركة بمصدر للمياه ، وتتوسط غابة تملأها الأشجار .

هكذا بدأت قصة القُرنة الجديدة فى فصولها المتتابعة ، حيث يبدأ الفصل الأول منها فى أغسطس ١٩٤٥ ، بما فيها من أحداث وطرائف يسردها حسن فتحى بأسلوبه الخلاب ، حتى وصل إلى القشة التى كسرت ظهر البعير — على حد تعبيره — ثم محاولة إغراق القرية حتى تنهار المبانى فيها . ثم الفصل الثانى من القصة الذى بدأ فى ١٥ أكتوبر ١٩٤٦ ، والذى يتضمن محاولات إنقاذ القرنة الجديدة منَ الغرق ، ثم قصة الطلمبة ، إلى أن ظهرت الكوليرا فى مصر عام ١٩٤٧ ، وما صحب ذلك من أحداث ، وبعد ذلك جاءَ الفصل الثالث من القصة يحكى عن إبليس اللعين الذى تمثَّل فى البيروقراطية ، والمعاناة التى صادفها بعد انهيار أمله فى المشروع ، الذى



الحالة الراهنة لمدرسة البنين بقرية القرنة الجديدة بعد محاولات إغراق القرية .



أغرقه الطوفان بأيدى الكفرة من المنتفعين بالقرنة القديمة .. والكذابين من كبار الموظفين الذين يقول عنهم « إنه كان يشعر بالأمان مع اثنين من اللصوص إذا اقتحما منزله وضرباه ، عما كان يشعر به مع هؤلاء الموظفين » . لقد تردد حسن فتحى بين مصلحة الآثار ، ومصلحة الفلاح ، ومصلحة المبانى ، باحثاً عن الجهة التى تستطيع أن تقوم بالمشروع المنهار ، ولكن لم يستجب لطلبه أحد . ولم يستطع حسن فتحى حملَ رسالته بين الفلاحين والموظفين معاً ، فحمل نفسه ورحل إلى خارج مصر ، للعمل فى مؤسسة دكسياديس باليونان . فقد فضّل أن يسافرَ إلى الخارج ويعمل فى البناء على أن يعملَ فى التدريس .. وقال إن أى مشروع يتم بناؤه ، ويستقطب انتباهَ العالم ، سوف يؤثر بالتبعية فى مصر .. لقد انتهى حسن فتحى من تجربة القرنة ببعض النتائج ، كان أخطرَها ما ذكره بالنسبة للفلاحين الفقراء ، الذين بنى رسالته لصالحهم ، إذ يقول فى كتابه « عمارة الفقراء » « حتى الفلاح فهو بطىء فى إبداء الرغبة فى أى مقترحات لتحسين حالته .. فهو خامل وغبى وغير متعلم ، وليس عنده أى فكر عن الشئون القومية ، ولا مكانة له وهو لا يعتقد أنه يستطيع مساعدة نفسه ، حتى يستطيع إسماع صوته للآخرين » .. بهذه النتيجة أسدل الستار على قصة القرنة ، بكل ما فيها من فكر وخيال ، وما فيها من معاناة وآمال ، سجلها حسن فتحى بدقة فى ملحمة رومانسية ، رَسَم فيها كل الشخصيات ، التى قابلها أو تعامل معها ، ووصف فيها كل الأحداث التى تعرض لها ، وتأثر بها ، بأسلوب قصصى جذاب ، وبتحليل علمى جميل ، دافع فى نهايته عن كل نقد وجه إليه ، ظهر فيه كالضحية التى تكالبت عليها الظروف وطحنتها الأقاويل والأكاذيب .. وينصح حسن فتحى شبابَ المعماريين بقوله إن عليهم أن يعلموا أن طريقَ الرواد ملىءٌ بالصخور ، ومغطى بالأشواك .. وهو مع كل الملابسات التى أحاطت بتجربة القرنة ، ومع الانهيار الذى أصاب مبانيها إلا أنها بفضل إصراره ، وإيمانه ومعاناته تعتبر تجربةً رائدة فى أسلوب البناء بالمواد المحلية ، وفى الفكر التخطيطى ، والإبداع المعمارى ، تجربة سجلها حسن فتحى بكل تفاصيلها المثيرة ، الأمر الذى ساعد على انتشارها عالمياً ، ونال بها كل هذا التقدير والتكريم ، الذى ناله من المنظمات المعمارية العالمية ..

حسن فتحى والبحث العلمى والتدريب

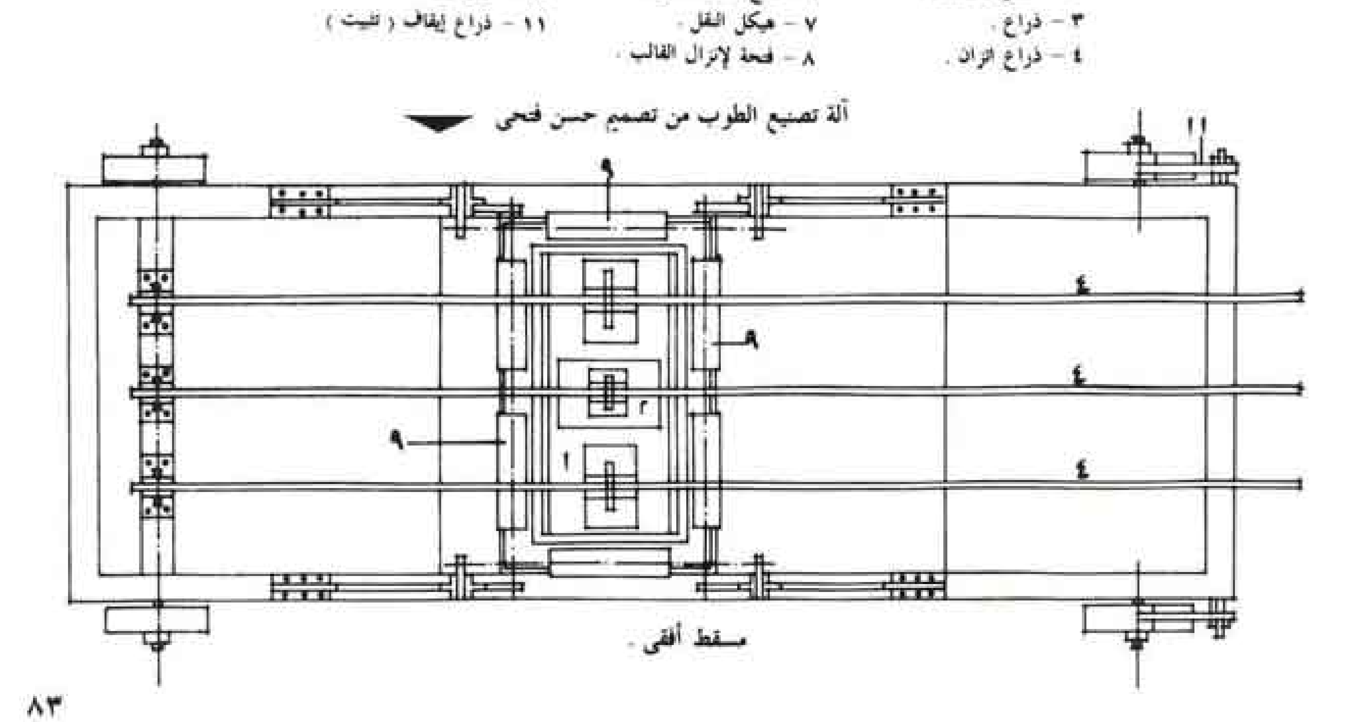
اشترك حسن فتحى فى العديد من لجان البحث العلمى المتخصصة فى مجال الإسكان الريفى . وكان له دور قيادى فى معظم هذه اللجان التى شُكلت فى نهاية الستينيات بوزارة البحث العلمى تارة أو فى وزارة الإسكان تارةً أخرى . وقد اهتم حسن فتحى أساساً بإجراء البحوث على استخدام المواد المحلية ، وطرق الإنشاء التقليدية فى البناء ، بعد إخضاعها للقوانين الهندسية ، ومراعاة الظروف البيئية . فكان يرى أنه بجانب الصيغة التنفيذية العادية لإقامة القرى الجديدة فى عمليات الإصلاح الزراعى ، لابد من إيجاد الصيغة الإرشادية فيها ، والقيام بالبحوث العلمية ، وعمليات الرصد الكامل ، والتقويم الهادف ، خاصة فى تعميم طرق البناء التعاونى بين الأهالى ، بالتدريب والتنظيم ونشر المعلومات الهندسية . وكان من هذه البحوث اختيارُ خصائص الطفلة المتوفرة فى مناطق التعمير ، ودراسةُ نقلها وتشوينها ، وضربُ الطوب اللبن منها ، مع مراقبة عمليات الخلط والتشكيل . وكان يهدف من ذلك إلى استعمال الأقبية والقباب ، على غرار مبانى القرنة ، أو ما جرى تطبيقُه من حلول فى مشروع مركز تعمير باريس ، ودراسة الخواص الطبيعية والإنشائية للطين فى البناء . ويعزز حسن فتحى نظريتَه بمقياس الكفاءة الاستيطانية ، التى توضح معيار استعمال المواد المحلية فى البناء ، فيقول : « إذا كانت القيمة النقدية لكل ما يمكن للأهالى تقديمه من المواد والمصنفات فى بناء منازلهم = أ ، وكانت القيمة النقدية لما يجب أن يدفعوا عنه أجوراً أو شرائه نقداً = ن ، فإن الكفاءة الإستيطانية ك = $\frac{\text{أ}}{\text{أ}+\text{ن}} \times ١٠٠$ فإذا أخذنا الحالة القصوى من اعتماد الأهالى على مواردهم المحلية ، كما كان فى السابق فى الواحات دون شراء أى شىء من الخارج ، وكانت القيمة النقدية للمنزل الذى يبنونه بهذه الطريقة = ١٥٠ جنيه تكون الكفاءة الإستيطانية فى هذه الحالة ك = $\frac{١٥٠}{١٥٠+\text{صفر}} \times ١٠٠$ = ١٠٠٪ وإذا أخذنا بالحالة القصوى من الناحية الأخرى بشراء منازل جاهزة سابقة التصنيع قيمة المسكن ٦٠٠ جنيه ستكون الكفاءة الإستيطانية فى هذه الحالة ك = $\frac{\text{صفر}}{\text{صفر}+١٠٠} \times ١٠٠$ = صفر ٪ » وهذا المؤشر الجديد كما يراه يوضح بسهولة سلامة اقتصاديات المشروعات من الناحية القومية .

قطاع عرضى .

قطاع طولى .

١ - القالب .
٢ - أسطوانة ضغط .
٣ - ذراع .
٤ - ذراع اتزان .
٥ - قالب قياس .
٦ - قاع حديد متحرك .
٧ - هيكل النقل .
٨ - فتحة لإنزال القالب .
٩ - دليل .
١٠ - عجلات
١١ - ذراع إيقاف (تثبيت)

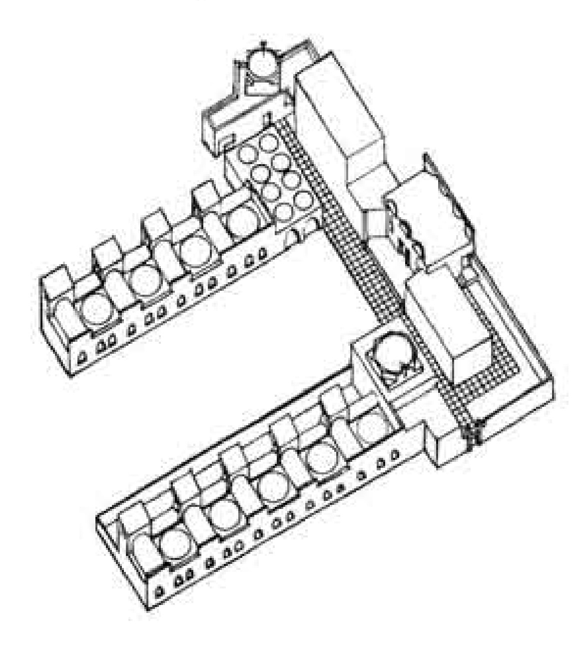
آلة تصنيع الطوب من تصميم حسن فتحى

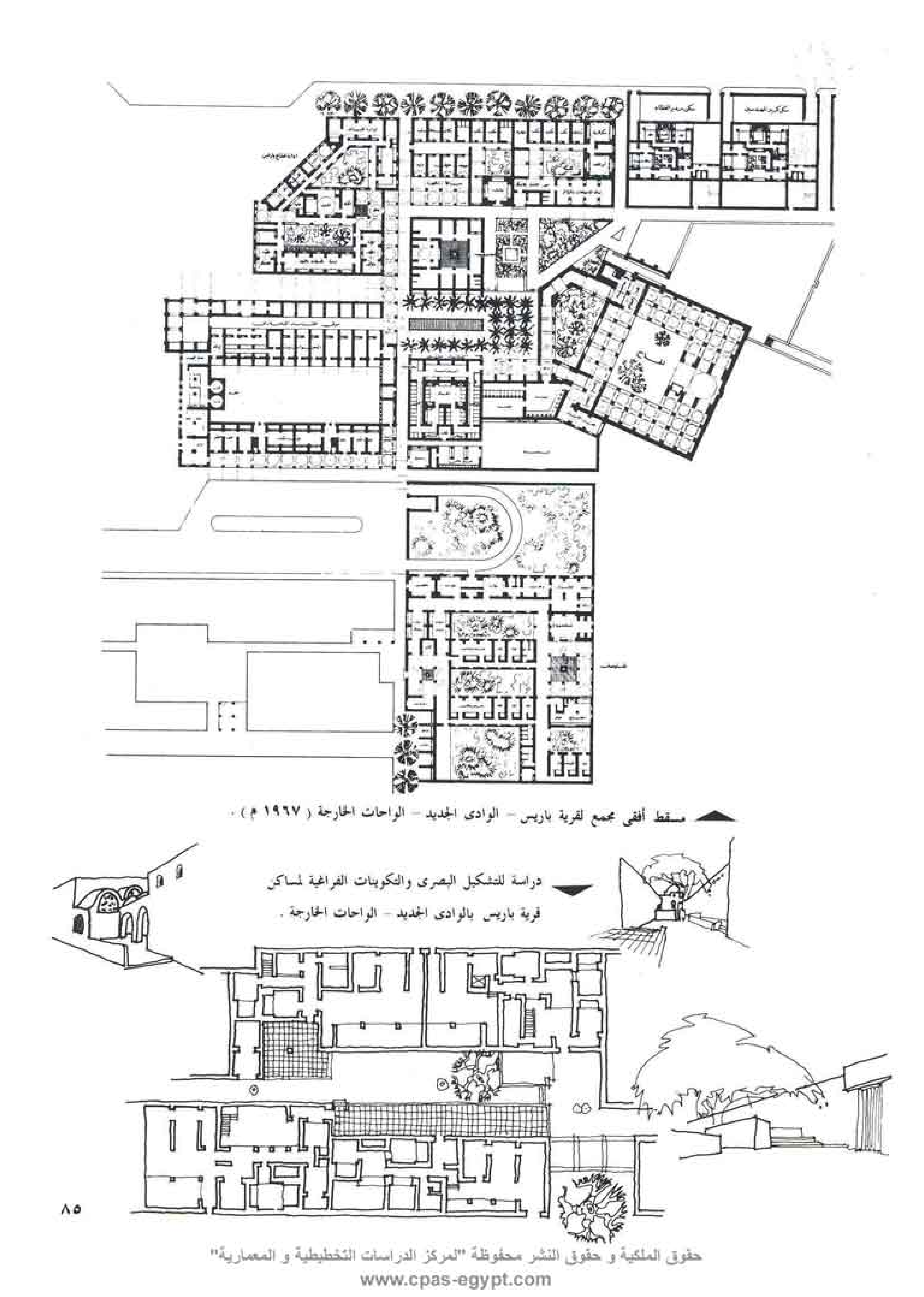


مسقط أفقى .

واهتم حسن فتحى بالبحوث المناخية فى التخطيط والعمارة ، وذلك لإثبات ملاءمة الحوائط السميكة المبنية من الطوب اللبن والأقبية والقباب للمناخ الحار . وإن كان ذلك منطقياً دون إجراء البحوث القياسية ، إلا أنه يريد أن يثبت نظريته بضرورة البناء بالطوب اللبن ، وقد استجاب لندائه فى هذا المجال مركز بحوث البناء فى باريس بفرنسا ، ومركز بحوث جارستون بلندن ، وقسم عمارة البلاد الحارة فى مدرسة جماعة المعماريين فى لندن ، لقياس الخصائص المناخية التى أقامها فى الواحات ، أو فى معهد أبحاث البناء فى ذلك الوقت . وكان يهدف إلى البحث العلمى لمقارنة أنواع المخططات ، من حيث مقاساتُ الشوارع والساحات وباقى عناصر التخطيط والتصميم المعمارى ، ومن حيث تصميمُها مغطاة كانت أو مكشوفة . كما اهتم حسن فتحى كذلك ببحوث تنظيم وتنشيط عمليات البناء بواسطة الأهالى ، أى المشاركة الشعبية فى التعمير ، ويدخل فى ذلك قيمةَ أرض البناء وتوفرها ، وقيمة مواد البناء ، وقيمة أجور العمال المدربين وأجور العمال غير المدربين ، وعدم توفير السقايل والعدد والأدوات اللازمة للبناء ، وتوفير أماكن لضرب الطوب مع توفير الخبرة الفنية لصناعة مواد البناء والإنشاء والتصميم . ويذكر حسن فتحى هنا « تجربة بناء مدرسة فى قرية فارس فى البر الغربى للنيل ، عندما وفرت هيئة المعونة الفنية الأمريكية والتى كانت معروفة بالنقطة الرابعة مع مؤسسة الأبنية العامة العدد والسقايل والأدوات اللازمة للبناء ، وإعارتها للعاملين المحليين بطريقة النظام التعاونى ، وذلك نظير خصم ١٠٪ من مستحقاتهم عن المصنعيات ، واستعمال هذه الأدوات مرة أخرى فى مشروع آخر ، وقد أدت هذه التجربة العملية إلى اتجاه الفكر نحو خلق مرفق جديد فى محيط القرية ، يسمى مرفق التعمير الذاتى ، الذى يشتمل على مضارب الطوب وحرق الجير ، وورش النجارة والسباكة والحدادة وغيرها ، لوضعها تحت تصرف الأهالى بأسلوب تعاونى فى المجتمعات الريفية الجديدة ، بحيث تقوم المؤسسةُ التعاونية للإسكان المحلى ببناء نواة المسكن ، التى تتكون من حجرتين ومقعد ودورة مياه وحظيرة ، وعلى الأهالى استكمال المنازل حسب رغباتهم ، تحت رعاية المرشدين المعماريين والاجتماعيين . ويمكن تسمية المرحلة الأولى من البناء مرحلة الإيواء ، التى تمثل البنية السكنية القديمة فى الريف ، أما البناء بالجهود الذاتية بعد ذلك فيخضع للإرشاد الاقتصادى الاجتماعى العمرانى ، الأمر الذى يتطلب تنظيماً خاصاً بإنشاء التجمعات الريفية الجديدة ، كما يتطلب نظاماً خاصاً بتدريب العمالة الفنية ، أو العمالة المساعدة من الفلاحين أو العمال » . كما اهتم حسن فتحى بالبحوث الاجتماعية الاقتصادية ونظام المعاملات الأولية بين الأهالى ، وكذلك رصد التحولات الاجتماعية الاقتصادية ، التى تطرأ على المجتمع فى أثناء عمليات الاستيطان ، وتلبية

ايزومترى لمدرسة فارس - (١٩٥٧ م) .





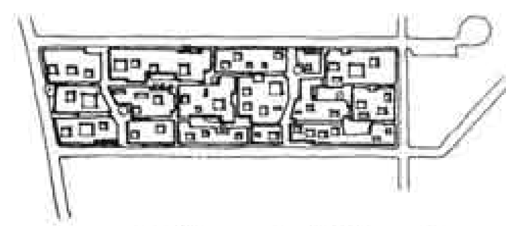
مسقط أفقى مجمع لقرية باريس – الوادى الجديد – الواحات الخارجة (١٩٦٧ م) .

دراسة للتشكيل البصرى والتكوينات الفراغية لمساكن قرية باريس بالوادى الجديد – الواحات الخارجة .

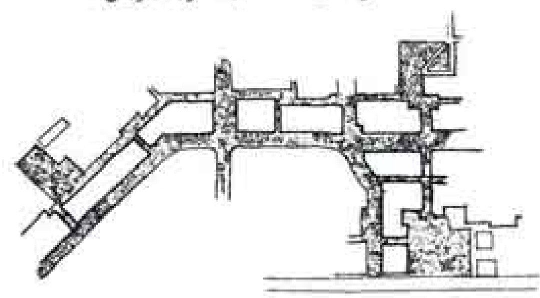
رغباتهم بصفة مستمرة فى أثناء عملية البناء التعاونى للإسكان الريفى ، على مراحل متتالية ، وذلك فى ضوء العادات والتقاليد السائدة ، وما لدى الأهالى من مهارات حرفية وصناعية ، ورغبة فى البناء بالأسلوب التعاونى . واهتم حسن فتحى أيضاً بتنظيم عمليات البحث العلمى ، والتدريب ، وإيجاد الترابط الإدارى بين الجهات والخبراء المختصين ، خاصة وأن البحث العلمى هنا يتم فى الواقع العملى فى أثناء إنشاء التجمعات الريفية الجديدة .

ويعتبر تخطيط وبناء قرية باريس بالواحات الخارجة ، من أوضح الأمثلة البحثية ، التى قام بها حسن فتحى فى مشروع إرشادى ، اهتم فيه بكل النواحى التخطيطية والمعمارية والإدارية ، بداية من عامل المناخ ، وحركة الهواء ، وأثرهما فى تحديد ملامح التخطيط والتصميم ، أو دراسة توزيع السكان وتوزيع أراضى البناء ذات المساحات المختلفة على العائلات حسب تقسيم الأهالى طبقاً لحجم الأسرة ، أو دراسة نظام الطرق الداخلية والخارجية للمشاة والسيارات المغطى منها ، والمكشوف ، ثم دراسة تصميمات المنازل داخل المخططات . ثم ينتقل بالبحث إلى مكونات مركز القرية وتصميم مبانى الخدمات العامة . وهنا يدخل بالبحث فى نظام العلاج للأمراض المتوطنة ، ومتطلبات ذلك من عمالة متنوعة التخصصات ومبان ، وكذلك نظام الخدمات التموينية بكل نوعيات المواد المطلوبة للسكان ، ومايتطلبه ذلك من عمالة ومبان ثم إنشاء حمّام القرية بتفاصيله المعمارية ، ثم إنشاء الجمعية التعاونية الزراعية ، من منطلق الحاجة الحقيقية للإنتاج الزراعى . وتأتى بعد ذلك الدراسةُ الدقيقة لمكونات مرفق التعمير . ويتضمن البحث أيضا مكونات المركز الثقافى ، ومتطلبات المجتمع من تثقيف وترفيه وإعلام وإرشاد . ويتضمن البحثُ أيضا مكونات العملية التعليمية البيئية ، وماتحتاجه من مدارس إعدادية أو صناعية زراعية أو حرفية . وهنا يبرز عنصر الخان لتعليم الحرف ، كمصدر للتعمير من ناحية ، والتصدير السياحى من ناحية أخرى . وهكذا تظهر دقة البحث مع ربط الكليات بالجزئيات ، والتعمق فى دراسة احتياجات المجتمعات ، فى ضوء ظروفها البيئية والاقتصادية والثقافية .

حاول حسن فتحى فى الثمانينات وضعَ دليل عملى يوضح طريقة إنشاء القبوات والقباب ، وذلك فى ضوء خبراته الطويلة فى هذا المجال ، ومن خلال الممارسة العملية للبنّائين الذين استخدمهم فى بناء أعماله المعمارية . وإذا كان قد اهتم أساسا باستعمال الطين فى البناء فى قوالب بمواصفات خاصة ، إلا أن ذلك يحتاج إلى مراجعة عامة لاستعمال مواد محلية أخرى ، سواء باستعمال الطفلة أو الحجارة أو غيرها من المواد المحلية . وهو فى ذلك يسجل أسلوب البناء الذى بدأه فى قرية القُرنة ، أو فى بناء المساكن الريفية

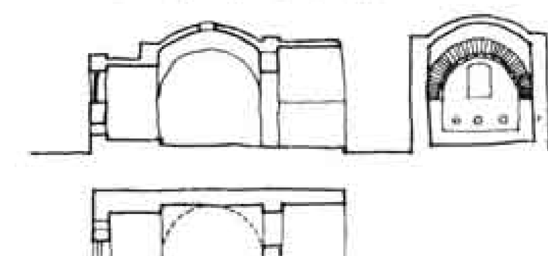


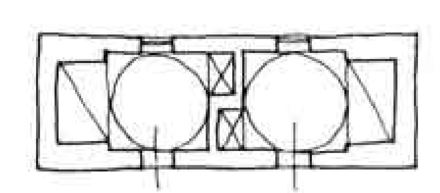
ملامح التخطيط ومراعاة المناخ وحركة الهواء فى أحد أحياء قرية باريس .

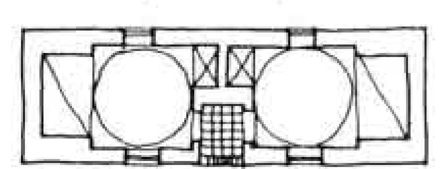


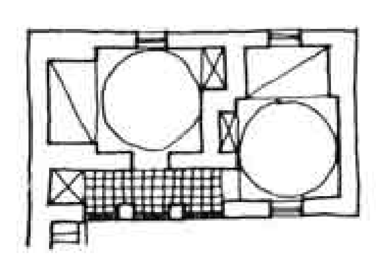
دراسة لتدرج الطرق داخل الأحياء السكنية بقرية باريس .

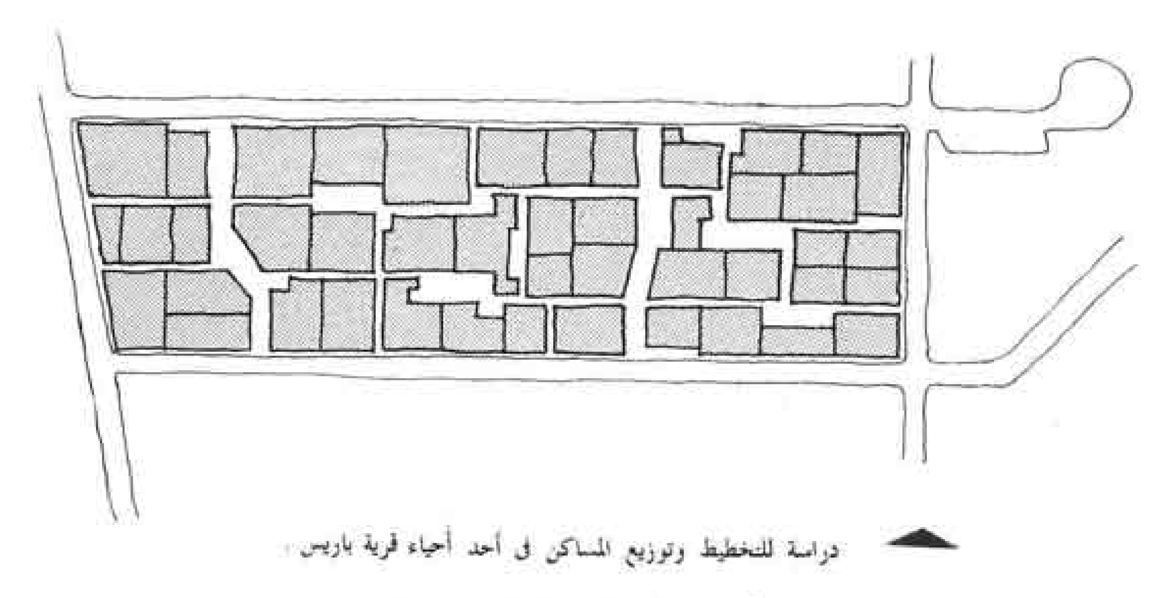
دراسات أجراها حسن فتحى فى استخدام القباب والأقبية فى تغطية الفراغات .









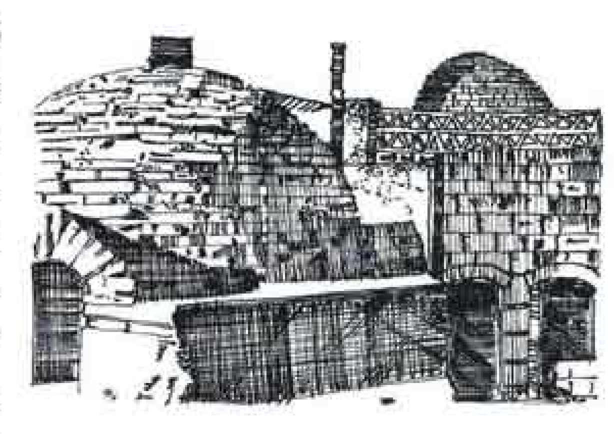


دراسة للتخطيط وتوزيع المساكن فى أحد أحياء قرية باريس .



مسقط أفقى لفندق رباط مدينة الخارجة - (١٩٧٨ م) .

١ ـ مدخل الرباط
٢ ـ صالة المدخل
٣ ـ اسطبل
٤ ـ شارع مسقوف
٥ ـ الميدان الرئيسى
٦ ـ مطعم
٧ ـ صحن المطعم
٨ ـ المطبخ
٩ ـ غسيل ملابس
١٠ ـ صالون
١١ ـ أوفيس
١٢ ـ مقهى عام
١٣ ـ مدخل الخان
١٤ ـ الخان
١٥ ـ خدمة الخان
١٦ ـ صحن البرج
١٧ ـ صحن
١٨ ـ حوش خدمة عامة
١٩ ـ دكاكين الحرفين
٢٠ ـ مدخل جناح الوحدات الفاخرة
٢١ ـ الشارع الداخلى للوحدات الفاخرة
٢٢ ـ نوم عاملات الخدمة
٢٣ ـ أوفيس الوحدات الفاخرة
٢٤ ـ الوحدات الفاخرة
٢٥ ـ حديقة
٢٦ ـ جراج



البناء بالحجر فى نزل فؤاد رياض (١٩٧٣ م) .

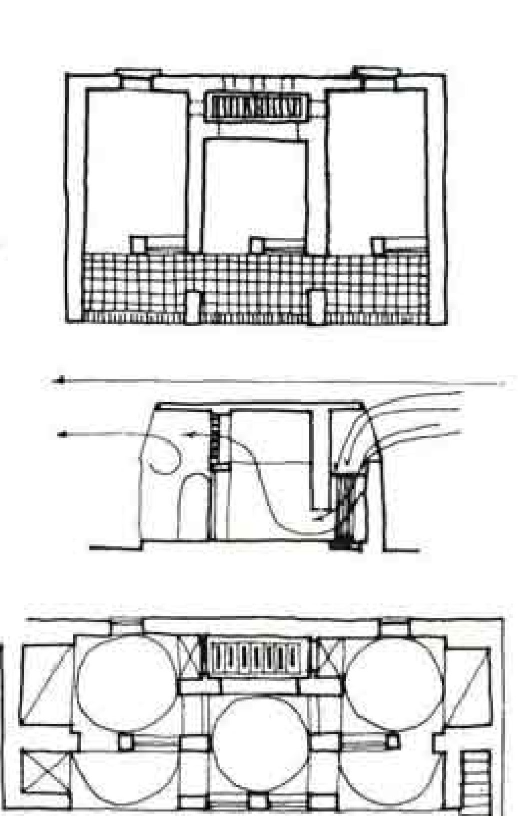
لبعض الأثرياء ، فى مناطق مختلفة من الريف المصرى . وهنا يؤكد حسن فتحى نظريته فى رخص تكاليف الأسقف ، وأنها من طبيعة إنشائها ومواد بنائها لايسعها إلا أن تكون جميلة ، وذات مقياس إنشائى ، حيث تفرض طرق الإنشاء الشكل الهندسى ، بينما تفرض قوة مقاومة مادة الطوب الأخضر هذا المقياس . هنا كما يقول « نجد كل خط فى التصميم المعمارى خاضعاً لتوزيع الجهود ، ويتخذ البناء بذلك شكلا هندسياً طبيعياً ترتاح إليه العين . وبذلك وداخل الحدود التى تمليها مقاومة المواد ، يجد المعمارى نفسه وقد تحرر فجأة من مشكلة البحث عن الأشكال المعمارية الخاصة به فى تصميم مبناه ، كما يمكنه ذلك من إعطاء الفراغ الذى تحيط به جدرانه وأسقفه معنى ونظاماً ، فإن العناصر المعمارية نفسها تعطينا ماتتطلبه العين من حركة رشيقة ، فهذه منحنيات القبوة والقبة والخناصر والعقود ، تجرى فى مختلف الاتجاهات تنتقل العين من الواحد منها إلى الآخر فى نسق رتيب » .

لقد حاول حسن فتحى البحث فى استعمال الأسقف المموّجة ، وانتهى منها إلى أنه يمكن نظرياً استخدام قشرة مموجة بسمك نصف سم ، لتسقيف حجرة بحرها ستة أمتار . وقد أجرى تجاربه فى هذا النوع من الأسقف من عدة تقفيصات مثلثة الشكل ، عندما تجتمع مع بعضها تعطى صفا من أنصاف أهرامات تسير فى اتجاهين بالتبادل ، ويمكن عمل هذه التقفيصات من الغاب الهندى ، أو الغاب البلدى ، أو الجريد للبحور الصغيرة ، كحجرات منازل الفلاحين . كما يمكن استخدام زوايا من الصاج للحجرات المتسعة ، كفصول المدارس والمساجد والأسواق ، وتغطى هذه التقفيصات أو الهياكل بشبك من السلك الممدّد أو شبك سلك الأرانب . وحينئذ تصبح الهياكل معدةً لأن تطبق لتُنقل وتفتح ثانية عند موقع العمل ، وتركّب على الجدران ، الأمر الذى يتيح صنعها بالجملة فى الورش ، تحت رقابة هندسية كافية . وعندما يوضع هذا السقف على الجدران تصب عليه الخرسانة . وقد استعمل حسن فتحى فى السقف طبقتين من سلك الأرانب ، الطبقة العليا اتساع فتحاتها بوصة ، والطبقة السفلى اتساع فتحاتها $\frac{١}{٢}$ بوصة ، وكان سمك الخرسانة ٥ سم . ويمكن دهان هذه الأسقف بالبيتومين لمنع تسرب المياه ، كما يمكن حماية الأسقف بطلاء الالمونيوم ، الذى يحمى البيتومين من التأكسد بفعل الأشعة تحت الحمراء . ويقول حسن فتحى « إن قوة هذا النوع من التسقيف تسمح بملء الفراغات بين ثنايا التموجات وتسطيح السقف ، لعمل أدوار علوية . وبهذا يمكن تهوية جميع الأدوار ، من خلال الفتحات العلوية ، وهى تصلح للمناطق الحارة » . ويقول حسن فتحى « إنه يمكن الإستعاضة بهذا النوع

من السقف عن القبة لحجرات المعيشة ، إذا ما كان للفلاحين إعتراض على القبة . فقد أجريت هذه التجاربُ فى كلية الهندسة بجامعة عين شمس على سقفٍ اتساع بحره ٣,٥ م وبعرض ١,٦٥ متراً ، وبلغت قوة تحمله ٩٣٠ كجم للمتر المربع ، دون أن يتأثر تأثراً يذكر » . وهو يرى « أن الأمر يحتاج إلى مزيد من البحث فى هذا النوع من التسقيف » وهنا تجدر الإشارة إلى خروجه من مادة الطين إلى مواد أخرى فيها قدر كبير من المواد المصنّعة والخرسانة ، الأمر الذى دائما ما عارضه . ومع ذلك لم يستمر حسن فتحى فى البحث فى مثل هذه الاتجاهات الجديدة ، ربما لأن الظروف لم تسمح له بذلك ، أو لأنه قد هوى التشكيل المعمارى للأقبية والقباب ، وهو مالا توفره المواد الأخرى .

حاول حسن فتحى فى بحث آخر المقارنة بين نماذجَ من الغرف أقيمت فى فناء معهد أبحاث البناء . الأولى بُنيت من الدبش (الحجر) ومونة الطين والتبن ، ومسقوفة بقبة من الطوب الأحمر ومونة الطين ، وزودت بملقف للهواء من الجهة البحرية بأعلى السقف ، والنموذج الثانى حجرة على نظام القاعة ، تتوسطها قاعة مسقوفة بقبة بيزنطية ، وبجانبها إيوان للنوم ، وبنى جدرانها وسقفها بالطوب الأخضر ، مع تسوية السطح فوق القبة والإيوان ، لعمل دور علوى فوق الأرض ، والنموذج الثالث حجرة جدرانها من الطوب الأحمر ومونة الأسمنت والرمل ، ومسقوفة ببلاطة مموّجة من جريد النخيل المغطى بطبقتين من شبك سلك الأرانب بالأسلوب السابق ذكره ، وذلك بهدف تقويم هذه النماذج علمياً ، واستنباط خصائص كل منها ، وإن كان ذلك لا يعطى النتائجَ المطلوبةَ ، حيث ترتبط عملية التقويم بموقع البناء نفسه ، وهو يختلف من منطقة إلى أخرى على المستوى القومى ، بحيث يمكن تطبيق مُعامل الكفاءة الإستيطانية ، فى كل منطقة من هذه المناطق . ويقول حسن فتحى « إن الكفاءة الإستيطانية على مستوى العائلة ، فى إسكان قرية القرنة ، بلغت حسب تقديره ٤٢٪ وعلى مستوى القرية ٨٤٪ ، وهى معاملات أعلى كثيراً من المُعامل الإستيطانى للأسقف الخرسانية ، التى ترد كل مكوناتها من خارج القرية ، وهكذا يختلف مُعامل الإستيطان من مادة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر ، ثم يقول « إذا ضربنا تكاليف أى بند من بنود البناء ، فى مشاريع الإسكان على النطاق الواسع ، فى مُعامل الكفاءة الإستيطانية لهذا البند ، فسنحصل على قيمة ما يستورد بالنقد ، بطرح حاصل الضرب من القيمة الكلية للبند » ، ويضيف حسن فتحى أنه « بخلاف المُعامل الاقتصادى فإن الكفاءة الإستيطانية العالية ، تعنى رفع مستوى فنون الإنتاج لدى الأهالى ، الأمر الذى يعتبر كسباً ثقافياً من الناحية الإستيطانية » .

دراسات أجراها المهندس حسن فتحى فى إستخدام القباب والأقبية والملاقف فى البناء .



حسن فتحي ومدينة المستقبل

لقد كان للفترة الزمنية (١٩٥٩ ـــ ١٩٦١) التى قضاها حسن فتحى كمستشار فى مؤسسة دكسيادس فى اليونان ، أثرها الواضح على الفكر التخطيطى له . فقد قام بعدد من الدراسات حول مدينة المستقبل ، وذلك ضمن فريق بحثى من المؤسسة . وكان الهدف من الدراسة تحديد نظرية جديدة للتعامل مع التجمعات السكنية ، خاصة فى الدول النامية . وهى الدراساتُ التى تبلورت فى النهاية ، فى الكتاب الذى وضعه دكسيادس « المدينة الديناميكية كمنهج تخطيطى يمكن تطبيقه فى تخطيط أى مدينة » ، والمنهجُ فى حد ذاتِه مقبولٌ من الناحية النظرية ، ولكنه يتعارض مع المقوّمات المختلفة للمدن ، فلكل مدينة ظروفها العمرانية الخاصة ، وليست هناك صيغة واحدة يمكن إضفاؤها على كل المدن ، ولكن فكر دكسيادس كان فكراً عملياً ، كمؤسسة استشارية كانت تهدف للقيام بوضع التخطيطات العمرانية لأكبر عدد من المدن ، خاصة بالدول النامية ، الأمر الذى كان يتطلب صيغةً واحدة يمكن إلباسها لأى مدينة ، مهما كانت طبيعتها الجغرافية أو السكانية أو البيئية . فقد كان واضحاً فى الدراسات التخطيطية التى أجرتها مؤسسة دكسيادس التطابق الواضح فى المحتوى والمفاهيم والمعايير والتحليل والتخطيط ، وما يختلف فيها فقط هو اسم المدينة وعدد سكانها .

فى أكتوبر عام ١٩٦٠ وضع حسن فتحى ورقةَ عمل ، توضح برنامج العمل لفريق البحث ، متضمناً البيانات الأساسية اللازمة للدراسات الإستيطانية كما يسميها ، واقترح فى برنامج العمل زيارة مجموعة من المدن تبدأ بالقاهرة ودمشق وبغداد ، ثم بعد ذلك لعدد آخر من المدن فى أفريقيا شملت الخرطوم وجوبا بالسودان ، ثم لاجوس وكانو ولومى وأبدجان ومونروفيا وداكار والدار البيضاء ومراكش وتونس وطرابلس وغيرها من المدن الأفريقية . الأمر الذى وفر له فرصةً كبيرةً للتعرف على الخصائص التخطيطية لحوالى اثنين وعشرين مدينة فى سبع عشرة دولة أفريقية كتب عنها بالوصف والتحليل ، وحدد المشكلة ثم أوضَحَ وسائلَ معالجتها تخطيطيا . وهنا يمكن القول إن حسن فتحى وهو فى الستين من عمره ، بدأ مرحلة فكرية جديدة ، فى مجال التخطيط العمرانى ، أضافت كثيراً إلى فكره المعمارى المعروف . وقد اطلع فى هذه المرحلة أيضاً على العديد من الكتب والمراجع ، التى ساعدته على بلورة تصوراته بالنسبة لمدينة المستقبل . ومن

أمثلة البحوث التى أجراها حسن فتحى فى دراساته الخاصة بمدينة المستقبل ما يلى :

١ ــ الجوانبُ الجماليةُ فى مدينة المستقبل .
٢ ــ حركةُ واستقرارُ السكان فى المدينة .
٣ ــ المسكنُ فى إطار التجمع الحضرى .
٤ ــ النظامُ المقترح لفحص المشاكل الإستيطانية .
٥ ــ حجمُ وشكل تقاسيم الأراضى .
٦ ــ الدينُ ومدينة المستقبل .
٧ ــ مدينة الغد .
٨ ــ دراساتٌ خاصة عن مدن طرابلس (ليبيا) وتوجى وداهو فى غرب فولتا العليا وأوجا دوجو عاصمتها ، ويوواكا فى غرب أفريقيا ، ثم أم درمان والخرطوم فى السودان .
٩ ــ القوى الاقتصادية المؤثرة على مدينة المستقبل .
١٠ ــ الجوانبُ الاقتصادية المؤثرة على مدينة المستقبل .
١١ ــ المسكنُ بين حركة واستقرار السكان .

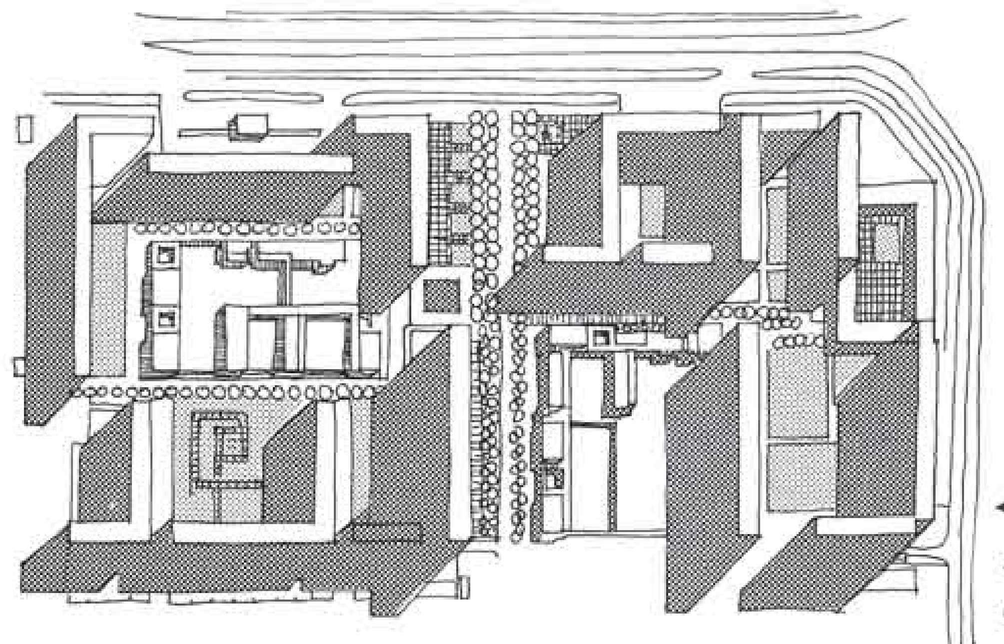
وهكذا استطاع دكسيادس أن يجمع – من خلال فريق البحث – الفكرَ الأساسى لكتابة « المدينة الديناميكية » ، وكذلك النظريةَ المشتركة لتخطيط المدن . الأمر الذى ساعده على الانتشار فى العالم ، كمؤسسة استشارية تعمل فى هذا المجال . وهكذا استطاع حسن فتحى من ناحية أخرى ، أن يجمع المادة الأساسية لكتاباته عن الثوابت والمتغيرات فى المدينة العربية ، بدءاً بالمناطق التاريخية والعمارة التقليدية ، إلى عرض التحولات التى مرت بها المدينة ، وانتهى إلى وضع التصورات التخطيطية للأحياء السكنية فى المدينة المعاصرة ، ومنها نموذج للحى السكنى فى بغداد الجديدة ، والذى وضعه فى أثناء عمله مع مؤسسة دكسيادس فى العراق . وكانت أول مرة وآخر مرة تعامل فيها حسن فتحى مع المبانى متعددة الأدوار ، فقد حاول فى هذا المشروع تطبيقَ بعض القيم التصميمية والتخطيطية المستفادة من المدينة القديمة ، ذات المقياس الإنسانى الواضح ، على المدينة المعاصرة بمبانيها ذات الارتفاعات العالية والمساحات الكبيرة ، التى مثّلها بالأفنية فى المدينة القديمة . وكانت النتيجةُ مجموعةً من العمارات المرتفعة ، موزعةً فى صفوف متعامدة ، تختلف فى الطول وإن كانت موحدة فى العرض ومتكررة فى التصميم ، ضمت بينها مجموعةً من الساحات مختلفة المساحات ضمت أكبرها مدرسة الحى . وهنا خرج حسن فتحى عن فكره التقليدى بالبناء التقليدى ، وسمح لنفسه أن يتعامل مع العمارة الحديثة بأساليبها الغربية فى

التخطيط والتصميم والإنشاء . وأكثر ما وصل إليه فى هذه التصميمات هو وضعه كتلة السلم فى شكل ملقف للهواء ، مع أن السلم كملقف لايوصل الهواء إلى الوحدات السكنية ، إلا من خلال أبوابها الخارجية وهى عادة ما تكون مغلقة . وبعد هذه التجربة توقف حسن فتحى تماما عن التعامل مع المبانى المرتفعة ، سواء بالفكر والنظرية ، أو بالممارسة العملية . وهكذا فقد حسن فتحى قدراً كبيراً من رسالته المعمارية ، التى انحصرت بعد ذلك فى الإسكان الريفى والبناء التقليدى ، الذى كان أسرعَ فى الإنتشار وأقربَ إلى الإقناع ، خاصة بين معماريى العالم الغربى فى الستينات ، عندما بدأوا يَمَلّون العمارة الحديثة . وهكذا لم يجد مجالا للعمل فى مؤسسة دكسيادس إلا فى مشروعات الإسكان الريفى ، كما ظهر فى مشروع المسيب الجديد ، الذى خططته مؤسسة دكسيادس فى العراق . لقد حاول حسن فتحى بعد ذلك أن يدعو إلى مشروع بحث آخر ، مشابه لذلك الذى نظمته مؤسسة دكسيادس ، فدعا إلى مشروع بحث تحت عنوان « مستقبل العاصمة الإسلامية » . اقترح فيه دعوة العلماء المسلمين فى مكة المكرمة إلى مناقشة المدينة الإسلامية . ولكن هذه الدعوة لم تلق صدى فى الدول الإسلامية . حيث لم تكن لديه الإمكانياتُ الإعلامية والتنظيمية والإدارية التى لدى مؤسسة دكسيادس . وعن مدينة المستقبل كحصيلة لدراساته مع مؤسسة دكسيادس ، كتب حسن فتحى مقالاً جاء فيه مايلى :

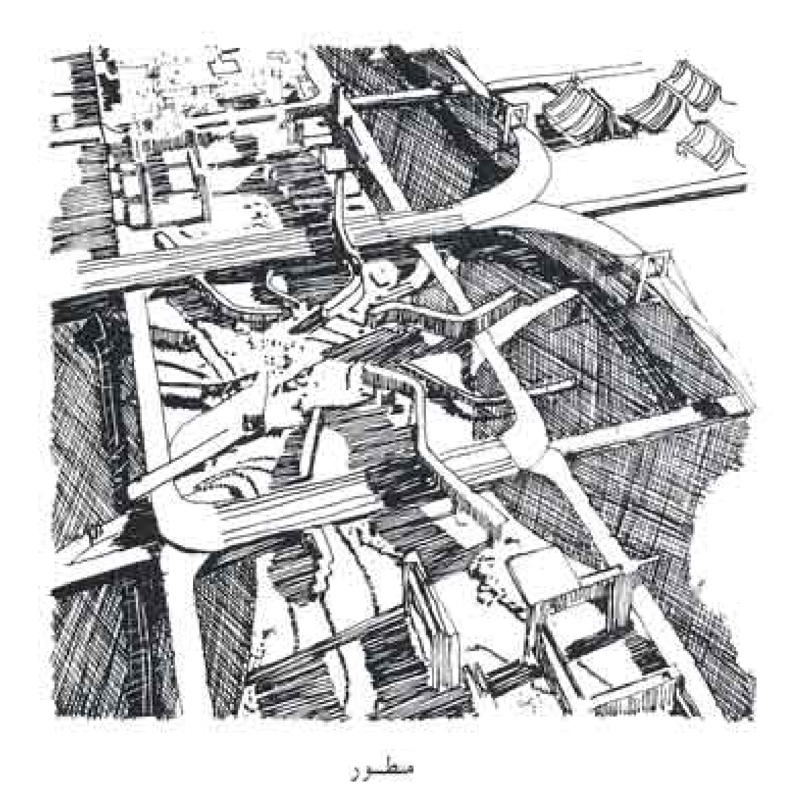
« تشير الدلائل إلى أن هناك تحولا هائلا سريعاً يجرى الآن فى عالمنا ، ورغم مايمكن أن يقدمه العلم من خدمات ، فإن هذا التحولَ يعنى تضحياتٍ كبيرةً وآلاماً جساماً لبنى الإنسان . وما أحوجَنا إلى حكمة فرعون التى امتد أفقها إلى الكون نفسه ، لإدارة دفة الأمور فى فترة الانتقال الحاصلة فى هذه الآونة بالذات » .

« لقد أطلق العلم والتكنولوجيا الحديثة قوى هائلة من عقالها ، مكّنت الإنسان دون باق المخلوقات ، من مضاعفة قدرته على إخضاع البيئة لاستيطانه ، ومن الحد من مفعول العوامل الطبيعية ، التى كانت تعمل من قبل على إيجاد التوازن بين القوى الدافعة فى الحياة والقوى المناهضة لها . هذا التوازن الذى انبعث من واقع النظام الإيكولوجى العام ، الذى شمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد ، والذى ظل سائداً منذ بدء الخليقة إلى منتصف القرن التاسع عشر . لقد بدأ التحول الجديد فجأةً بدخول الحضارة عهد التصنيع ، وماصحب ذلك من ازدياد السكان بالمعدل المخيف الذى وصلنا إليه » .

« قيل إنه إذا ما استمر معدل زيادة سكان الأرض على ماهو عليه فإن

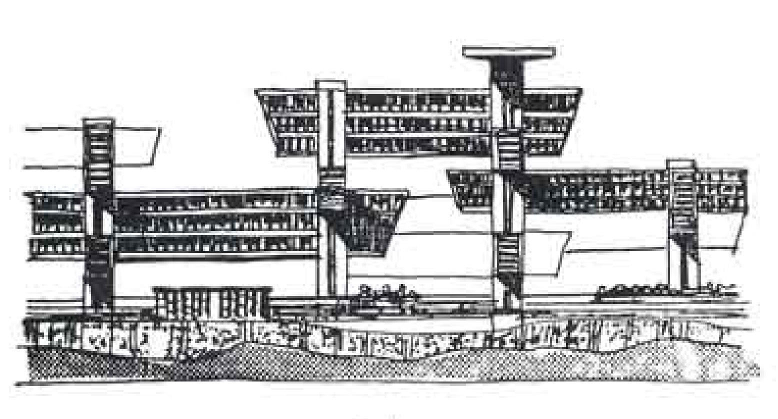


موقع عام مجمع للحي السكني بمدينة بغداد الجديدة - مثال لأعمال حسن فتحي مع دوكسيادس (١٩٥٩).



شكل(١) تخطيط كنزوتانج لامتداد مدينة طوكيو فوق البحر.

مسطور



واجهة

الازدحام سيصل بنا إلى حد ألا يصبح للإنسان مكان يتسع لأكثر مما يسمح له بالوقوف ، وهذا فى مستقبل غير بعيد ، فما بالنا بالحيوان والنبات ! » .

« لقد بدأ علماءُ الكيمياء يستعدون فعلا لدراسة مشكلة التغذية لمواجهة مثل هذا المستقبل . وقد توصلوا إلى استنباط بروتينات من الطحالب والأعشاب البحرية ، صنعوا منها (بفتيكا) له مذاق الشواء ، وهم يفكرون فى زراعة المحيطات . كما وضع المهندسون تخطيطاتٍ للبناء فوق البحار ، كالتى قام بعملها المهندس اليابانى KENZO TANGE وجماعتهُ ، فى مشروع تخطيط امتداد مدينة طوكيو شكل (١) ، لحل مشكلة ضيق مساحة الأرض . ولْنلق نظرةً على المستقبل غير البعيد . لقد أجرى العلماءُ بحثا عن استيطان الإنسان على وجه الكرة ، فوجدوا أن قيمةَ الثروة التى أوجدها الإنسان بعمله فى مختلف نواحى نشاطه ، منذ بدء الخليقة إلى عام ١٩٦٠ ، تبلغ ١٣,٠٠٠,٠٠٠ دولار (ثلاثة عشر مليون دولار) . وسيتضاعف هذا الرقم بعد أربعين سنة . أى أن الإنسان سيستثمر من الأموال فى استيطانه على وجه البسيطة خلال السنوات الأربعين القادمة ، ما يوازى مجموعة مااستخدمه منذ بدء الخليقة إلى اليوم . وسيتضاعف هذا المبلغُ عشرة أمثال فى عام ٢٠٦٠ ، سيعنى ذلك إشغاله لمساحات كبيرة على حساب باقى المخلوقات » .

« ليس هذا وحسب ، بل ستؤدى زيادة السكان إلى التضحية بقطاع كبير من الإنسانية لإفساح المجال للآخرين . وقد رأينا بدايةً لاتبشر بالخير فى محاولة بعض الجماعات من بنى الإنسان ، أن تحل محل جماعات أخرى ، مثل محاولة الألمان إفناءَ العنصر البولندى أثناء الحرب العالمية الثانية ، بتعقيم الرجال ليحلوا محلهم جرمان ، وماحاول الطليان عمله فى ليبيا خلال احتلالهم لها من إقصاء العرب عن المنطقة المنزرعة ، وتشريدهم فى الصحراء الجرداء ، وماكان يعمله الفرنسيون باستيطانهم فى أرض الجزائر ، وما هو جار اليوم فى فلسطين من إحلال قوم من البولنديين والجرمان وغيرهم من مختلف أنواع يهود العالم محل العرب أهل البلاد الأصليين » .

« إذا كان ذلك هو الحال فى المحيط الدولى بين الأمم ، فإن ماهو حادث فى المحيط المحلى لايقل خطورةً عنه ، من حيث اختلافُ التوازن بين السكان وبين الموارد ، واثر ذلك من هجرة أهل الريف إلى المدن بالمعدل الكبير الذى تسبب عنه خلق المشكلات الكثيرة ، التى تواجهها جميع مدن العالم بدون استثناء ، من الإزدحام ، وسوء حال السكن ، ووسائل النقل ، وانتشار البطالة إلخ » .

« لقد شغلت هذه الحال أذهان المفكرين ومن بينهم رجالُ التخطيط ،

الذين وجدوا أنفسَهم فجأة أمام معضلاتٍ يفوق حلها قدرة الإنسان الفرد ولو كان من ذوى الاختصاص . فيما مضى كانت القوى والعواملُ المنظمة لعمليات التطور ، تعمل بصفة هى أقرب إلى الذاتية ، لاتتطلب من الإنسان أكثر من المعرفة العامة لتصريف مايستجد من الأمور فى وقته ، أما فى الوقت الحاضر فقد تعقدت المشكلاتُ بحيث زاد قسط الإنسان فى مسئولية تصريف الأمور ، وكان هذا فى الوقت الذى لم ترْقَ فيه معارفُه بعدُ ، إلى المستوى الذى يتيح له الحصولَ على المعلومات المطلوبة ، لاتخاذ قرارات سليمة حيال الأحداث العارضة » .

« يمكن تشبيه مشكلة الإنسان المعاصر فى ذلك بأنه أصبح وكأنما قد ألقى عليه عبء مسئولية تخطيط نمو جسمه ، بعد أن كانت الطبيعةُ تتولى أمرَ ذلك عنه على المستوى البيولوجى ، فى حين لم ترقَ معلوماتهُ فى علم البيولوجيا بعدُ ، إلى مستوى المسئوليات الجديدة » .

« إن تطورَ الأمور فى السابق كان من البطء بما يتيح للإنسان فَسحةً من الزمن ، تسمح له بالتجربة والخطأ ، أما اليوم فقد تلاحقت الأحداث وزاد معدلُ التغير ،فى الوقت الذى تعقدت فيه المشكلات ، وتشابكت ميادينُ العلوم ، التى تتناولها بالبحث والدراسة ، مما جعل إدراك كنهها يفوق طاقة كل من الرجل العادى ، ذى المعرفة العامة ، والعالِم من ذوى الاختصاص على السواء . فمعلوماتُ هذا دون المستوى ، ومعلوماتُ ذاك ليست لها صفة الشمول المطلوب . لقد استخدم الإنسانُ المعاصر العقلَ الإلكترونى فى استخلاص النتائج من الإحصاءات المعقدة ، وعمل حسابات التباديل والتوافيق فلكية العدد ، اللازمة لحل المشكلات متشابكة الأطراف ، ولكن العقلَ الالكترونى كالطاحون ، لايعطى أكثر مما يوضع فيه من حبوب ، وبذا لاتتعدى وظيفته مهمةَ اختصار الوقت ، ويبقى عبء مسئوليات تحديد رءوس المسائل نفسها ، الذى هو بيت القصيد ، مُلقىً على عاتق الإنسان . إننا – وهذه هى الحال – لفى حاجة إلى الانتقال بمستوى الفكر للرجل الواحد إلى مستوى الوعى الجماعى لعدة علماء من الإحصائيين ، كما لو كان العمل المطلوب أداؤه من الإنسان قد تحوّل من القطعة الموسيقية للعازف المفرد (السولو) إلى مستوى السيمفونية ، التى يتطلب أداؤها أوركسترا كاملة . وهو تحوّل أساسى فى نوع المسئوليات الملقاة على عاتق الإنسان المعاصر وفى قدرها ، يتطلب تغييراً جذرياً فى موقفه من الحياة ، من شأنه ضرورة تحديد رءوس المسائل ، ووضع الحلول المستجدة ، على فترات متلاحقة ، أكثر تقارباً مما كان فى السابق ، وإلّا سبقته الأحداث وسدّت عليه الطريق » .

لقد تصدت بعض الهيئات العلمية لجزءٍ من هذا المشكل المعاصر الكبير فيما يتعلق بتخطيط المدن ، منها معهد TAMIMENT ، وإدارة مجلة الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم DEADALUS مشتركين ، بما قاما به عام ١٩٦٠ من بحث عن عاصمة المستقبل THE FUTURE METROPOLIS ، ثم جماعة « حرية الثقافة » ، التى أقامت ندوةً بالقاهرة فى ديسمبر ١٩٦٠ عن العاصمة العربية للمستقبل ، وكذا معهد أثينا التكنولوجى الذى قام ببحثٍ مشابه ، فى عامى ٦٠ – ١٩٦١ عن مدينة المستقبل . وقد ضمت هيئاتُ البحث هذه جماعةً من علماء الاجتماع والاقتصاد والجغرافيا وغيرهم ، إلى جانب المعماريين ومخططى المدن . وشاءت الظروف أن أشترك مع جماعتى البحث الأخيرتين ، وكان من بين ماقمتُ به فى المشروع الأخير ، إعداد المقدمة ، التى أورد فى مقالى هذا الكثير مما تضمنته ، وفيها أتقدم إلى الزملاء الباحثين برجاء ألا ندع مشروعَ بحثنا يصفّى نفسه ، وينتهى إلى بضع توصيات فى تخطيط المدن ، أو مجرد جمع بعض المعلومات الاقتصادية أو الاجتماعية عن مدينة ما أو كل المدائن . فإن مشروع بحث « مدينة المستقبل » لايقتصر على مدينة واحدة ، أو على قطر بأكمله ، إنما يتعلق بطرائق حياة قطاع كبير من الإنسانية ، ولهذا كان موضوعهُ أكبر من أن يكون مجرد إيجاد حلول عملية لمشاكل مباشرة فى تخطيط المدن . إن الموضوع يتعلق ، أولاً وقبل كل شىء ، بالجماعات الإنسانية الكبيرة دائمة النمو والتطور ، وإعادة التوازن بين الإنسان والطبيعة ، الذى يتم إما عن طريق التفاعل الإيكولوجى ، على مستوى الحيوان بالإبادة والعنف ، إذا ما تركت الأمور على عواهنها ، وإما بالتخطيط الواعى على المقياس الجماعى الشامل ، وتنظيم استيطان البشر على سطح الكرة على أنهم وحدة إنسانية » .

« إن سطحَ الكرة الأرضية لم يصل بعدُ إلى درجة تضخّم السكان الكلى . ولكن هناك تركيزات على مناطق دون الأخرى لانعدام وجود تخطيط عام . فكانت مناطق ضغط ومناطق تخلخل ، تبعتها حركةٌ من مناطق الضغط العالى إلى المنخفضات ، كما هو الحال فى حركة الهواء المحيطة بكوكبنا سواء بسواء . من ذلك كان الصراعُ على مستوى الجماعات الإقليمية ، فكانت هجرةٌ واستعمارٌ وتصديرُ منتجات » .

« إلا أنه عندما يستوفى سطح الكرة كل طاقته من السكان ، الذين تطوروا جميعا ووصل مستواهم فى فنون الإنتاج إلى أقصاه ، فقد تصبح الإنسانية فى موقف لاتحسد عليه ، حيث لن يكون هناك أى مجال لهجرة أو تصدير أو استعمار . وسينتقل مستوى مشاكل الإنسان من الإقليمية إلى شموله العام . وفى هذه الحالة لن يبقى أمام الإنسان سوى الهجرة إلى

كوكب آخر ، او الإبادة الجماعية . وكلا الحلين ليس مما يصح التخطيط للوصل إليه . إن الموضوع يتطلب التفكيرَ العميق ، إذ من المشاهَد أن تطور وسائل الدمار ، يسير جنبا إلى جنب مع تقدم وسائل الإنشاء والحضارة ، فكان القوس والسهم عندما كانت الجماعات تعد بالمئات وتبنى الأكواخ بالقش والبوص ، وكانت القنابل الذرية عندما أصبحت الجماعاتُ تعد بالملايين ، وكانت العمائر من الصلب والخرسان » .

« لقد أصبحت التوعية لازمة ، وللإنسان مطلق الحرية فى الاختيار ، ولحسن الحظ أنه إلى جانب هذه الصورة القاتمة وماسبق إيراده عن تلك البوادر التى تنبىء بالشر لوجود بعض الأمم التى لم تزل متخلفة أخلاقيا ، فإن هناك بوادر أخرى تنبىء بالخير من ظهور مبادىء أخلاقية سامية فى المحيط الدولى ، مثل مبدأ التعايش السلمى الذى يعتبر دعوة إيجابية نحو التخطيط الواعى ، على المقياس الشامل ، وخطوة عملية نحو إزالة الشراسة فى السياسة » .

« إن مهمة الباحث فى « مدينة المستقبل » لتفوق دورَ الأم التى تحيك الملابس لمولودها المنتظر . قد تكون بإعدادها العدة لاستقبال إنسان جديد فى الحياة مخططة فى الاستيطان ، ولكن مجال عملها مقصور على حيز العائلة . إن مهمة هذا الباحث لأكبرُ من مهمة الوالدين ، ومن مهمة السلطات المحلية ، ومن مهمة المسئولين عن التخطيط القومى . فإنه كما ترعى العائلةُ الوليد ، ترعى السلطاتُ المحلية العائلة ، وترعى الدولةُ السلطاتِ المحلية . واليوم يتطلب الأمر أن توجد الهيئة الكبرى التى ترعى الدولة بدورها ، وهو مايتطلب توحيد بلاد العالم جميعاً » .

« إن هذا يومىء إلى فكرة عاصمة العواصم أو « ايكومينوبوليس » كما أسماها الدكتور « دوكسياديس » فى مشروع بحث « مدينة المستقبل » . وتدل الشواهد على أن العالم يسير فعلا فى هذا الاتجاه ، فإن تكتلات الأمم للدفاع والتسويق الجارية اليوم ، ثم وجود هيئة الأمم المتحدة وأهدافها ، التى ارتقت فوق مستوى هذه التكتلات ، إنما تشير إلى أننا سائرون فعلا نحو « ايكومينوبوليس » التى بدونها لن يمكنَ تنظيمُ البشر كجماعة موحدة على كامل سطح الأرض » .

« وعلى غرار هذا التدّرج فى الوحدات الاجتماعية ، التى تبدأ بالعائلة ، وترق إلى الدولة وهيئة الأمم ، نرى فى السكن وحداتٍ متدرجة فى الكبر ، والأهمية ، والوظيفية ، من منزل العائلة إلى الحى ، والقرية ، والمدينة ، والعاصمة « المتروبوليس » والعاصمة الكبيرة « ميجالوبوليس » ، إلى أن تصل إلى عاصمة العواصم أو « ايكومينوبوليس » . هذا بشرط أن تثبت

البحوث أن هذه الحركة تتفق مع أهداف الطبيعة نفسها ، وماتتطلبه من الإنسان لتحقيق هذه الأهداف » .

« إن الإنسانية أمام عدة احتمالات يلزم دراستها ، وأمام عدة طرق يجب أن نسلكها نظريا ، للتعرف على آخر مطاف كل منها ، حتى تأتىَ قراراتُنا فى التخطيط لمدينة المستقبل ، صادرةً عن وعى بالمصير والهدف الأخير » .

« إن هذا لايعنى أقل من وجوب التعرّف على ماهية الحياة ، وأهدافها القريبة والبعيدة ، وصيرورة الإنسان ، وعلى الوسائل التى تحقق بها الطبيعة هذه الأهداف ، ثم التأكد هل كان التحضر من بين حيلها ، فبحث بعد ذلك فى تحديد كيان كل وحدة من وحدات النظام التدريجى هذا ، ومعدل السير بها فى التطور والانتقال من مرحلة إلى التى تليها ، حتى نصل إلى صرح « ايكومينوبوليس » ، فإن للطبيعة حيلا وطرائقَ تدفع بها المخلوقات ، مسخَّرين غير مخيرين ، لتحقيق أهدافها التى رتبتها على درجات بين قريب وبعيد ، مستعينةً عليهم فى ذلك بغرائزهم ، مما يجعلهم يتناحرون فى سبل تنفيذها . وعلى سبيل المثال جعلت الطبيعةُ من المغازلة ، هدفا قريباً لهدف أبعد منه هو الزواج ، ومن الزواج هدفاً قريباً لآخر أبعد منه ، هو التناسل والتكاثر ، ومن التكاثر هدفاً قريباً لهدف أبعد منه هو استمرار الحياة . وهذا الأخير بدوره هدف قريب لأبعد منه وهو التطور . وقد يكون التطور نفسه هادفاً نحو ذلك الوعى الكونى الشامل ، على حد تفكير الحكماء أمثال تايار دو شاردان » .

« وعلى هذا المنوال يمكن القول بأن التحضر ، أى ظاهرة تزايد تجمّع البشر فى مراكز متزايدة فى الحجم ، إنما هو هدف قريب لهدف أبعد منه ، وهو اشتراكية الإنسان ، (والمقصود بالاشتراكية هنا اتجاه البشر نحو تكوين جماعة كبيرة موحدة ، بما تيسره لهم الوسائل العلمية ، من تزايد فرص الاتصال بين أفرادها حتى تصل إلى درجة الشمول العام) ، والاشتراكية الإنسانية هذه هدف قريب لأبعد منه هو نفس الوعى الكونى الشامل الذى أوصلنا إليه المثل السابق » .

« إن الإجابةَ على مثل هذه الموضوعات تتطلب الدفع بالبحث إلى آخر حدود المعرفة الإنسانية ، وإذا لم تتول هيئاتُ البحث الأساسية أمر ذلك فأنَّى لإدارة هندسية لتخطيط المدن غارقةٍ فى مئاتِ المشروعاتِ المباشرةِ العاجلةِ أن تأخذَ بمثل هذه الاعتبارات ؟ » .

« إن موضوعَنا الأساسى هو المستقبل الذى يمتد إلى آخر مايصل إليه الخيال . فإذا ماتناولناه على أساس فكرة صيرورة الإنسان ، إذن يتحتم علينا ألا نأخذ بأى مبدأ فى التخطيط مالم يكن مقربا الإنسانية من هذا الهدف » .

« نعم علينا أن نعترف بقصور إدراكنا ، فإننا قد نبدأ في التخطيط بأبسط العناصر بالطوبة مثلا ، إننا قد ندرك وضعها في سياق الجدار أو المنزل ، وقد يكون الشارع أيضا ، ولكن إلى أي الحدود سيصل بنا خيالنا ؟ هل سيربط بين الطوبة وسياق الحي ، أو المدينة بأكملها ؟ وبقدر مالدينا من وعي سيتحدد مدى إدراكنا لهذه الصلة ، إلا أن علينا أن نعلم بأن هذا السياق يمتد في المكان والزمان إلى حدود الكون نفسه ، فإن لهذه الطوبة البسيطة شكلا وقياسات مثالية تفضُل كلَّ ماعداها في الوجود ، وإن لها مكاناً في نظام الكون . لقد أدرك المصريون القدامى والهنود هذه الحقيقة ، وأوجدوا الترابطَ على هذا المستوى الرفيع ، باخضاع تصميمات معابدهم وأشكالها وقياسات عناصرها وأحجارها لقياسات الكون نفسه[1] . لهذا يتعين على الباحث في موضوع مدينة المستقبل أن يشحذ الذهن دون هوادة ليستوعب النظام الكبير الذى سيسوق فيه مدينته ، وإنه في ذلك لفي حاجة للاستعانة بآراء الفلاسفة والمفكرين ، الذين نفذ وعيُهم إلى أعماق الكون وحقيقة حياة الإنسان » .

« إن أول مايواجه الباحثَ في موضوع « مدينة المستقبل » هو تحديد مدلول المستقبل نفسه ، الأمر الذى يقحم علينا فوراً مفهوم الزمن . ومن دواعي الحيطة أن نبدأ باختبار مفهومنا لهذا الاصطلاح ، وقد أصبح أساسياً في الموضوع » .

« إن الزمنَ كمفهوم أو مصطلح أوجده الإنسان ، في أثناء تطوره على مر الأجيال ، ليعنى إدراك التغيير الذى يحدث في المكان الواحد ، وهو يتوقف على الذكريات المتصورة عقليا ، أو المرصودة موضوعيا . وأبرز هذه التغييرات بالنسبة لمفهوم الزمن لدى الإنسان اثنان : الأول هو التغيير الفسيولوجي الذى يحسه ويلاحظه الفرد حادثا في جسمه نفسه – أي العجز أو كبر السن – والثاني التغيير الدوري الذى يلاحظه الإنسان في حركة الشمس والقمر والكواكب . ولهذين النوعين من التغيير أهمية خاصة ، فإن للنوع الأول (الفسيولوجي) اتجاها واضحا ، من الصغر إلى الكبر والشيخوخة ، يسير باطراد في اتجاه واحد لايرتد إلى الخلف ، في حين أن النوع الثاني دوري لايتبين له اتجاه . ولما كان مفهوم الزمن يتطلب تعيين اتجاه ، إذن فإن اطراد سير عملية الحياة واطراد سير ذاكرة الإنسان هما اللذان أوجدا لدى البشر فكرة الزمن .

« إلا أن الإنسان يستعمل التغيير الدوري منذ القدم لقياس الزمن ، فكان اليوم والشهر القمري والسنة الشمسية ، وقسم بعد ذلك هذه

(١) Schwaller de Lubicz: Le Temple de L'Homme Le Canon Humain, pp. 467-516

المقاييس إلى وحدات أصغر منها كالساعة والدقيقة والثانية » .

« وظل مفهوم الزمن مئات السنين يدرك على أنه تقسيماتٌ متساوية على وجه الساعة ، إلا أنه بتطور المعرفة واتساع إدراك الإنسان لطبيعة الكون ، بدأ هذا التعريف للزمن يبدو غير كاف . ويتلخص المشكل الجديد فى أن مفهومَ الزمن ، الذى يبدو واضحاً لدى الرجل العادى الذى يكبر فى السن ويشيخ ، يفقد الكثير من هذا الوضوح لدى عالم « الفزيقة » عندما يدرس التغير الحادث فى الذرات والجسيمات ، التى هى الوحدات الأساسية ، التى يتكون منها العالم المادى الذى ليس الإنسان إلا جزءاً منه على مستوى الذرة ، يبدو أن التغيير لايستلزم أن يكون فى أى اتجاه خاص ، ولكن عالم « الفزيقة » أوجد مؤشراً للزمن يعمل حتى على مستوى الذرة وجسيماتها . لقد أثبت وجود عملية طبيعية ذات اتجاه واضح تعمل بطريقة شبه حتمية ، لإزالة أى تنظيمات ترتبت عليها الذرات والجسيمات . وتسير عملية « العشوائية » هذه باطراد فى اتجاه واحد ، بلا رجوع إلى الوراء ، حتى تزول الفوارق بين الجزئيات ، ويفقد التنظيم الأصلى كيانه . ويمكن قياس عنصر العشوائية أو فقدان النظام هذا إحصائيا ، وهو مايسمى إنتروبى ENTROPY فى عالم الفزيقة . وبهذا يصبح للزمن معنى فى الطبيعة ، إلا أن هذا المفهوم يزول عندما تصل الذرات إلى حالة التوازن الحرارى – ديناميكى [1] » .

---

(١) لشرح فكرة الإنتروبى لأهميتها فى الموضوع : إذا ما وضعنا طبقة من الرمل الأبيض بارتفاع ٥ سم مثلا فى أنبوبة اختبار ، ووضعنا فوقها باحتراس طبقة أخرى من الرمل الأسود بنفس الارتفاع ، فسنحصل بذلك على تنظيم لمجموع هذه الحبيبات على شكل اسطوانة بارتفاع ١٠ سم ، نصفها الأسفل أبيض والأعلى اسود . فإذا مارججنا هذه الأنبوبة رجًّا زاد اختلاط النوعين ، إلى أن نصل فى النهاية إلى توزيع متساوٍ بينهما بكامل المزج ، بحيث لن يحدث بعد ذلك أى تغيير داخلى فى توزيع هذه الحبيبات كلها مهما كررنا عملية رجّ الأنبوبة . وفى هذه الحالة لايمكن مشاهدة أى تغير فى شكل المزج مهما طال الزمن . ويسمى عالم الفزيقة ظاهرة فقدان التنظيم من الأبيض والأسود ، كما كان فى البداية ، وازدياد عشوائية التوزيع إلى أن تصل إلى الرمادى « بالانتروبى » . ولكنه فى نفس الوقت يحذرنا من أن نأخذ بهذه الظاهرة على أن لها صفة الحتمية المطلقة إذ هناك احتمال إذا ما استمرينا فى رج الأنبوبة إلى ماشاء الله ، بأن نجد الرمل الأبيض قد رتب نفسه فى أسفل والأسود فوقه ، كما كان الحال فى الإبتداء ، إلا أن فرصة حدوث مثل هذه الحالة بالنسبة لتعدد المرات التى ترج فيها الأنبوبة ، وتغير ترتيب الحبيبات من الضآلة ، بحيث يمكن إغفالها بالنسبة للعلم التجريبى .

ويدخل عامل الاحتمال هنا من كوننا إذا ماكررنا التجربة ملايين المرات ، ورصدنا عملية المزج وفقدان التنظيم بين الحبيبات ، فسنجد أن هذه العملية تتم بنفس الطريقة بنفس عدد المرات التى تقوم فيها بعمل التجربة .

وماينطبق على حبيبات الرمل ينطبق على جزئيات الغاز ، فإذا ما عبئت أنبوبتان منفصلتان بغازين تحت ضغطين مختلفين ، ووصل بينهما فسيحصل تيار من الجزئيات المزدحمة فى الأنبوبة ذات الضغط العالى إلى الأنبوبة الأخرى إلى أن يحصل التعادل ، الذى بَعْده لايمكن إدراك اتجاه لحركة هذه الجزئيات فى الأنبوبتين ، وتصبح فرصة تحرك جزىء فى أى ناحية كانت ، متكافئة مع فرصة تحركه فى أى اتجاه آخر . وبذلك يتساوى الضغط على جدران الأنابيب وتكون ظاهرة الإنتروبى قد وصلت إلى أقصى مداها .

« إن هذا التلخيص السريع لتعريف الزمن ، ليوضح لنا أن مفهومَه ليس بالبساطة التى يبدو عليها ، وأنه يتطلب إعمالَ الفكر قليلا ، لكى يأخذ مكانة فى الصورة المتكاملة لحركة تطور الكون . وسيعيننا ذلك على إلقاء الضوء على ناحيتين أساسيتين فى موضوع مدينة المستقبل « الأولى ضرورة تصحيح فكرة الزمن ، وتقسيمات أجزائه ، وتعيين اتجاهاته ، عند دراسة التغير الحادث فى محيط المدينة ، باعتبارها كيانا متطوراً له نسقه الخاص فى التطور ، وقياساته النوعية التى تحدد مراحل التطور هذا واتجاهاته ، والناحية الثانية هى إيضاح هذا المفهوم على المستوى الأعم بقراءة التغير الحادث فى المدينة ، كوحدة ضمن باقى الوحدات ، التى يتكون منها عالمُنا لكى تأخذ حركةُ التحضر بأكملها مكانها فى سياق الصورة المتكاملة للكون » .

« إن علينا عندما نطبق مفهومَ الزمن على مدينة المستقبل فى ضوء ماذكر أن نستخدم وحدات القياس ، التى تتلاءم مع طبيعة التغيير الحادث فى المدينة وليس فى الإنسان أو الذرة . فإن الإنسان قد تعّود أن يقرن الزمن بحركة الشمس باليوم وبالساعة والدقيقة ، ولكن إذا بدأ ذلك عمليا للمقارنة ، فليس هناك مايستدعى استبعاد وجود مقاييس أخرى للزمن ، فإن لكل نوع معدلات خاصة به فى التطور والنمو والتغير ، لاعلاقة أساسية لها بالساعة أو النتيجة . فهناك مثلا دورات زمنية ، طويلة المدى ، كدورات بعض الأفلاك ، أو دورات جيولوجية تتعلق بالتغير الحادث فى حياة كل المخلوقات . ولكل من هذه نظامها الرتيب الخاص . كما أن هناك دوراتٍ أخرى يصعب معها إدراك كنه النظام ، الذى يخضع له التغيير الحادث فى ميدانها ، كما هو الحال فى تطور الجماعات البشرية الملىء بالمتناقضات » .

« المهم فى الأمر هو أن تطبق على كل دورة من هذه مقاييس الزمن الأصلح لها فلا نستعمل النتيجة والساعة إلا للمقارنة بين معدلات التغير لنوعين من الزمن . وفى هذا المقام يقول العلامة إدنجتون EDDINGTON ، للتفرقة بين زمن الساعة وزمن جسم الإنسان « إننا نحكم على أى شخصين بأنهما عاشا نفس الزمن (الفزيقى) بين مقابلتين يفصل بينهما عشرون عاماً مثلا ، مسقطين من الحساب ما حدث لكل منهما بين تاريخى هاتين المقابلتين » ، وعلى هذا المنوال نرانا نطبق نفس الشيء على مدينتين بالحكم عليهما ، أنهما عاشتا نفس الزمن « الفزيقى » بين تاريخين على النتيجة ، بصرف النظر عما حدث فى كل منهما ، ورغم أن أى مدينة سريعة التطور العمرانى تمارس الزمن ، بشكل يخالف ممارسة مدينة أخرى بطيئة النمو له . إن هذه الحقيقة لم تغب عن مؤلفى كتب السياحة الذين من أقوالهم المأثورة

« هنا وقف الزمن خمسة قرون » عندما يتحدثون عن مدينة لم تتناولها يد التغيير لفترة طويلة » .

« إننا إذا ما أوجدنا مقياس زمن خاصا لقياس معدل تطور المدينة — ولْنسمّه « الزمن الاستيطانى » —- سنستفيد منه فى مقارنة حال مدينة مع أخرى ، ونتعرف بطريقة مباشرة وواقعية ، على ما هنالك من تخلف أو مسايرة أو سبق للزمن (الاستيطانى) ، إلا أن ذلك وحدَه لن يكفىَ للدلالة على الدور ، الذى تلعبه المدينة فى حركة التطور العامة ، مالم تربط بين التغيير الحادث فى محيطها ، والتغيير الحادث فى العالم الطبيعى وتتأكد من وحدة الاتجاه بين الإثنين » .

« وهذا لايتأتى بالرجوع إلى تطور مدينة واحدة ، أو كل المدائن ، بل يتوقف على دراسة حركة التحضر ، التى نرى العالَم منساقاً إليها . والتعرف على ما تهدف إليه ، وعما إذا كانت ستؤدى بنا إلى نفس الهدف الذى تسير نحوه باقى مقومات النظام الكبير ، بوصفها إحدى حيل الطبيعة ، التى تحقق بها أهدافها ، أم ستقودنا إلى اتجاه عكسى فتفصل فى النهاية بين الإنسان والطبيعة » ؟

« ولا يمكن الرد على هذا السؤال بالرجوع إلى تطور المدينة والتحضر وحدهما إنما يتوقف على اتجاه تطور الإنسانية نفسها وأهداف الحياة ، الأمر الذى يتطلب التوفيق بين كل هذا ، وبين مصير العالم الفزيقى » .

« عندما نحصل على نظرية مقبولة للهدف الذى تسير نحو تحقيقه الإنسانية ، سيمكننا أن نحدد معالم أى مرحلة من مراحل التغير ، بالرجوع إلى هذا الهدف الأخير ، وأن ندخل فى حسابنا العامل الأخلاقى فيما نقوم به من أعمال التخطيط ، إذ بذلك سيمكننا الحكم على أى تغيير فى نظام الحياة بالمدينة . فإذا كان سائراً فى اتجاه الهدف الأخير اعتبرناه تغييراً للأحسن فنرحب به ، أما إذا كان سائراً فى اتجاه مضاد فنعتبره تغييراً للأسوأ فنرجع عنه » .

« بطبيعة الحال سنجد هناك آراء مختلفة عن مواضيع الزمن والصيرورة والنهاية ، لدى مختلف المفكرين ، ومنهم رجل العلم الحديث والفيلسوف والمتصوف ، ومن الشائق فى هذا المجال أن نجد النتيجة التى يقودهم إليها تفكيرهم — كلّ على طريقته — هى نفس النتيجة رغم اختلاف طرق التفكير بين كل من هؤلاء . إلا أنى سأعتمد فيما أورده ، على آراء صاحب العلم الحديث ، حيث أنه الشخص الذى يسلم الكل برأيه اليوم . وإذا ما لجأت إلى الفيلسوف أو المتصوف فإنما لمساندة هذا العالم فيما يقول ،

ولجعل بحثنا يتم على أوسع جبهة ممكنة لوضع مدينة المستقبل داخل إطار الحياة العام » .

« يذهب العلامة « إدنجتون » فى شأن صيرورة الحياة إلى أن العالم سيصل إلى التوازن الحرارى – ديناميكى ، بعد وقت غير متناهى البعد فى المستقبل وأنه عند ذلك ستزول فكرة الزمن بزوال السهم المشير إلى الإتجاه من الوجود ، بوصول ظاهرة الإنتروبى التى يربطها بمبدأ الاحتمال إلى أقصى مداها . ومن ثَم ستزول فكرة المستبقل . ويسنده فى هذا الرأى عن التماثل الكامل بأنه تعبير عن النهاية لدى بناة المعابد الهندية ، كما ورد عنهم فى نصوص تتعلق بفكرتهم الفلسفية عن تصميم المعابد » .

« إن المربع بتقسيماته كما ينى عليه المعبد هو المسرح الذى ترتسم عليه مدارات الشمس والقمر فى أثناء حركتهما فى نفس الزمان ، وإعمارها فى أثناء دورانهما غير المتماثل من تقابلهما وتلاقيهما ، ثم بدء دورة جديدة نحو تلاق جديد . وإن عدم التماثل هذا وعدم توفر الكمال لهما سبب الحياة . فإن الفصول لم توجد إلا بسبب ميل محور دوران الأرض عن مستوى مدارها حول الشمس . فهذا الميل والانحراف عن التماثل فى حركة الشمس والقمر هما اللذان يحدثان دورات الحياة ، التى نعيشها ، وإذا لم يكن الأمر كذلك وكان التماثل والتطابق لامتصت الحياة فى الكمال اللانهائى الكبير ، وامتنع على الإنسان إدراكها [1] » .

« ويقرب بين هذه الفكرة بأن الانحراف عن التماثل ، هو سبب الحياة بين الفلسفة الهندية والنظرة العلمية الحديثة ، حيث يقول العالم « بايك » « بأنه إذا ما عرضت بعض الطرطيرات لأشعة مستقطبة غير متماثلة بصفة مستمرة ، فإننا نحصل على بلورات غيرمتماثلة التركيب ، ولهذا مدلول هام إذا ما ثبت أن قوةً غير متماثلة ليست حية فى المنشأ ، قد تعطينا عدم التماثل فى التكوين الذى تتصف به أغلب المواد العضوية » .

« ولما كان لا معنى للتماثل من عدمه فى سياق الكون ، فلا توجد فروق داخلية أو استقطابات تميز بين اليمين واليسار ، بالنسبة للفكر العلمى ، كما لايوجد ما يعطينا معنى للاتجاه فى تكوين العالم المادى سوى اطراد الحركة ، نحو التوازن الحرارى الديناميكى ، وهذا بالتعريف يتضمن فكرة النهاية . إلا أن للفيلسوف العلامة تياردى شاردان TEILHARD DE CHARDIN رأياً

---

(١) Stella Krarisch: The Hindu Temple
P. 37, Ed. University of Calcutta, 1940

بأن مظهرَ الحياة يسير فى اتجاه مضاد لاطراد حركة فقدان التنظيم أو العشوائية ، حيث يقول « إن تطور الحياة هو عملية مضادة للإنتروبى ، وتعمل فى اتجاه مضاد لفاعلية القانون الثالى للديناميكية الحرارية ، بما فيه من فقدان الطاقة واتجاه نحو التماثل ، فإن التطور البيولوجى يسير صاعداً بمساعدة طاقة الشمس موجداً تنظيمات أكبر عدداً وأرقى نوعا »[1] » .

« ويؤيد لوكومت دى نوى هذه النظريةَ حيث يقول بأن تنظيم العقل يزداد تطوراً ، بمعدل يوازى الزيادة فى تحول العالم المادى ، نحو التوازن الديناميكى – حرارى . وبهذا يكون سير العالم المادى ، نحو حالة العشوائية المطلقة والعدم ، يقابله تقدم آخر فى مجال الوعى والإدراك فى عالم آخر هو عالم الروح ، الذى ينبعث نظامه وترتيبه من رماد العالم المادى[2] » .

« ففى البداية كانت هناك طاقة منظمة أكمل تنظيم ، ولكن لم تكن هناك روح . وشيئا فشيئا أخذ تنظيم الطاقة يتلاشى ، بينما أخذ الوعى ينشأ ويترعرع ، هذا الوعى العجيب الذى جعلنا ندرك تطور العالم . وفى النهاية ، وفى عالم قد برد ووصل إلى حالة العدم ، بما لايمكن أن يحدث فيه أى حدث مادى ، سيكون هناك نظام وروح قد تحررت من كل قيود المادة ، وبذلك سينتهى النظام الذى كان فى البداية ماديا صرفاً ، إلى نظام من درجة أعلى » .

« وهنا قد يكون من المفيد أن نحدد مفهوم النظام والعشوائية ، فالعالم الرياضى يقول بأن الإنتروبى « تعبر عن اطراد سير العالم نحو العشوائية ، ويربط نظريته هذه بنظرية الاحتمال PROBABILITY . إن العشوائية تحدث بتفنيط أوراق لعب رتبت ترتيباً خاصاً ، فهل يمكن أن نقول بأن حالة التوازن ، التى تحدث عندما نصل إلى أقصى درجات العشوائية ، والتى لايمكن بعدها أن يحصل مزيد من عدم التنظيم ، أى حالة التوازن الديناميكى – حرارى إنما هى حالة من التنظيم الكامل . ففى المثل الذى ضربناه بأوراق اللعب ، إنها إذا مافقدت بواسطة التفنيط ترتيبها الأول ، الذى نظمت عليه باعتبار ما هو مرسوم على وجهها ، فإنها تزداد تنظيما من جهة أخرى ، باعتبار كونها تزداد انطباقا على قانون الاحتمال ، الذى لا تغيير فيه ولاتبديل » .

---

(١) Teilhard de Chardin, The Phenomenon of Man.

(٢) Lecomte du Nouy: L'Homme devant Le Science.

« ويعطينا العالم الجغرافى « برون » BRUHNES مثلا لذلك بطريقة عكسية ، فيقول « إن الإشعاعات الشمسية تسبب حالة عدم التوازن ، وبالتالى الحركة ، ويفارق بين قوة الشمس المتسببة فى اختلال التوازن ، وقوة الجاذبية الأرضية المنظمة ، وينتهى إلى أن عملية تسوية سطح الكرة ، إنما هى نتيجة لتفاعل هاتين القوتين » ولكنه هو الآخر يعترف بأن مبدأ الحركة ، ما هو إلا ظاهرة لفقدان التوازن والتماثل .

إن الصور عن الظواهر الطبيعية ، التى تسير فى اتجاه ظاهر ، لاتتغير فى جوهرها بالنظريات الدورية CYCLIC للعمليات الطبيعية . فإنه إذا ما كان للعملية صفة الحركة المستمرة ، أو المتقطعة ، فهى مدركة . ففى ظاهرة الحياة مثلا ، يمكننا التعرف على حركة تبدأ من الوحدة الكبيرة ، يتلوها الانفصام ، عن هذه الوحدة ، ثم التنوع . وتنتهى أخيراً إلى جمع الشتات والعودة إلى نفس الوحدة ثانيا ولكن على مستوى أعلى . وطالما كانت هناك حياة ، وحتى يصل الكون إلى التوازن الديناميكي - حرارى ، ويصل الإنسان إلى الكمال الأبدى ، فإن عملية الصيرورة هى التى تهم وليس المصير . إن عملية التنويع هى ما يمكن ملاحظته ، ونطبق ذلك على الحياة ، التى من أهم أركانها تنوع الأجناس والتطور . ويقول « دى شاردان » فى هذا المقام « إن الجبهةَ التى تتقدم بطولها الحياة ، ليست عشوائية ولا مستمرة . إنها تركيبٌ من قِطع مختلفة ، ولكنها فى نفس الوقت منظمة على طبقات ودرجات وعائلات وفصائل وأجناس . وبمعنى آخر إن ماتراه هو مجموعة الجماعات التى تنصب جهود علماء البيولوجيا على إطلاق أسماء ، على ما تحتويه من تشكيلات وأنظمة وأحجام وعلاقات . وبصفة عامة تسير الحياة يداً بيد مع التجزُّء والإنقسام إلى وحدات كبيرة طبيعية ومتدرجة الأقسام » .

« إن هذا الاتجاه نحو الإنقسام ، وإلى التطور على طفرات ، وتكوين الأنواع المختلفة على درجات ، يحدث كما لو كانت هناك أعتاب تتخطاها كل منها عند الانتقال من درجة إلى الدرجة التى تليها ، وهو يبدو شاملا للعالم المادى كله . فقد لوحظ فى تقسيم العناصر نفسها أنه إذا مارتبت فى كشف حساب أوزانها الذرية ، فإنها تقسم نفسها إلى مجموعات أو مراحل فى نظام يلفت النظر . إذ تتميز كل مرحلة منها بأنها تبدأ بغاز كريم : هليوم ، نيون ، أرجون ، كريبتون ، كسينون ورادون . فإذا مثّلنا هذه الأرقام هندسيا ، على شكل مربعات مساحاتها مساوية لهذه الأرقام ، سنحصل على

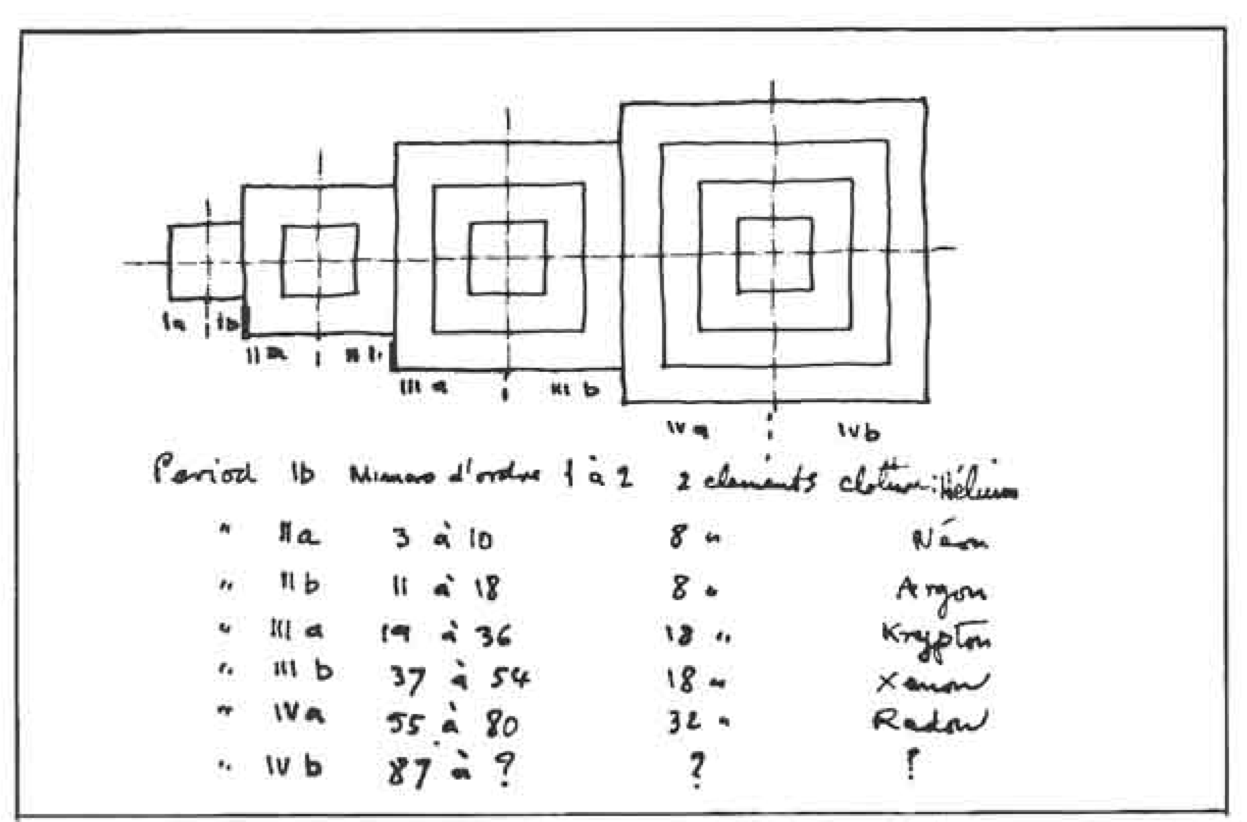
تمثيل بيانى لتتابع خلق المادة على سطح الكرة الأرضية شكل (٢) . ومن الشائق أن هذا الرسمَ البيانى ينطبق على شكل مسقط المدينة المتطورة ، كما توصل إليه الدكتور دوكسياديس . فإن ديناپوليس تمثل مبدأ النمو على طفرات ، الذى يتحكم فى تطور الجماعات الإنسانية ، كما يتحكم فى تطور العناصر الكيميائية ، والمخلوقات الحية على السواء » .

« لقد توصل دوكسياديس إلى شكل ديناپوليس هذا عن طريق المنطق الهندسى ، لمراعاة إعطاء المدينة إطاراً ديناميكيا ، ليستوعبَ الجماعةَ الإنسانية الناميةَ ، التى ستأويها هذه المدينة شكل (٣) . وبدراسة مختلف الحلول ، التى وضعها مخططو المدن النامية ، يخيل إلىّ أن مسقط ديناپوليس يحقق نمو المدينة ، بطريقة عضوية ، تضمن توازنَ الأجزاء فى المكان والزمان ، طالما كانت وسائل الانتقال لم تتغير كثيراً عما هى عليه » .

« إن المستقبلَ يبدأ من التو واللحظة ، وكل طوبة توضع فى أى بناءِ اليوم ، إنما هى جزء من صرح مدينة المستقبل . من أجل هذا وفى الوقت الحاضر « وإلى أن تتغيّر » ظروف الحياة جذريا ، بالشكل الذى يتطلب إجراء تغيير مماثل ، فى تخطيط المدينة ، فإن كل ما يمكننا عمله ، إنما هو بحث تخطيط مدينة الغد ، التى يلوح أن مسقط ديناپوليس يلائمها . ثم حينما تتضح معالم مدينة مابعد الغد فى الأفق ، ننظر فى ملاءمة هذا التخطيط لاستيعاب الجماعات ، وبالتالى الإنسانية ككيان دائم النمو والتطور » .

« إن الإنسانيةَ تتكاثرُ والجماعاتِ تنمو ، فإذا خضعت هذه الظواهرُ لقوانين النمو العامة ، كما لابد أن تخضع ، فستترتب هذه الجماعات فى نموها وتطورها ، على تقسيمات متدرجة ، من حيثُ المستوى والتنظيمُ الاجتماعى ، كل منها يختلف عن سابقتها ، وإن تخطيط ديناپوليس قائم على إيجاد هذه التقسيمات جغرافيا ، وتنظيمها على شكل قطاعات متدرجة فى العدد ، من المنزل إلى الشارع ، والحى الصغير ، والكبير ، إلى المدينة ، وفى المرافق العامة ، والخدمات ، بما يلائم الجماعات التى ستسكنها ، والمتدرجة فى عدد الأفراد من العائلة إلى أهل الحى ، وسكان المدينة بأكملها » .

« فإذا ما أخذنا بهذه الفكرة فى التخطيط فعلينا أولا أن نتحقق من أنها ، بتقسيماتها الجغرافية هذه ، فى المكان ، والتى تشاكل التنظيمات الاجتماعية بتقسيماتها المتطورة فى الزمان ، تلائم تطورَ الإنسان نفسه أكثر من غيرها ، وأن نتحقق أيضا من كونها صالحة لتوفير الإطار المادى ، الذى يسمح بالوصول بهذا التطور إلى مستوى عالمية الوعى ، الذى تنبأ به دى شاردان وغيرهُ من المفكرين ».



شكل (٢) تقسيم العناصر وتمثيل أوزانها بمساحات

الخط الخارجي المماس للدوائر الكبيرة المتزايدة في الحجم يمثل حدود المدينة المتطورة . والمساحة المهشرة التي تمس الدوائر الصغيرة التي تتوسطها هي مركز المدينة المتطور هو الآخر .

شكل بياني لتصميم المدينة المتطورة كما تخيله الدكتور دوكسيادس .

وبالتخطيط على أساس التزايد الطولي بهذه الطريقة يتم إيجاد التكافؤ بين الزيادة في حجم المدينة وحجم المركز .

شكل (٣) شكل بياني لتصميم المدينة المتطورة كما يتخيلها دوكسيادس

« إن هذا البحثَ الأخلاقى ، الذى يستند إلى صيرورة الإنسان ، وهدف الحياة ، لهو التزام على الباحث والمخطط عليه القيامَ به قبل أن يبدأ فى إقرار مبادىء التخطيط ، فإنه قبل أن نفسح المجالَ للجماعات الإنسانية للتكاثر والتكامل فى المدن ، بتطبيق تخطيط ديناپوليس ، أو ما يماثله ، مما يسهل حركة التحضر ، ويعمل على جذب الغالبية العظمى من الناس إلى المدن ، علينا أن نبحثَ ظاهرة التحضّر نفسها وأثرهَا فى حركة التطور العام » .

« إن ظاهرة التحضّر ، تعتبر حديثةً بالنسبة للظواهر الطبيعية ، التى تناولتها العلوم القديمة بالدرس والبحث . كما أن تصرفاتِ البشر كأفراد ، وجماعات معقدة ، مليئةٌ بالمفارقات ، مما يجعل من الصعب استيعابها بواسطة قوانين . نعم قد يمكننا التعرف على مجرد اتجاهات فى ميدانها ، إلا أن حصيلة الإنسانية مما رصدته من معلوماتٍ عنها سواء ما استند إلى واقع ، أو كان من قبيل الاستنتجات . لايسمح لنا بالقول عن ثقة بأن نحكم بمجرد التعرف على هذه الاتجاهات ، بأن ظاهرة التحضر هى جزء من دورة ، أو جزءٌ من عملية ، مطردة الحركة فى نفس الاتجاه ، إلى ما شاء الله . أو أن نحكم هل صلاحيتُها قاصرةٌ على حدودٍ ، إن تخطتها أدت إلى عكس المطلوب » .

« كما أنه من الصعب أن يقرر المرء ، عن ثقةٍ مطلقة ، ما هى أسباب تكاثر السكان ، وأصعب منه أن يقول كلمتَه ، عن نتائج تزايد السكان ، وزيادة التحضّر ، بدون الرجوع إلى التغيير ، الحادث فى كل الميادين الأخرى ، كالتكنولوجيا والاقتصاد مثلا . إنه من الصعب أن نتنبأ بالأثر ، الذى سيحدثه كل تغيير من هذه التغييرات ، على الموقف الشامل بأكمله . إننا بذلك سنصبح كما لو طلب إلينا التنبؤ بشكل الشجرة مكتملة النمو بمجرد رؤية البذرة » .

« إذا لم يكن فى مقدورنا أن نكون صورةً مستقبلية عن عملية التحضر ، من واقع معلوماتنا ، وإحصاءاتنا ، دون الوقوع فى الخطأ ، فبالتالى سنكون أقل مقدرةً على تحديد القيم فى هذا المجال . إلا أن تقدير القيم ، لهو من أولى التزاماتنا ، سواء كان ذلك فى مقدورنا أم لا ! فإن من واجبنا كمخططين ، ألا نقصُر مهمتَنا على ملاحظة ما هو حادث ، بل معرفة ما إذا كان ذلك مرغوباً فيه أم لا . فمثلا إذا ما وجدنا ، أن حركة التحضير ، إذا زادت عن حد ما ، ستقودنا إلى تغيير أسوأ ، باعتبار الوظيفة التى تقوم بها فى خدمة هدف أعلى ، من الإندماج الجماعى ، وتحقيق إشتراكية الإنسان . فيصبح من واجبنا أن نعمل على تغيير الإتجاه ، وإن ما حدث فعلا من هروب ذلك العدد الكبير من أهل المدن الأمريكية ، التى ازدحمت بالسكان

والسيارات ، وامتلأ جوها بالضجيج والدخان ، إلى الضواحى وسكنى المنازل المنفردة ، على المقياس الذى جعل القومَ يطلقون على هذا النوع من الحضر SUBURBIA ، قد يتسبب عنه نكوص فى حركة الاندماج الجماعى ، ورجوع إلى حالة تشبه من بعض الوجوه ، الحالةَ التى عليها بعض أقوام أوغندا ، الذين لايزالون يقطنون أكواخا منفردةً ، إذ أنهم مكتفون بذلك ولاحاجة لهم للتجمع فى قرى . ورغم الفارق الكبير من أن سكان SUBURBIA لديهم من وسائل الاتصال بالجماعة إما مباشرة بالانتقال بالسيارات ، وإما عن بُعد بالتليفون والراديو والتليفزيون ، ما قد يكون كفيلا بسداد حاجاتهم الجسمانية والترويح ، إلا أنه فى انعزالهم فرادى فى السكن ، واختلاف طبيعة طرق الاتصال ، عن النوع المألوف ، سيؤديان حتماً إلى خلق نوع من العزلة ، بحرمان الأهالى من فرص التلاقى الشخصى ، كما هو الحال فى المدن التى لم تصل بعد إلى هذه الدرجة من التحضر . وهو أمر يتطلب البحث والتأكد من صلاحيته باعتبار تطور اشتراكية الإنسان قبل الدفع بمدينة المستقبل فى مثل هذا الاتجاه . ولكن من ذا الذى يمكنه أن ينطق بمثل هذه النبوءات ؟ وإن أمكن فمن ذا الذى يمكنه أن يصدر أحكامه أخلاقياً فى الموضوع ، وأن يجعل حكمه موضع التنفيذ ؟ » .

« لقد تحمل المعمارى الفرعونى القديم عبءَ هذه المسئولية . إنه كان أكثر من صاحب مهنة ، وقد ربط بين عمله ومعرفته الكاملة بتطبيق نفس القوانين والنظم الطبيعية ، التى تخضع لها عملياتُ التشكيل فيما أوجده الله سبحانه وتعالى من مخلوقات ، على عمل الإنسان فى البناء . وبهذا أوجد لنفسه حلا ترتاح إليه النفسُ لمشكلة إيجاد أساس للمقارنة ، فيما كان يبذله من جهد للوصول إلى الحقيقة ، من خلال العمارة . إنه بذلك جعل معبدَه تعبيراً عن الروح ، عن طريق المادة . وقد وصل بذلك الثلاثة الكبار أمحوتب معمارى معبد زوسر ، وسنموت معمارى معبد الدير البحرى (حتشبسوت) ، وأمنحوتب بن هابو معمارى معبد الأقصر (امينوفيس الثالث) إلى درجة القداسة ، كما يتمثلون فى إحدى قاعات الدير البحرى ، وقد وصل وعيهم لمفهوم العمارة على المقياس الكونى الكبير . لقد تطلب ذلك من المعمارى أن يكون عالما رياضيا وفلكيا وطبيعيا وفيلسوفاً وعالماً فى الفزيقة والجيولوجيا ، قبل أن يكون معمارياً ومخططاً » .

« لقد كان المعبد فى السابق بناءاً خاصاً ، يختلف عن باقى مبانى المدينة التجارية وغيرها . كان رمزاً يخضع للقوانين الأزلية ، وليس لضغط الحياة اليومية ، وقد طبق الكهنةُ والمعماريون المصريون القدامى والهنود ، هذه

القوانين ، فى كل عنصر من المعبد ، ووصلوا بهذه الإرادة والقصد فى التصميم ، إلى مستوى أصغر مما يتناوله المعمارى من العناصر بالتشكيل ، إلى قطعة الحجر الواحدة وإلى الطوبة ، فكان لكل منها شكلها وقياساتها وصقل سطحها الأمثل الذى تحدده فكرة المعبد ، ومكانها من كامل البناء ، سواء فى ذلك ما ظهر منها على السطح ، وما كان مقدراً له أن يوضع داخل الجدران ، أو فى الأساسات ، وكأنها خلايا حية تتركب منها أعضاء جسم المعبد ، إذا انحرفت إحداها عن مكانها أو زاد حجمها أو صغر عن المقرر ، أصبحت كالخلية المريضة أو النمو السرطانى فى كيان المعبد الحى الكبير » .

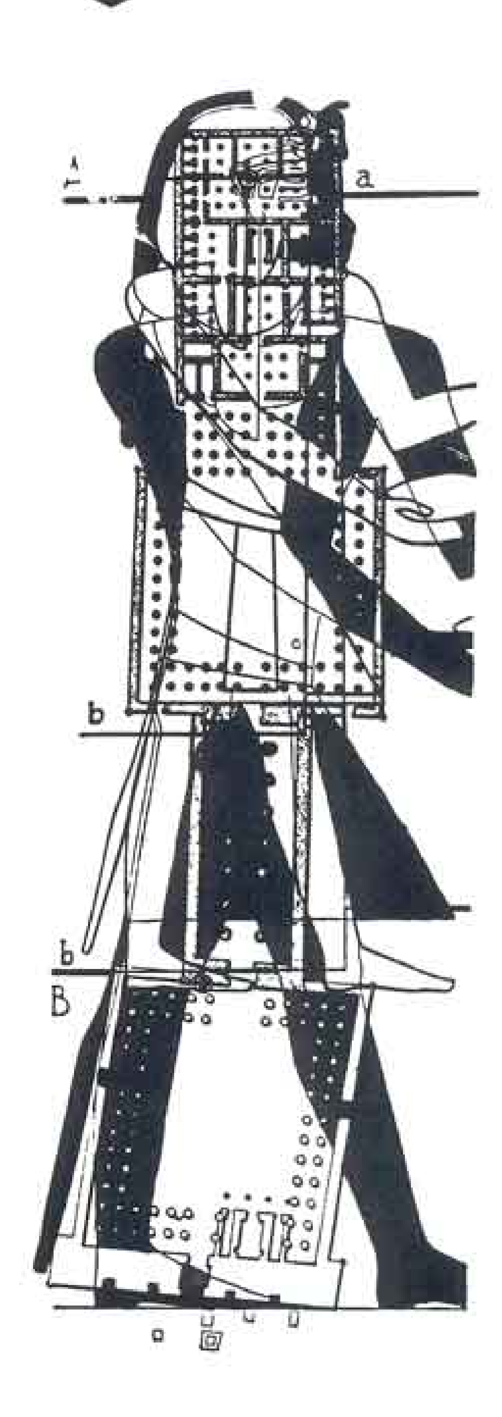
« إننا اليوم عندما نراعى حركةَ الشمس فى توجيه مبانينا ، لتنظيم الإشعاعات والحرارة ، أو حركة الهواء لتوفير أكبر قسط من التهوية بداخلها ، نكون قد أدخلنا عناصر فلكية وأرضية فى تصميمات المعمارى . وعندما سنراعى فى التصميم والتخطيط الإنسانَ وحاجاته الجسمانية والروحانية ، سنربط بين المبنى والكون على مستوى أعلى مما أوصلتنا إليه عملية التوجيه . إننا بذلك سنكون قد ربطنا بين المبنى والكون الأكبر الممثَّل فى الإنسان نفسه ، ككون صغير MICROCOSM ، وإن هذا هو نفس ما عمله المصريون القدامى والهنود ، لتحقيق المشاكلة مع الكون ، عن طريق المعرفة المباشرة والرمز . فإنهم قد توصلوا إلى الكون الكبير خلال رمز الإنسان ككون صغير ، بتحديد قياسات وأشكال عناصر معابدهم وأحجارها بالرجوع إلى قياسات هذا الكون الصغير شكل (٤) » .

« لقد كان لهذا الموقف الذى اتخذه المعمارى حيالَ المعبد تأثيرٌ كبير على اختيار الموقع الذى أقيم عليه . إنه كان يسترشد فى عملية الاختيار هذه ، بالظواهر الطبيعية ، وبما وراءها من القوانين الميتافيزيقية ، التى شملت الكونَ بأكمله . وفى المستقبل ، عندما تتقدم العلوم ، وتتسع مجالات تطبيقها ، قد نصل عن طريق العلوم الفيزيقية ، إلى نفس العالمية ، التى وصل إليها القدامى ، عن طريق المعرفة الميتافيزيقية . وحينئذ ، وعندما سيختار موقع المدينة طبقاً للمعرفة الشاملة ، سيصبح لموقع المدينة هذه نفسُ قدسية موقع المعبد » .

« وفى نفس الوقت الذى يتقدم فيه وعى الإنسان ، نحو التوافق الكبير مع الكون ، حتى فى أدق تفاصيل عمارته ، ستصبح القدسيةُ من صفات الحياة اليومية ، وستصبح المدينةُ بأكملها ، هى المعبد . وقد شحن كل مبنى وكل شارع فيها بالقدسية ، بينما يروح ويجيء الناس فيها فى أثناء تحركاتهم للقيام بمهام حياتهم » .

« واليوم ، وللقيام بالمهمةِ المقدسة لتخطيط مدينة المستقبل ، نحتاج إلى

شكل (٤) الربط بين المعبد والانسان لدى قدماء المصريين .



حكماء من نوع المصريين القدامى . ويتطلب ذلك من الحكيم المعاصر ، أن يجمع بين فن العمارة ، وعلوم البيولوجيا ، والفسيولوجيا ، والفلك ، والرياضة ، والفزيقة ، وغيرها من العلوم الطبيعية ، إلى جانب مجموعة أخرى من العلوم الإنسانية ، كالإجتماع ، والاقتصاد ، وغير ذلك ، إلا أنه سيحتاج فوق كل هذا ، إلى حساسية الفنان ، الذى يتسع خياله لإدراك الجمال (والقبح) ليس فى مظهر المدينة الخارجى ، بل فى طرائق حياة الناس كلها » .

« إن الأمرَ ليتطلب من مخطِّط مدينة المستقبل ، أن يكون فيلسوفاً مستعداً للحكم على الطيب والردىء ، وأن يكون فى مقدوره ، أن يدافعَ عن حكمه أمام الفلاسفة والمفكرين . إن عليه أن يكون عالماً فى الإستيطان ، بما يفوق معلومات عالم الإستيطان . إننا لن يمكننا التهربُ من مسئولياتنا ، وعندما تتخذ أى قرار فى التخطيط يجب أن نسأل « لماذا ؟ » قد نبرر حكمنا على المستوى التكنولوجى فنسأل « لماذا ؟ » أو الإقتصادى فنسأل « لماذا ؟ » وهكذا حتى يأتى حكمُنا فى أصغر الأمور عن التخطيط ، مستنداً إلى صورة شاملة متكاملة ، مترابطة المقاييس الفنية ومعايير الأخلاق » .

« ونكون عاملين على الاقتراب من هذا الهدف بتطبيق العلم والمعرفة ، لتحقيق سعادة الإنسان ، بأن نجعل مبانينا ومدينتَنا المستقبلية على المقياس الإنسانى ، وليس على مقياس السيارة والطائرة والصاروخ ، لا من الناحية الجمالية وحسب ، بل من النواحى البيولوجية ، والفسيولوجية ، والسيكولوجية . فإن معظمَ مشكلاتِنا المعاصرة ، نتجت عن نقص فى المعرفة بالعلوم المتعلقة بالإنسان ، واندفاعنا فى الأخذ بكل ماتعرضه علينا التكنولوجيا الحديثة من تسهيلات ، بهذا القدر الذى تراه وقد أخل بالتوازن الإيكولوجى العام ، وأطاح بالصفة الإنسانية عن مدننا ، التى تُدعى حديثه . ومن بواعث الأمل ، أن نرى بعضَ المحاولات ، التى يقوم بها شباب الجيل من مهندسى ومخططى المستقبل ، فى كثير من بلاد العالم حالياً ، لإرجاع الصفة الإنسانية للمدينة ، بالعمل على الفصل بين المشاة والسيارات فى تخطيط المدن كنقطة بدء . وقد شملت هذه الحركةُ المباركةُ انجلترا والولايات المتحدة والباكستان وإيطاليا [1] . ونرجو أن نراها مطبقةً

---

(١) انظر مجلة EXISTICS عدد فبراير سنة ١٩٦٣ ص ٧٧ إلى ١١٢ .

« المراكز والضواحى » وتخطيطات منشستر وستكهولم وتورنتو وفيلادلفيا وميلانو وبارووا واسلام اباد .

or: Alexandre Verille, Quelques caracteristiques du Temple pharaonique, 1946.

Stella Kreimrisch: The Hindu Temple, p.52

(1) Schwaller de Lubiez: Le Temple de L'Homme,

فى بلادنا عن قريب . إن ذلك مما يشعر بأننا مقبلون فعلا على فترة من التعقّل ، بعد اندفاع فى تيار الآلية بغير حساب . وعندما تزول فترة الإنبهار بالآلة ، ونرق بالفكر بما يسمح بوضعها فى مكانها ، نطبق هذا المقياسَ الإنسانى ليشكل تطورَ الإنسانية ، وصيرورة الحياة ، سنكون فى سبيل الوصول إلى نفس الرؤية ، التى هدت القدامى . وسنجد حينئذ أن المشاكل التى أوجدتها زيادة اختلال التوازن عن القدر المرسوم ، ستحل نفسها بنفسها ، أولاً بأول ، من واقع النظام العام ، بعد أن اندمجت فيه حياة الإنسان . وعندما تصبح مدننا ومبانينا جميعا مصمَّمَةً على مقياس الإنسان وحاجاته ، ككون صغير ، ستصبح المدينةُ إشعاعاً من ذاته ، وستصبح مدينةُ المستقبل هى المعبدُ فى الإنسان » .

« قد يبدو هذا الكلام أقربَ إلى الخيال ، ولكنه ، فى الواقع ، أقربُ إلى حقيقة الإنسان . فإن التغيرّ لمن أهم مظاهر الحياة ، فإذا لم نعلم إلى أين يقودنا هذا التغير ، الذى يحيط بنا ، فلن يمكن أن نجعل التخطيط متفقا مع صيرورة الإنسان ، إن لم يصل إدراكنا إلى فهم كُنه النظام ، الذى يخضع له التغيير ، ويدفع الإنسانية نحو الهدف الأخير . وإن لم نؤمن بهذا الهدف ، فلن يكونَ للحياة معنى ، ولن يكونَ للتخطيط أى لزوم » .

« إذا لم نؤمن بوجود غرض من الحياة وبمصير الإنسان ، يحسُن بنا فى هذه الحالة ألا نخطط على الإطلاق » .

« أما إذا اتسع تفكيرُنا ، ليندمج التخطيطُ فى النظامِ الكونى الكبير ، وقبلْنا إدخالَ العامل الأخلاقى على المستوى العالمى ، فى حسابنا عند التصميم ؛ فسيمكننا كفرعون ، أن نقوم بالخطواتِ الكبرى والصغرى بقدم ثابتة ، وقد وضح أمامنا الطريق بما ألقاه عليه وعلينا من نور ، وسيصبح فى مقدورنا حينئذ ، الدخول فى صميم الموضوعات المتعلقة بتخطيط مدينة الحاضر والمستقبل ، بقدر من الثقة فى تقييم مانقوم بعمله ، فى مختلف ميادين الهندسة والتخطيط على كاملِ المستويات » .

« إن المستقبلَ يبدأُ من التو واللحظة ، ويمتد إلى آخر حدود الزمن . لذا لايصح أن نضعَ قِبلَتنا التخطيط لعشرة أو عشرين سنة ، أو حتى لمئة عام . إن ما علينا أن نعمل للوصول إليه هو ضمان إيجاد الوعى الاستيطانى ، على المستوى العام لدى المخطط ، ثم نترك له بعد ذلك مطلقَ الحرية فى التصرف ، حيالَ مايعرض له من مشكلاتٍ ، كما تترى فى سير الحياة ، على هدى مالديه من معرفة ، نقول له نفسَ ماقاله فيرجيل لدانتى عندما أوصله إلى قمة جبل التطهير وأراه الجنةَ الأرضية :-

« لاتنتظرْ منى بعدَ اليوم كلمةً أو نصيحةً
إن حكمك حر مستقيم وسليم
ومن الخطيئة ألا تتبعَه
إننى أنصبك الولاية على نفسك . اضع تاجَ الحكمة على رأسك ، والصولجانَ فى يدك » .

« وبذلك سيصبح لما يقوم بعمله المخطط ككون صغير ، هو نفسه فعالية القوانين الأزلية ، التى أودعها فيه الكون الكبير ، وسيصير الحاضر هو الأبدى ، وقد اندمج فى النظام الشامل العام » .

وهكذا يستمر حسن فتحى فى شرح نظرياته التخطيطية ، بأسلوبه الفلسفى ، من واقع دراساته وقراءاته المتشعّبة . وهو فى نفس الوقت يشيد بما توصل إليه دكسيادس ، من تحديدٍ لشكل المدينة الديناميكية ، عن طريق المنطق الهندسى ، وهو ماظهر فى مؤلفاته ومقالاته ، كما ظهر فى تطبيقاتِه على العديد من المدن فى العالم ، خاصةً فى دول العالم الثالث ، وذلك من خلال الأعمال الاستشارية ، التى قام بها فى هذه الدول ، متبعاً منهجاً واحداً للمعالجات التخطيطية ، ونمطا واحداً فى الدراسة ، لايختلف من مدينة إلى أخرى ، إلا من حيثُ المسمياتُ أو الأرقامُ أو المساحاتُ . وكان هذا هو الأسلوب ، الذى اتبعته مؤسسة دكسيادس الاستشارية ، للقيام بكثير من المشروعات . وحاول حسن فتحى أن يطبق هذا المنهجَ على مدينةِ القاهرة ، وذلك بتطبيق الشكل الهندسى المعروف للمدينة الديناميكية ، لتوجيه الامتدادات العمرانية المستقبلية فيها ، على طول محور يمتد من الشمال إلى الجنوب شرق مدينة القاهرة . ولم تتعدَّ هذه المحاولةُ أكثرَ من هذا . كما لم يحاول الخوضَ فى تطبيق هذا المنهج ، على غير ذلك من المدن العربية ، حيث لم تتحْ له فرصةٌ كبيرة للقيام بأى أعمال تخطيطية ذاتِ وزن يذكر . وهكذا استمر فكر حسن فتحى عن مدينة المستقبل حبيسَ النظرية ، ولم يحاول أيضا الخوضَ فى الجوانبِ العملية أو التصميمية فى بناء المدن الجديدة ، وإن كان يسعى إلى القيام ببعض التجارب ، من خلال ماأسماه المعهد الدولى للتكنولوجيا المتوافقة ، الذى لم يوفق إلى إنشائه ، وبذلك ينحسر الفكرُ التخطيطى لحسن فتحى ، إلى هذا الحد ، الذى لايقارن بفكره المعمارى ، الذى حاول نشرَه عن طريق النظرية والتطبيق ، ولاقى تقبلا كبيراً ، فى الأوساط المعمارية العالمية ، وإن كان لم يَلْقَ نفسَ هذا الإقبال فى العالم العربى ، وبخاصة فى مصر .

الفكر المعماري لحسن فتحي

يظهر الفكرُ المعماري جليا ، في كتابات حسن فتحي ، في المجلات الثقافية ، وما ألقاه من محاضرات في المحافل المعمارية . وجميعُها تدور حول الأصالة الحضارية للعمارة العربية ، التي يجدها في عمارة العصور الإسلامية مرتكزاً على تعريفه للثقافة بأنها « حصيلة تفاعل ذكاء الإنسان مع البيئة الطبيعية في استيفاء حاجاته الجسمانية والروحية ، الأمر الذي يظهرُ في الفنون التشكيلية بطريق مباشر ، بينما يظهر هذا التفاعلُ بطريق غير مباشر في العمارة ، التي تعبر عن محاولات الإنسان لخلق التكوينات المعمارية ، الكفيلة بحمايته من العوامل الطبيعية ، مستعملا مايقع تحت يده من مواد البناء ، التي تتوفر في البيئة المحلية ، واستلهام الوحي من الكائنات الطبيعية الموجودة في البيئة . ويضرب لذلك مثلا من الهند ، حيث الحياة النباتية هي الغالبة في البيئة الطبيعية ، ومن ثم تأثرت المعابد الهندوكية بأشكال النبات ، والصبّار منها بصفة خاصة ، وهو مايظهر بعد ذلك في تصميم مسجد الأمير قطب الدين ، بالقرب من دلهي ، حيث أخذت قمة المئذنة شكل نبات الصبار . كما ضرب لذلك مثلا آخر في العمارة الأفريقية ، التي تأثر المعماري فيها بالأشكال الحيوانية والإنسانية ، وهو مايظهر في شكل القناع المتمثل في عمارة مدينة كانو بشمال نيجيريا » ، ثم يشير حسن فتحي بعد ذلك إلى أصول العمارة الإسلامية ، التي تأثرت بالبيئة الطبيعية ، التي نشأت فيها وهي البيئة الصحراوية الجرداء . وهنا يدخل في فلسفة العمارة الصحراوية فيقول : « إذا كانت الصحراءُ قاحلةً جرداء فإن السماءَ فيها تكون صافيةً في الأمسيات والليالي ، غنيةً بهلالها ونجومها وكواكبها . ولما كانت السماءُ هي العنصر الغالب الذي تفاعل مع ذكاء العربي خاصة بالليل ، حيث كانت اهتماماتُه بالفلك والرياضيات ، كما كانت السماءُ محور تفكيره في العمارة .. كما كانت السماءُ هي العنصر الملطِّف للجو ليلا ، لذلك أقفل البدوي مسكنَه على الخارج في مستوى سطح الأرض ، وفتحه على السماء بواسطة الصحن ، الذي يعتبر فراغه وكأنه الجزء الخاص به من السماء داخل بيته » . ويستطرد في مقاله قائلاً « وقد أدخل البدوي إحساسَه بالكون الكبير في العمارة ، عن طريق الرمز ، إذ يعتبر الجدرانُ الأربعة ، التي تحيط بالصحن بمثابة الأعمدة الأربعة ، التي تحمل قبة

السماء » . وبينما يحاول حسن فتحى إيجادَ بعض التفسيرات التى تأثرت بها العمارةُ الإسلامية .. وهذا مجال واسع للاجتهاد والتصور ، يقول فى مكان آخر « إن من التقاليد المعمارية فى المنزل العربى عمل فسقية فى أشكال هندسية مثمنة ، داخل مربع ، وكأنها إسقاط هندسى لقبّة ساسانية ، على خناصر منظورة من أسفل » ، ويقول « إن شكل الفسقية هذا لم يأتِ بالصدفة ، إنما اختير لقيمة رمزية . فالمنزلُ بالنسبة للرجل العربى كان عبارةً عن كون صغير (ميكروكوزموس) ، وباستخدام الرمز والعناصر المعمارية للتعبير عن نظرته الكونية ، كان يعتبر القبة الساسانية رمزاً للسماء . لهذا ولكى يشد قبة السماء إلى وسط الدار ، ويجعل قدسيتَها تتسرب إلى الحجرات ، فإنه عمل الفسقية على شكل القبة الساسانية ، مقلوبا لتنعكس السماء الحقيقية على سطح المياه ، فى هذه السماء الرمزية » وهكذا – كما يقول حسن فتحى – « توصل البدوى العربى إلى إدخال الطبيعة والكون ، اللذين كان دائم الاتصال بهما فى حياته البدوية فى الصحراء ، إلى البيت الحضرى بواسطة الرمز ، وتحويل الطبيعة إلى عناصر معمارية » .. وهذا التفسير الخاص الذى يقتنع به حسن فتحى ربما لا يروق لمنطق غيره من المعماريين ، الذين يعتبرون تدفق المياه من نافورة أو سلسبيل ، هو فى حد ذاته رمز للحياة ، التى يتأملها الإنسان .. ولم تقتصر النافورة على المسكن العربى فقط ، فقد وجدت فى صور أخرى فى عمارة أخرى . وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لتفسير حسن فتحى ، فكيف يرى المسكن الفرعونى ، الذى لم تظهر فيه هذه الظاهرة .

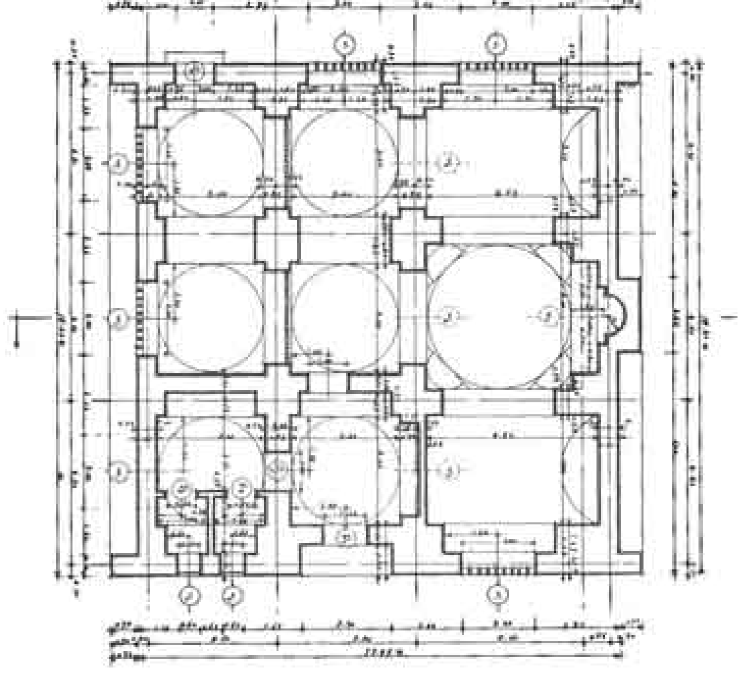
ويستمر حسن فتحى فى تفسيره ، لما يسميه نقل الطبيعة إلى الحضر عن طريق الرمز ، فهو يفسر تسقيف الدرقاعة فى المسكن الإسلامى ، على شكل قبة ساسانية ، بأنه « رمز للسماء التى تعلو الصحن ، وكانت هذه السماء الرمزية تنعكسُ على سطح الماء فى الفسقية التى تتوسط الدرقاعة » .. فى حين أن مياهَ الفسقية متدفقةٌ ، وليست ثابتة ، حتى تنعكسَ عليها قبةُ السماء .. والتفسير الذى أورده حسن فتحى ليس يقينيا ، فهو لم يؤكد هذا التفسير بمقولة أو كلمة وردت عن المؤرخين لهذه المبانى أو من معاصريها .. فالتفسير هنا اجتهاد شخصى منه . كما يلاحظ أنه اتخذ الرمزية مدخلاً للتفسير ، وهو أسلوب اتخذه فلاسفةُ نظريات العمارة من قبل ، فى عصر النهضة فى أوروبا ، كما اتخذه شعراءُ الصوفية لتفسيرات دينية ، مع أن الدين الإسلامى واضح لالَبْس فيه ، ولا رمز يختلف الناس فى تفسيره .

وعن عمارة المسجد يقول حسن فتحي : « لقد وجد الإنسان في وجدانه الرموز بتجريد الظواهر ، والبحث فيما وراء الشكل من القوانين الأزلية ، التي يحملها الشكل ، والتي خضع لها تكوينه ، فإن الناحيةَ الرمزيةَ فيما وراء الشكل تعود إلى الوجدان ، وبالتالي إلى العقيدة ، فإذا خلت العمارةُ من الناحية الوجدانية لأصبحت ميكانيكا . فالمعماري البيزنطي اتخذ الشكلَ الكروي رمزاً للسماء ، والمربعَ رمزاً للأرض ، وذلك في تصميم البازيليكا ، التي استخدم فيها الرمز على أنها كونٌ صغير ، وذلك بأن جعل الجزءَ الأوسط من المبنى مربعَ المسقط ، ويرمز إلى الأرض وتعلوه قبة ذات دلّايات منكفئة عليه ، ترمز إلى السماء ، ولذلك كانت البازيليكا تحمل كوناً متغيراً قائماً بذاته » ويستطرد قائلا « وقد استخدمت القبةُ في العمارة الإسلامية للرمز إلى السماء ، وبخاصة في عمارة المساجد والأضرحة ، مع الاختلاف في الرمز والتكوين والشكل ، عن القبة البيزنطية ذات الدلّايات الهابطة ، التي استبدلت بها القبةُ الساسانية ذاتُ الخناصر الصاعدة . فمبنى المسجد يعبّر عن انفتاحه في اتجاهين بتصميمه وتكويناته المعمارية ، في الإتجاه الأول رأسيا للاتصال بالسماء ، والاتجاه الثاني أفقيا نحو مكة المكرمة للاتصال بكعبة المسلمين . ولما كان الأمر يحتاج إلى تسقيف جزء الصلاة

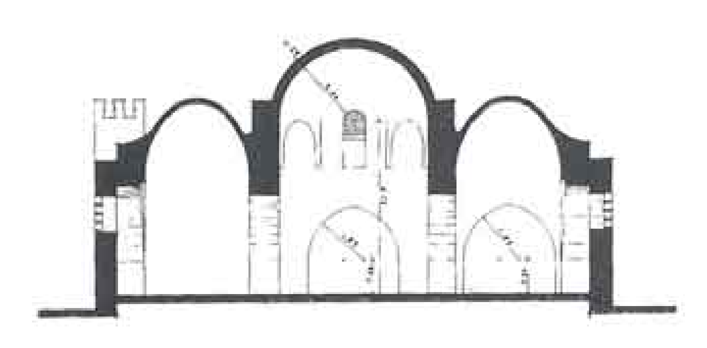


مسقط أفقي للجامع بالقرنة الجديدة ـ (١٩٤٦ - ١٩٥٣ م) .

١ - المدخل .
٢ - فناء أمامي .
٣ - مخزن .
٤ - ممر مسقوف .
٥ - صحن .
٦ - ايوان صلاه .
٧ - غرفة الأمام .
٨ - مخزن .
٩ - بهو الصلاة .
١٠ - ميضأة .
١١ - مدخل ميضأة .



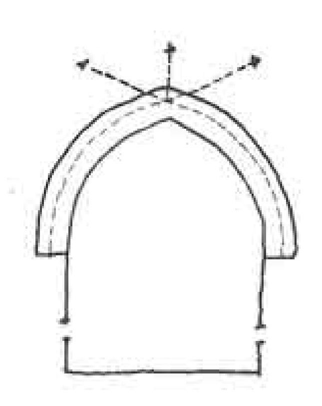
قطاع في مسجد قرية دار الاسلام - نيومكسيكو .



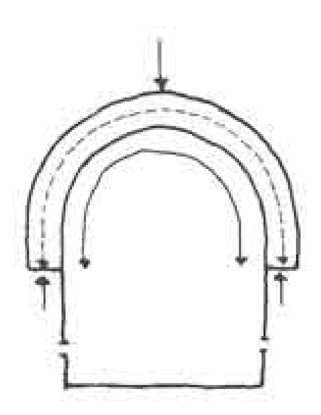
مسقط أفقي لمسجد قرية دار الاسلام - نيومكسيكو (١٩٨٠ م) .

دراسة لحسن فتحى فى حالات توزيع القوى بأنواع العقود المختلفة

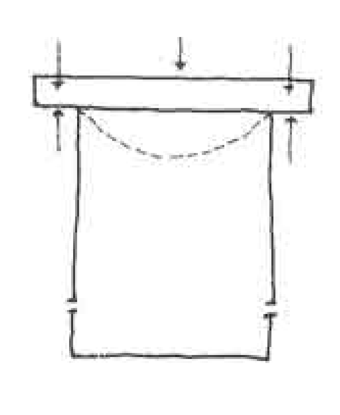
لحماية المصلّين من العوامل الجوية ، الأمر الذى قد يحجب السماءَ عن المصلين ، فقد عُني المعمارى الإسلامى بأن يجد الوسيلة لتحقيق الاتصال عن طريق الرمز ، مستخدماً القبةَ الساسانيّة ذاتَ الخناصر ، التى تحول المربع ، الذى يرمز إلى الأرض إلى مثمَّن ، ومن فوقه القبةُ الكروية ، التى ترمزُ إلى السماء ، ذلك التكوين الذى يعبّر عن الحركة إلى أعلى ، ويرمز المثمَّن فيه إلى الثمانية الوارد ذكرهم فى الآية الكريمة « ويحملُ عرشَ ربّكَ فوقَهُم يومئذٍ ثَمانية » (آية ١٧ سورة الحاقة) . ولما كان سطح القبة الكروى منظوراً من الخارج يبدو هابطا ، فقد عنى المعمارى الإسلامى بمعادلة هذا التأثير ، بعدة طرق منها ، أن جعل منحنى سطح القبة الخارجى ، على شكل عقد محدّب مع جعل قشرة القبة تنحسر قليلا من أسفل ، مما يجعلها وكأنها ستنفصل عن الأرض وتطير فى السماء ، كما نرى فى بعض القباب المصرية ، وكما نجد فى عمارة إيران وأواسط آسيا ، إذ قد زاد المعمارى من هذا الضمور من أسفل القبة ، بحيث تبدو وكأنها أكثر خفة واتصالا بالسماء » ثم يقول حسن فتحى « لقد زاد المعمارى الإسلامى من تأثير الخفة وصعود القبة إلى أعلى ، بأن نحتَ سطحَها الخارجى بزخارف نباتية ، باعتبار النبات يرمز إلى الصعود إلى أعلى ضد جاذبية الأرض ، ويشق حتى الصخر فى إصراره على الصعود » وينتهى بقوله « إن عمارة الجوامع ، كباقى العمارات الدينية ، لها قداستها ورموزها الخاصة ، التى احتفظ بها العلماء والعارفون ، الذين كانوا يدلون بها إلى أهل حرف البناء المهرة ، الذين أنتجوا تلك العمارات . إنه بهذه الطريقة ، أمكن الحفاظُ على الأشكال ذات الرموز فى البلد الواحد ، وفى كافة البلاد الإسلامية . وقد أتت وحدة الأشكال المعمارية ، من وحدة العقيدة ، التى أوحت بإختيار نفس الرموز ، وكأنها الأشكال الهيروغليفية ، التى ترمز إلى نفس المعانى لكافة المسلمين » . هكذا يفرض حسن فتحى مفهومَ الوحدة فى العمارة ، ويربطها بوحدة العقيدة .



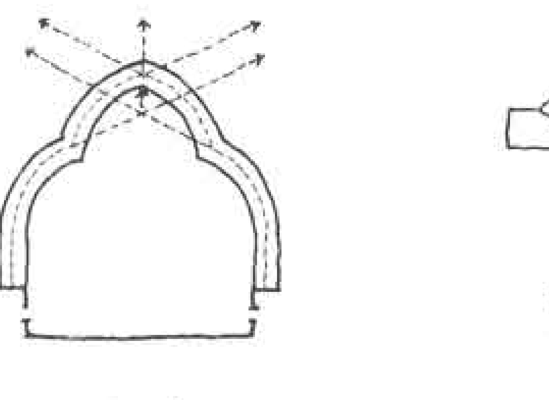
عقد محموس ذو ثلاثة مراكز



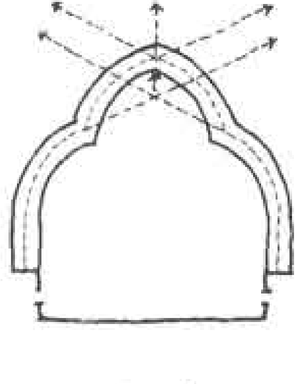
عقد محموس متساوى الإضلاع



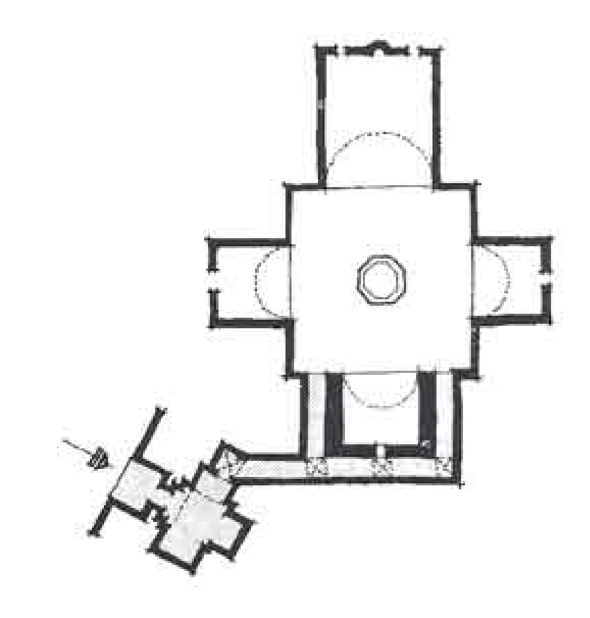
عقد مستقيم



عقد موتور



(عقد مدائنى



مسقط أفقي تجريدي لمسجد السلطان حسن يوضح دراسة المدخل الرئيسي — من اعداد حسن فتحي

أما عن العقد في عمارة المسجد فيقول حسن فتحي : « إن لكل عقد بمنحنياته معنىً رمزياً ككل الأشكال الهندسية ، وإننا نجد في العمارة الإسلامية أن تحاشى المعمارى استخدامَ العقد النصف دائرى ، الذى يرمز إلى السكون والموت من واقع طبيعة الجهود الداخلية ، فاستعمل بدلا منه العقد المخموس ، أو العقد الناقص ، أو عقد حدوة الحصان » . وهنا يحاول مرةً أخرى تفسير الأشكال بالرمزية .

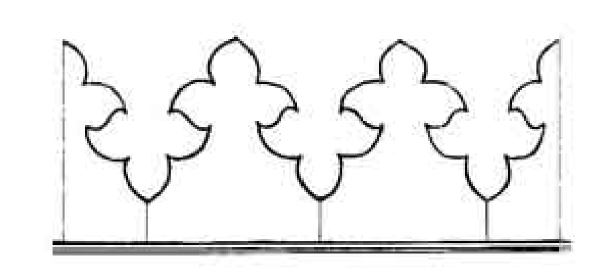
ويقول حسن فتحي عن رمزية الباب : « إن الجوامع التقليدية لها بابٌ واحد أساسى فى الواجهة العمومية ، يرمز إلى وحدانية الخالق عز وجل ، الذى سيقوم المواطن بالصلاة بين يديه فى الداخل ، وإننا نجد نفس الرمز مستخدما فى كافة المبانى الدينية سواء كانت كاتدارائية أو معبداً فرعونياً أو هندوكيا — أما عن القبلة فإن تجويفَها يذكّر حسن فتحي « بما يسميه علماءُ الآثار بالباب الوهمى فى العمارة الفرعونية ، أو ما يسمى بالهيروغليفية « عتبة الأبدية » ، لأنه إذا ما كان الجسمُ لا يستطيع الولوج من القبلة إلى الكعبة ، فإن الروحَ يمكنها أن تصل إليها من خلالها » .. وهكذا يتمادى فى التفسير الرمزى للأشكال المعمارية ، مستشهداً مرة بالعمارة المسيحية ، ومرةً بالعمارة الفرعونية ، وذلك دون الرجوع إلى سند علمى أو يقين عقائدى . هذا فى الوقت الذى يقول فيه علماءُ الآثار إن القبة أو المحرابَ عنصرٌ غريبٌ عن عمارة المسجد ، ظهر فى العصر الأموى كتأثير للعمارة المسيحية ، كما أن المحرابَ الذى يشبه المذبحَ فى الكنيسة ، لا يعبر عن العقيدة . هذا وعلى جانب آخر ارتبط شكل القُبة بالضريح ، الذى هو أيضا لا يعبر عن عقيدة ، الأمر الذى دعا علماءَ المسلمين إلى اعتبار القبة عنصراً غير مستحب فى عمارة المساجد ، كما جاء عن علماء المملكة العربية السعودية . وهكذا يهتم حسن فتحى بالشكل والرمز أكثر مما يهتم بالمضمون ، سواء بما له سَنَدٌ فى السنة ، أو فى القرآن ، أو ما أشار إليه علماءُ المسلمين .

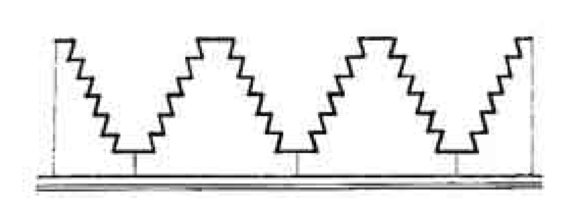
ويعود حسن فتحي مرةً أخرى إلى الربْط بين الأرض والسماء فى عمارة الجوامع فيقول « لقد توّج المعمارى الإسلامى — ولم يقل المعمارى المسلم ، حيث أن كثيراً من معماريي العصر الإسلامى كانوا من غير المسلمين — جدرانَ الجامع بما يسمونه العرائس . وهنا ترمز كتل هذه العرائس إلى الجسم ، بينما يرمز الفراغ الواقع بينها إلى الروح ، كما توجه الكتل إلى الأرض ، والفراغات إلى السماء » . ويستمر حسن فتحى فى تفسيره

الرمزى للأشكال قائلاً : « إن ثلاثة أوراق زنبق ، ترمز إلى فكرةٍ فسرها الفيلسوف الصينى فى التصوير ، عندما تحدث عن زهرة البرقوق ، فإنه عندما تكون هذه الزهرة بُرعُما ، وقبل أن تتفتح ، فإن ورقة الكأس التى تحتها تكون مكونة من جزءين ، بما يرمز إلى الثنائية وانفصال الأرض عن السماء ، وعندما تتفتح الزهرةُ وترسل عبيرَها إلى الهواء ، فإن الكأسَ يصبح ذا ثلاثة أقسام ، بما يرمز إلى التقاء الأرض بالسماء ، ووجود الإنسان ليشاهدَ المعجزة من هنا – يقول حسن فتحى – وبهذه العرائس عبّر المعمارى الإسلامى عن فكرة التقاء الأرض بالسماء بطول الجدار ، على مستوى الفرد ، وهو فى الصف ، وكأنها ترمز إلى الحديث النبوى الشريف بأن المسلمين سواسيةٌ كأسنان المُشط ، وبما يبين هذا النص أن هذه العرائسَ قد اتخذت شكل الإنسان فى جامع أحمد بن طولون » .. هكذا فسر حسن فتحى أشكالَ العناصر المعمارية فى المبانى الدينية .. وبأسلوبه الخلاب وطريقة إلقائه الجذابة ، يأسر السامعَ إليه حتى القناعة ، مع أن كل هذه التفسيراتِ تصوراتٌ خاصة ، يحاول بها أن يجدَ فيها منهجاً لعمارة المسلمين ، وهى أيضا تفسيراتٌ أبعدُ ما تكون عن المنهج الإسلامى ، أو المنطق العقائدى ، الذى يؤكد أن المضمونَ هو أساس الشكل .

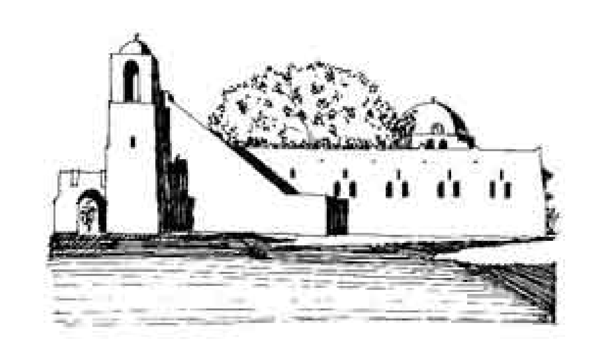
ويقول حسن فتحى عن المئذنة « إنه من ضمن ما عبّر عنه المعمارى الإسلامى فكرةَ التسامى إلى العُلى فى عمارة الجامع بالمئذنة ، التى تنطلق إلى السماء فى تضاد مع أفقية الجدران ، وإنه إذا كان يرمز إلى اتصال الأرض بالسماء ، على مستوى الفرد بواسطة العرائس ، فإنه حقق الرمزَ باتصال الأرض بالسماء على مستوى الجماعة بواسطة المئذنة » ، وبعد ذلك يحاول تحليلَ التشكيل الحجمى للمئذنة ، سواء بالنسبة لتقسيماتها الأفقية ، التى تتناقص صعوداً ، أو تتغير من المربع إلى المثمّن ، إلى الدائرة صعوداً ، الأمر الذى جعلها أقربَ إلى فن النحت ، مخضعا الإنشاء للتعبير الفنى .. هذا مع أن التعرضَ لتحليل الشكل المعمارى للمئذنة يتطلب دراسةً أشمل لأنماط مختلفة من المآذن ، التى أقيمت من الطين ، أو الحجر ، أو الشجر ، فى الشرق والغرب ، ليجد المحللُ فوارقَ كبيرة فى الشكل والإنشاء ، يصعب الوصول منها إلى نمط موحد للمئذنة كما يراها حسن فتحى .

يعتمد حسن فتحى فى كتاباته المتكررة عن العمارة على استعمال المدخل الفلسفى ، والإشارة إلى الخصائص البيئية ، والظواهر الكونية ، بطريقة علمية ، ثم ينتقل فى كتاباته إلى الاستشهاد بالفلاسفة ، والمفكرين ، أو المبدعين ، فى مجالات التصوير والموسيقى ، مستعيناً بأقوالهم المأثورة ، وتعبيراتهم العلمية ، الأمر الذى يأسر به القارىءَ لمقالاته ، أو المستمعَ





دراسة لنوعين من الشرفات عرائس السماء المختلفة من إعداد حسن فتحى .



مسجد قرية القرنة الجديدة - (١٩٤٨ م) .

لمحاضراته . وهى فى تعددّها لاتخرُج عن شكل واحدٍ يمس البيئةَ والإنسان ؛ وخصائصَ العمارة التقليدية ، وإيماءاتها الرمزية ، ليخرج منها ببعض القواعد التصميمية ، والقيم الجمالية ، مستشهداً فى ذلك ببعض الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية . وبعد ذلك يفتح بابَ غضبه على ما آلت إليه العمارة المعاصرة ، التى فقدت الإنسانية ، والجوانب الروحية ، واعتمدت على النواحى المادية التى خلّفتها تكنولوجيا العصر .. وإن نمّ ذلك عن شيء فإنما ينُمّ عن سعة اطلاعه من ناحية ، وعلى إحكامه الربط بين الأجزاء المتتالية لمقالاته ومحاضراته ، فى أسلوب شيق جذاب ، ممزوج بالتهكم والملاحظة اللاذعة ، وإن كانت كل هذه المقالات والمحاضرات ، لاتخرجُ عن موضوع واحد يتكرر ، فى أوضاع مختلفة ، فى الأماكن المختلفة .

يقول حسين فتحى عن الطرز المعمارية « كما أوجدت مختلف الجماعات خطوطَها النابعة من العقل الباطن ، فقد أوجدت أشكالَها ، وطرزَها المعمارية ، المتميزة الخاصة بها ، والحبيبةَ إلى نفوس أهلها ، التى يتعرف بها عليهم . وقد نبعت من وجدانهم ، كما أوجدت أشكالَ ملابسها ، وفنونها الشعبية ، ولغاتها ، وكأن هذه الطرز النتاجَ الجميل لزواج سعيد ، بين ذكاءِ أهل الجماعة ، ومتطلباتِ البيئة » .

ومن أقوال حسن فتحى المعروفة « إن الناحية التقنية فى العمارة إلى جانب لزومها لضمان سلامة الإنشاء ، لتعتبرُ الوسيلة المتاحة لتناول المواد ، بالتشكيل فى عمليات التعبير الفنى ، الذى يجب على المعمارى أن يمتلك ناصيتها ، كما يمتلك عازفُ الآلة الموسيقية مثلا تِقنيّة عزف السلالم الموسيقية ، والأوبيجات والأكودات لكى يصل إلى مرحلة التعبير . ولكنه لايصح أن يقف عندها » . هكذا يظهر حسن فتحى معرفته بالأصول الموسيقية ، فهو نفسه يعزف على الكمان قطعاً كلاسيكية .

ومن أقواله أيضا عن الجمال : « إن الجمالَ المعمارى للمبنى ، أو مجموعة المبانى ، التى يتكون منها الشارع والحى والمدينة ، إنما هو صفة بصرية ، تنتج عن التأثير بالشكل ، فى الشعور بالتوافق بينه وبين القوى العاملة على تكوينه . ويمكن القولُ بأن الطبيعةَ لم تقصد خلق الجمال فى كل شجرة أو جبل ، إنما هو الإنسان الذى يصف هذه وذاك بالجمال ، من واقع إحساسه بتوافق الشكل مع القوى التى عملت على تكوينه ، وهى قوة الخالق سبحانه وتعالى » .

وعن التشكيل الأمثل يعرض حسن فتحى لتشكيل الحد الأدنى من ظاهرة تبلور الأملاح ، التى تخضع لقوانين أزلية موحدة ، لامحيصَ عنها ،

ويقارن ذلك بالتصميم المعمارى ، الذى يقوم به الإنسان بعقله الواعى وإحساسه ، عن طريق عقله الباطن . وبذلك تتحول فكرةُ تشكيل الحد الأدنى إلى فكرة التشكيل الأمثل . ويستطرد قائلا : « إن فى ذلك مايذكّرنا بالحديث القُدْسى الشريف (..... وما يزال العبدُ يتقرّب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببتهُ كنتُ عيْنهُ التى يُبصِرُ بها ، وأُذنَه التى يسمعُ بها ، ويدَه التى يبطِشُ بها ، ورجلَه التى يمشى بها وفؤادَه الذى يعقِل به ....)* أى أن الإنسان بصفة عامة ، والمعمارى بصفة خاصة ، عندما يدْأبَ فى التقرّب إلى الله سبحانه وتعالى ، بالعلم والمعرفة ، لاكتشاف قوانين الأزلية ، فإنه عندما يقوم بتطبيقها ، بعقله الواعى وبيده فى تصميماته المعمارية ، سيصبح كعامل مساعد ، فيما يقوم بعمله من تكوينات معمارية ، التى ستتسم بصفة الصدق ، التى تتسم بها تكويناتُ الطبيعة » .

وعن التقاليد فى العمارة يقول حسن فتحى « على المعمارى أن يبعِدَ عن ذِهنه فكرةَ أن التقاليد ستعرقلُ انطلاقَ قدراتِه الخلاقة . بل العكس ، فإنه إذا ما استند خيال الفنان ، إلى كتلة التقاليد الحية القائمة ، فإن العملَ الفنى سيكون أرقى بكثير ، مما لو لم تكن هناك تقاليد يستند إليها ، أو إذا ما تغاضى عمداً عما هو موجود منها . إنه إذا مااحترم التقاليد ، فسيجد أن النتائج التى يصل إليها ستفوق بمراحل ، قيمةَ الجهد الذى بذله . إنه سيكون كمن يضيف جزيئاً من ملح إلى سائل مشبّع بهذا الملح ، وقد وصل إلى درجة التزهّر بما أضافته إليه الأجيال السالفة من جزيئات ، فلا يلبث أن يتبلور هذا السائل بأكمله بمجرد إضافة هذا الجزء . وأين هذه النتيجة الباهرة من هذا الجهد البسيط . غير أنه فى العمارة ، سنجد أن عمليةَ التبلور الفنى مختلفة عنها فى حالة السائل ، حيث أن عمليةَ التبلور الفنى لاتحدث مرة واحدة وتصبح منتهية . إنما هى عملية مستمرةُ الحدوث عند كل إضافة من قِبَل الفنان . وعلى حد قول الفيلسوف الصينى لاوتسى : التكملةُ دون الوصول إلى الاكتمال مفيدة ، والإنجازُ دون الوصول إلى نهاية مرغوبٌ فيها . ويستطرد حسن فتحى قائلا : « إن صرامة التقاليد لاتقيد سوى الفنان الضعيف ، أما القوى فإنها لن تقيّده ، بل تتيح له الفرصة للإبتكار والتغيير والتجديد ، كل حين وحين ، مع التقيد بالتراث » وهكذا يحلل حسن فتحى مايريد إيصالهَ من فكر عن طريق العلم بخواص المواد المحسوسة من ناحية ، وعن طريق الكلمات المأثورةِ من ناحية أخرى . وهذه القدرةُ على التعبير نبعت من سعة الإطلاع ، والتعمق فى فهم أسرار الطبيعة .

---

* الاتحافات السنية فى الأحاديث القدسية للشيخ العلامة محمد المدنى ، تصحيح محمود أمين النواوى - صادر عن دار الريان للتراث - القاهرة ١٩٨٧ . صفحة رقم ٤٣ حديث قدسى رقم (١١٣) .

مفهوم المعاصرة فى العمارة عند حسن فتحى

لحسن فتحى تفسيرٌ خاص لمفهوم المعاصرة ، نورده هنا ، بنصه كما كتبه فى كتابه « العمارة والبيئة » .

« إن عمليات التغير والتحول فى العمارة ، لكى تكون سليمة غير عشوائية ، لمِمّا يتطلب توافقها مع التغيرات الحادثة فى البيئة ، سواء الطبيعية ، أو الحضرية ، بما يجعلها مرتبطةً بزمانها أو معاصرة » .

« إن كلمةَ معاصر بحسب تعريف القاموس صفةٌ تعنى « وجود واحد ، عائش حادث فى نفس الوقت مع ... » وإن هذا التعريف لا يعنى سوى الموازاة بين شيئين أو حدثين زمنياً ، دون أن يحمل مطلقاً أى إيماءةٍ ، أو إشارة إلى تقويم ، أو رفض ، أو قبول ، ولكننا نرى أن هذا المصطلح ، كما يستخدمُ اليومَ فى مجال النقد المعمارى ــ يحمل معنى الحُكم على قيمة فنية ، فيقال عما يُبنى اليوم من العمارة على الطراز السائد فى السوق ، بأنه مرتبط بالزمن الحاضر . لهذا فهو معاصرٌ وتجب الموافقة عليه ، على حين يدعى كل ما أقيم فى العهود السابقة من أى طراز كان ، والعربى على الخصوص ، بأنه متخلف ، خالطين بين المفهوم الزمنى الكرونولوجى ، أى زمن التقويم والساعة ، وبين المفهوم المجازى للفظ المعاصرة فى عمليات التقويم . إن هذا الأمر لمما يثير تساؤلين توءمَين ، أحدهما ما الزمن ؟ والآخر ما الذى نعنيه بقولنا مرتبطٌ بالزمن ؟ » .

مفهوم الزمن : إن الزمنَ هو الفترةُ بين حَدَثين ، كما يمكن أن يقال بأن مفهومَ الزمن يعتبر كنايةً مرتبطة بإدراك الإنسان للتغير ، بالنسبة لنقطة ثابتة ، إمّا فيما يتعلق بتعدّد الصور المتعاقبة على الفترات ، التى يرسلها المخ إلى الذاكرة ، وإما بما يرصده بإحساساته من تغيرات فى البيئة الطبيعية ، أو التغيرات الفلكية ، التى يلاحظ الإنسان حدوثَها فى السماء ، من حركات الشمس والقمر والنجوم . وإن التغيراتِ الفسيولوجية ، التى يلاحظ الإنسان حدوثَها فى جسمه ، من الصغر إلى الكبر ، لتعتبر مما يهمنا أمره ، فيما يتعلق بالزمن بالنسبة لموضوعنا ، فإن التغيراتِ الفسيولوجية هذه ، تسير فى اتجاه واحد غير قابل للتغيير ، على حين أن التغيراتِ الفلكية من النهار إلى الليل إلى النهار من جديد ، أو من الصيف إلى الشتاء ، ثم إلى الصيف على التعاقب تعتبر دورية ، لا تحمل إشارة لأى اتجاه كان على مستوى حياة الإنسان . وإننا إذ نقول على مستوى حياة الإنسان ، فذلك لكون هذه الدورات الشمسية والقمرية مثلاً ، ليست من الثبات فى التتابع ، الذى نظنّه ، إذ هى تتبع دوراتٍ كونية من الكبر ، ما قد يجعل

ملاحظتها مما يخرج عن نطاق إدراك الإنسان العادى ، كدورات انتقال الشمس فى الأبراج الفلكية ، التى تبلغ مداها خمسةً وعشرين ألفاً وتسعمائة وعشرين سنة شمسية ، وتسمى هذه الدورة بالسنة الأفلاطونية . وإنه لمن الأمور المحيِّرة للفكر كيفية توصّل القدامى لرصد هذه الدورة ، الأمر الذى يستدعى أن يعيش الفلكى عدة سنوات فلكية . وكم يذكّرنا هذا بقوله سبحانه وتعالى « وإنَّ يَوماً عِنْدَ رَبِّكَ كألْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ » (آية ٤٧ سورة الحج) .

« ومع ذلك فإن التغيرات الدورية ، هى التى يستعملها الإنسان فى قياس الزمن . فإن اليوم والشهر القمرى والسنة الشمسية ، هى القياس التى يُرجع إليها » .

« إن هذه التغيراتِ الدورية ، وزمن التقويم والساعات والدقائق ، لمما لا يفيدنا كثيراً فى قياس المعاصرة فى العمارة ، فإن مقاييس هذا الزمن ، تتكرر كدقات الساعة ، بلا اتجاه ، على حين أن التغيراتِ فى العمارة ، لها اتجاهاتُها المرتبطة ، ارتباطاً وثيقاً ، بتطورات الإنسان السيكوفيزيولجية ، وإن هذا التطورَ ليختلفُ من المستوطنات البشرية ، وتظهر آثاره فى الأشكال والطرز المعمارية » .

« إننا إذا أخذنا كلَّ فرع من الثقافة على حدة ، فسنجد أن معدلات التغير ، ستختلف بين الفرع والآخر فى نفس الجماعة ، كما سنجد أن معدلاتِ التطور ، فى نفس الفرع الواحد ، ستختلف بين جماعة وأخرى . وبذا فلا يصح اتخاذُ زمنِ التقويم وحده ، كمؤشّر عن المعاصرة ، أو التخلف فى العمارة ، وإن علينا أن نحدد العناصرَ والاعتباراتِ التى يمكن الرجوع إليها لقياس المعاصرة فى العمارة ، لدى كل جماعة ، على حسب ظروفها الخاصة » .

المعاصرة فى العهود التاريخية : بدراسة تطور العمارة ، فى العهود التاريخية المزدهرة ، كالعهد الفرعونى مثلاً ، على ضوء الفلسفة والعقائد ، التى كانت سائدةً فى هذا العهد ، سنجد أن هذا التطورَ كان سائراً فى دورات محددة ، وإن هذه الدورات كانت متوافقةً مع دورات أخرى فلكية كونية ، كدورات حركة انتقال الشمس فى الأبراج السماوية ، وذلك عن تطبيق التشكيلات الهندسية ، فى اللحظة الفلكية للأجرام السماوية ، المرتبطة بالبرج القائم ، وإسقاطها على تخطيط وتكوين المعبد ، الذى يرمز إلى هذا البرج ، ويردد صداه على الأرض ، وكأنه الوترّ المشدود من نفس المقام ، وذلك بمراعاةِ الاتجاهاتِ والزوايا والمقاييس » .

« وعندما كانت الدورةُ الفلكية تنتهى ، وتتم حلقاتها بدخول الشمس فى برج جديد ، كان القدامى يفكون أحجارَ المعبد حجراً حجراً بكل عناية ، ويستعملون بعضها فى أساسات المعبد الجديد ، بطريقة تقليدية ، وكأنها

البذور التى ستنبت النبات ليعيش دورته الجديدة (شوالار ولوبيتش) . »

« وليكون المعبدُ الجديدُ متوافقاً مع زمانهِ ، وليكون معاصراً ، كان المصريون القدامى يضعون تصميمه وأشكاله المعمارية واتجاهاتهِ ومقاييسه ، بما يتفق مع التشكيلاتِ الفلكية السائدةِ فى البرج الجديد ، كما أوضحته الحفرياتُ التى أجريت فى معبد منتو بالكرنك ، الذى بُنى عندما كانت الشمسُ فى برج الثور ، وكان محوره يتجه جنوباً وشمالاً ، ثم فكت أحجاره عندما دخلت الشمسُ فى برج الحَمل ، وبنى ومحورهُ فى اتجاهٍ متعامد على القديم ، ومن الشرق إلى الغرب رمزاً لآمون ، وكما تمخضت عنه حفرياتُ معبد ميدامود شمال الأقصر . فإن هذا المعبدَ فكت أحجارهُ وأعيد بناؤه ثلاث مرات فى نفس المكان . فى المرة الأولى بُنى عندما كانت الشمسُ فى برج التوءمين ، ثم فكت أحجارُه وأعيد بناؤه عندما دخلت الشمس فى برج الثور ، وفى المرة الثالثة عندما دخلت الشمسُ فى برج الحَمَل على التتابع ، وفى كل مرة لكى تتفق عمارتُه مع البرج الجديد . هذا ومما تلزم الإشارة إليه أنه بنيت كنيسة صغيرة بداخله فى العهد المسيحى ، عندما دخلت الشمس فى برج الحوت ، الذى يرمز إلى المسيحية .

وهكذا أوجد القدامى مرجعاً قياسياً للمعاصرة .

المعاصرة فى العصر الحالى : بأفول الطراز الكلاسيكى الأوروبى ومشتقاتهِ ، عندما وصل إلى نهاية دورته بالروكوكو كما سبق إيراده ، ومع دخول التكنولوجيا الحديثة فى البناء ، بموادها الجديدة كالصلب ، والألومنيوم ، والخرسانة المسلحة ، والزجاج ، والبلاستيك الخ ، دخلت العمارةُ الأوربية ، ومعها عمارة البلاد الأخرى كافة ، فى دورة جديدة . وقد أجرى بعض الرواد عدةَ محاولات لإيجاد طراز جديد ، إلا أن خلق طراز يعتبر عملا جماعياً ، يتطلب أكثر من جيل واحد من المعماريين المبتكرين ، وأكثر من جيل واحد من الجمهور ذى الوعى الكبير ، بما يسمح بإيجاد رأى عام متنوّر ؛ له وزنهُ فى عمليات الحكم على القيم ، والاختيار ، والقبول ، أو الرفض » .

« ولما كنّا فى البداية ، وكانت الأعمالُ المعمارية ، التى أقيمت من عمل الأفراد من المهندسين ، فلم يتسع الوقتُ بعدُ لإيجاد ما يصح أن يُدْعَى مدرسةً جديدة فى العمارة . أو بلورة طراز جديد ، أو الحكم على احتمال أن أعمال التجديد ، التى أجريت تعتبر حلقةً من دورة جديدة ، بدأت فى الظهور ، أو أنها مجرد طفرة بلا اتجاه ، مما ينطبق عليه قول الفيلسوف دانتى ألليجيرى [إن مايدعى حديثاً قد يكون مالا يستحق أن يبقى ليهرم] حقا وجدت (جماعة) « الباوهاوس » التى بدأها المعمارى الألمانى « جروبيوس » مع جماعة من المهندسين ، كما وجدت جماعة « سيام » التى

ضمت بعض المعماريين الجدد ، أمثال « لوكوربوزييه » ، والنقاد أمثال سيجموند جيديون ، إلا أن جهودَ هذه الجماعاتِ وغيرِهم ، من المهندسين الآخرين ، لم تصل بعدُ فى مجموعها إلى إيجاد ما يصح أن يطلق عليه اسم (مدرسة) أو طراز ، كما أن أعمالَ هؤلاء تتغلبُ فيها النواحى التكنولوجية ، على النواحى الفنية التعبيرية ، وبالتجريد أو التبسيط النابع من الهندسة الإنشائية ، وليس من تفاعل ذكاء المعمارى مع البيئة الطبيعية ، من حيثُ الاعتباراتُ الثقافية . وبتطبيق مفهوم المعاصَرة ، على الكثير من هذه الأعمال ، سنجد أنها متخلفةٌ ، بل إنها لم تدخل فى مجال العمارة كفنٍّ ، حتى يمكن تقويمُها ، من حيث المعاصرةُ أو التخلف » .

« ومن الأمثلة على ذلك ، ماقام ويقوم به المهندسُ الحديث ، بعمل عمارة الجدران الزجاجية ، التى تعتبر من أهم مقوِّمات المعاصرة ، وذلك بحجة انفتاح المبنى على المنظر الخارجى . فإن العمارةَ عُرفت بأنها الفراغُ المحصور بين الجدران ، وليس الجدران نفسها ، لذا فإنه عندما تُقام الجدران من زجاج شفاف فإن هذا الفراغَ المحدودَ سيتسرب إلى الخارج مصطحباً معه العمارة » .

« وبالإضافة إلى ذلك ، فإن المعمارى الحديثَ بإقامته مبانى الجدرانِ الزجاجية ، فى بلد من البلاد العربية ، لم يترك ذكاءَه يتفاعل هو والبيئة الطبيعية ، من حيث المناخ ، كم أنه لم يراع النواحىَ الفسيولوجية ، إذ أن حائطاً من الزجاج بمقياس ٣,٠٠ × ٣,٠٠ متر ، كما هى الحال فى واجهات حجرات مبانى الجدران الزجاجية ، ليدخل من الحرارة ما يساوى ألفى كيلو سعُر فى الساعة ، إذا ما تعرّض لأشعة الشمس ، مما يتطلب طاقةً توازى طِنَّيْن فى الساعة للتبريد . ولمعالجة هذا الشكل الحرارى ، فقد ابتكر هذا المهندسُ ما سماه « كاسرات الشمس » ، وهى عبارة عن ألواح عريضة من الخرسانة المسلحة تركّب ، إما رأسياً وإما أفقياً ، بكامل فتحة الغرفة على الواجهة ، على مسافاتٍ كافية لمنع دخول الشمس إلى الداخل . ولكن كاسراتِ الشمس هذه تسخن هى نفسها ، وتشع حرارتَها إلى الداخل . وبهذه الصورة سنجد أن كاسراتِ الشمس هذه ، لم تنجح إلا فى تمزيق المنظر الخارجى ، الذى عمل الجدارُ الزجاجى من أجله بخطوط عريضة معتمة سوداء ، وبينها فتحات شديدةُ الإضاءة ، مما يضايق النظر ويؤذى العين » .

« وهنا يتذرع البعضُ فى تبرير ذلك بوجود آلات تكييف الهواء . حقا إن المهندس المعمارى الذى يعمل من مبناه فُرناً شمسيا ، ثم يستعمل جهازاً هائلاً للتبريد ، ليجعله قابلا للسكنى ، إنما يبسِّط الأمور أكثر من اللازم ، ويعتبر تصميمَه تحت مستوى العمارة » .

« إن هذا لايعنى إنكار أن التقدمَ التكنولوجى له الكثيرُ من المزايا ، فإن التكنولوجيا كانت تهدف باستمرار ، إلى تحكّم الإنسان فى البيئة المحيطة به . وإنه إلى ماقبل الثورة الصناعية ، ظل الإنسان محتفظاً بتوازن إيكولوجى خاص ، بين كيانه الداخلى السيكو فزيولوجى وبين العالم الخارجى . ولكن يجب أن نعرف أيضا ، أن الإخلالَ بهذا التوازن قد يسىء إلى الإنسان ، فى أى ناحية من نواحى طبيعته البشرية . لذلك فإنه مهما تكن معدلات التقدم التكنولوجى سريعةً ، ومهما يكن التغير الاقتصادى جذرياً ، فإنه يجب على الإنسان أن يخضع معدلاتِ التغير لطبيعته هو نفسه ، لا أن يخضع نفسَهُ لها ، وأن ينزل بتجريد رجال الاقتصاد والتكنولوجيا ، وتخليقهم فى الفراغ ، عندما ينسبون هذا الإنسان ، إلى أمنا الأرض بقوة جاذبية الطبيعة البشرية ، وإن تغلّب الناحية المادية ، التى تتسم بها الحضارةُ المعاصرة ، لما يعود إلى أن المواطنَ المعاصر ، أصبح يعيش معظمَ حياته فى البيئة الحضرية ، التى من صنع المهندس الإنشائى ، الذى لا يقع بصره فيها إلا على الموجودات المادية ، مما أضاع عليه فرص تفاعل ذكائه مع البيئة الطبيعية ، التى من صنع الله سبحانه وتعالى . ولحسن الحظ أنه بدأ الغرب يتنبه لما تحمله هذه الاتجاهاتُ المادية من أضرار ، كما تشير إليه بعضُ تقارير منظمة الأمم المتحدة مؤخراً ، فيما يتعلق بالجدران الزجاجية ، من حيث الإسراف فى الطاقة ، وناطحات السحاب فيما يتعلق بالإنسان السيكوفزيولوجى نفسه » .

« إن استنكارَ بعض مايُدعى « حديثا » ، يجب ألا يؤخذ على أنه دعوةُ للرجوع بالعمارة إلى الوراء ، أو إلى أى عهد مضى ، فإنه من التقدير لمنتجات العهود التاريخية المزدهرة ، إذ لايصح الوقوف بالعمارة عند قرن سابق ، بالعكس إن ما نقصده هو الدفاعُ عن المعاصرة ، وتنقيةُ هذا المفهوم من شوائب التخلف ، التى لحقت بالكثير مما يُدعى « معاصرا » ، والارتفاع بمفهوم المعاصَرة إلى أرق معانيه . وإن علينا أن نتعرفَ على ما يتصل بالدورة الجديدة ، التى بدأت تتفتح معالِمُها بتطور العلوم الحديثة الطبيعية والإنسانية ، وأن نتحسسَ الاتجاهاتِ السليمةَ فى حركةَ التحول المعمارى ، وما تعدنا بالوصول إليه ، من التوافق مع التحولات وحركةَ الطبيعة » .

« وإن من واجب جيلنا الحالى أن يقوم بعملية جرد لجميع الإتجاهات السائدة ، للتعرّف على المبادىء ، التى تتحكم فى تحقيق صفة المعاصرة فى كل منها ، وما يمكن أن يؤخذ على أنه خطوةٌ من خطواتِ التطور العام إلى الأمام فى الحياة » .

« إنه يجب القولُ بأنه لايمكن أن نأخذَ نفس الرموز الفرعونية ، التى اتخذوها لتحقيق المعاصرة ، فى عمارة معابدهم كمراجعَ قياسية ، بالنسبة

إلينا . فإن المعبدَ كان مبنىً خاصاً وخاضعاً للقوانين الدينية ، وليس لضغط الاقتصاد أو الحياة اليومية العادية ، ولكن مع تقدم العلوم ، واتساع نطاق المعرفة المتزايد ، نأمل أن نصل إلى عالمية القدامى . ومن المشاهَد فى كل العلوم الفيزيقية الحديثة ، وبخاصة فى الطبيعة النووية ، أنها أصبحت تقترب من العلوم الميتافيزيقية . إنه عندما نعتبر حركةَ الشمس فى توجيه الأبنية للحصول على الأشعة ، أو تحاشيها ، وعندما نعتبر حركةَ الهواء الخارجى ، لخلق التيارات داخلَ الأبنية وخارجَها ، فإننا سندخِل المتغيراتِ الكونيةَ والأرضيةَ ، (جيوديزية) فى التصميم . كما أنه عندما نراعى احتياجاتِ الإنسان الجسمانيةَ والروحية ، بأن نأخذَ فى الاعتبار بالعلوم الإنسانية ، والطبيعية كالايروديناميكا ، والطبيعة ، والفسيولوجيا ، والسيكولوجيا الخ .. فإننا بذلك سنحقق المعاصرةَ ، فى أجلى معانيها . وإنه إذا ما توصل الإنسانُ القديمُ إلى المعاصَرة عن طريق المعرفة المباشرة ، فإن الإنسان الحديث يمكنه التوصلُ إلى المعاصَرة ، عن طريق العلوم التحليلية » .

« حقا إنه ليس من المعقول ، أن نرفضَ المزايا والتسهيلاتِ ، التى تمدنا بها الاكتشافاتُ العلمية والتكنولوجيا الحديثة ، إلا أنه يجب علينا أن نعترف أيضا بأنها تعرض علينا مواجهة مشكلات أخرى ، بخلاف مجرد الإنشاء . فإنه إذا ما أمكن للتقنيّة الحديثة أن توجد الحلولَ للنواحى الإنشائية والاقتصادية ، فإنها لاتحل بالتبعية ما يتعلق بالنواحى الجمالية والاجتماعية ، من المشكلاتِ التى تنشأ عنها » .

« إن العناصر الجديدةَ والإنشاءات الحديثة ، تتطلب ابتكارَ قواعدَ جديدة فى الجمال ، وإيجاد التوافق بين صدق أشكال هذه العناصر ، بالنسبة للإنشاء ، ولمتطلبات التصميم المعمارى ، والجمع بينهما فى صعيد التصميم المعمارى ، وتخطيط المدينة » .

« وإن من الواجب بذلَ الجهد أفقياً ، لتطويع الأشكال المعمارية لحاجاتِ الإنسان العملية اليومية ، ورأسيا لتحقيق تطور الإنسان والجماعة ، ثقافياً وحضارياً ، أى ما معناه « إنجاز العمل السليم ، فى الوسط السليم ، وفى اللحظة الكونية السليمة » .

« وبذلك فإننا إذا ما أردنا التوفيقَ بين الزمن الكرونولوجى ، وتعريف المهندس المعمارى لمفهوم المعاصرة ، يمكن القول إنه لكى يكون العملُ المعمارى مرتبطاً بزمانه ، أو معاصراً ، يجب أن يكون مندمجاً مع النشاط اليومى للإنسان ، وأن يكونَ جزءاً من النشاط الحضارى ، القائم فى حياة المجتمع ، ومتوافقاً مع إيقاع تطور البشرية وتحضّرها ، ومع أرقى ما توصل إليه الإنسان من معرفة ، على كل الجبهات ، فى مجالاتِ العلوم الإنسانية ، والعلومِ الطبيعية ، التى لايمكن الفصلُ بينها وبين التخطيط والتصميم المعمارى » .

المعهد الدولى للتكنولوجيا المتوافقة ..
« الحلم الذى لم يتحقق »

حاول حسن فتحى من خلال تجاربه فى البناء بالطرق التقليدية ، وبعد عودتِه من اليونان ، حيث عمل مع دكسيادس وتأثر به ، حاول أن ينشئَ معهداً علميا على غرار معهد الاستيطان ، الذى أنشأه دكسيادس . ووضع ذلك فى مذكرة عن أهداف المعهد وبرامج التعليم فيه ، التى تهتم أساساً بالتدريب على البناء بالطرق التقليدية ، التى أصبحت مكوّنا أساسياً فى البناء الفكرى لحسن فتحى . وقد حاول حسن فتحى كذلك أن يفرضَ اسم المعهد ، من خلال المراسلات الخاصة به ، مع أن المشروع كان ولايزال فكرةً لم تتحقق . اتخذ للمعهد عنواناً على مسكنه الخاص ٤ درب اللبانة ، وحاول أن يستقطب إليه عدداً من مريديه ، للتعاون معه فى تحقيق هذا الحلم . كما حاول أن يستثمرَ مدرسةَ السلطان حسن مقراً للمعهد ، ولم يتمكن من ذلك . وأخيراً انحسرت الفكرة ، وتوقف تحقيقها على مايُسند له من مشروعات ، تصبح ميدانا للتدريب باسم المعهد .

ويقول حسن فتحى فى مقدمة إنشاء هذا المعهد – « إن الإنسان قد تفاعل مع البيئة ، التى يعيش فيها ، مستعملا فى ذلك كل إمكانياته ، لتطوير أسلوب العمل أو التكنولوجيا ، لضَرْب الطوب أو حرْقه ، وذلك تحقيقاً للتوازن السيكولوجى بين الطبيعة والإنسان ، هذا التوازن الذى استمر معه على مر العصور . لقد استعمل الإنسانُ المواد الطبيعية بشكلها الذى خلقه الله ، وتعامل معها بأساليبه الخاصة تقرّباً منه . فقد أفرز التجانسُ البيئى ، أمثلةً معمارية عظيمة ، مثل المساجد ، وعندما ظهرت الثورةُ الصناعية ، اختفت الحرف اليدوية ، وفقدت العمارة إنسانيتها ، كلما تدخلت الآلة فى عمليات البناء ، وقلّ ارتباطُ الإنسان والطبيعة ، التى هى من خلق الله . من هنا كانت الدعوةُ إلى إنشاء مراكزَ بحثية ، تلتزم بالجوانب الروحية ، للوصول إلى إعادة صيغة العلاقة المتوازنة بين الإنسان والبيئة » .

ويستمد حسن فتحى مقوماتِ المعهد ، من سابق خبرته فى مصر والعراق ، وتسجيل وتوثيق نتائج هذه الخبرة – ومن المعروف أن التصميماتِ التى أعدّها لأعماله قد تمت فهرستُها ، ووضعت تحت تصرف مؤسسة الأغاخان للعمارة الإسلامية – وتقوم فلسفة إنشاء المعهد على مبدأ

مشاركة الجماهير فى بناء مستوطناتها البشرية ، بعد أن عَجَزت الحكوماتُ عن تمويل كل مشروعات الإسكان لذوى الدخول المحدودة ، والذين يعتمدون على استهلاك مواد وطرق البناء المستوردة ، دون أن يكون لهم دور فى إنتاج كل مايحتاجونه من هذه المواد . ويقترح المعهدُ أن يتم التعامل مع مشكلة إسكان الفقراء من مستوى الأسرة ، ثم يمتد هذا التعاملُ ليشمل الحىّ كلَّه . على أن يقدم المعهدُ الخبرات الفنيةَ ، التى تشارك فى عمليات التدريب ، والتخطيط ، والتصميم ، وإعداد مواد البناء ، وتنفيذ الأعمال ، وتقويمها ، وإدارة المشروعات ، بعد الإنتهاء منها . والمعهد بذلك ، يحاول أن يعالجَ الجوانبَ الاقتصادية والتكنولوجية والإدارية ، التى تؤثر على مشروعات استيطان المجتمعات الفقيرة . وتتضمن الجوانبُ التكنولوجية النواحىَ الهندسيةَ والمعمارية ، وكذلك الحرفية ، التى يعطيها المعهد أهميةً خاصة ، ويهتم المعهد ، قبل كل ذلك ، بالتدريب ، الذى يهدف إلى توفير العمالة الماهرة ، وكذلك العمالة المساعدة ، من أبناء المجتمع المستفيدين من مشروع الإسكان .

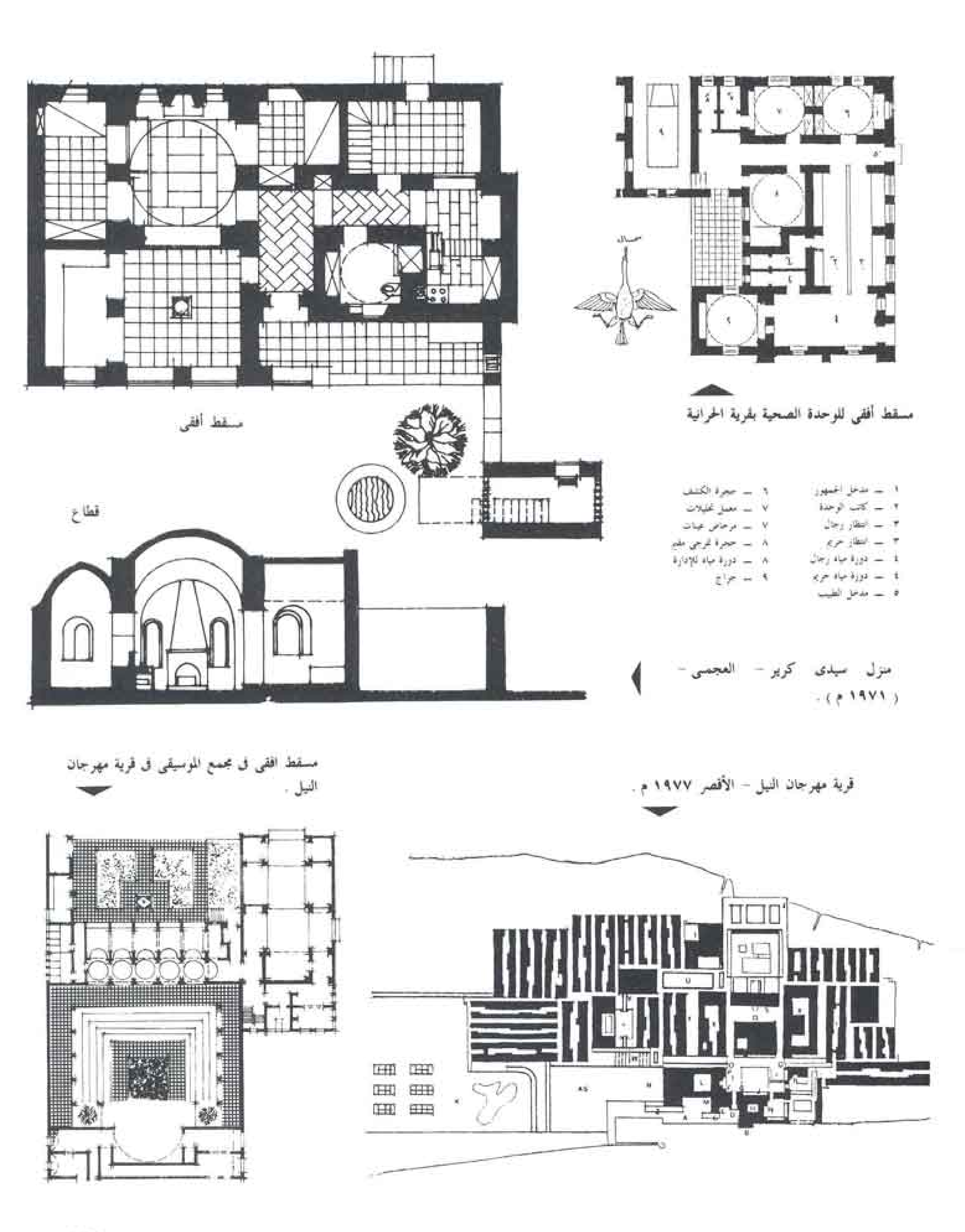
لقد عرض حسن فتحى فكرةَ إنشاء هذا المعهد على جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، واقترح أن يكون فيها المركزُ الرئيسى للمعهد ، حيث تتوفَّر الوسائل التعليمية والعلمية ، على أن يساهم فرعُ المعهد فى القاهرة ، بتوفير الخبراء والمدرِّبين والحرفيين ، والتنسيق بين الأنشطة التى تتم فى مكة المكرمة ، وفى مواقع الإنشاءات . وقد اقترح حسن فتحى الهيكل التنظيمى لفرعى المعهد فى مكة المكرمة والقاهرة ، وفى نفس الوقت استغل حسن فتحى اتصالاته العديدةَ ليقيمَ صلاتٍ علمية ، بين المعهد ومجموعة من المعاهد والمؤسسات العلمية ، فى انجلترا وأمريكا وباكستان وإيران .

وهكذا يظهر طموح حسن فتحى ، وتطلعاتُه لإنشاء مؤسسة تعمل بنفس المنهج الذى اعتنقه ، وتمرس عليه . وإذا كانت بعضُ الجهات الخارجية ، قد حاولت أن تساعده مالياً للوصول إلى تحقيق هدفه ، أو حلمه الجميل ، إلا أن الإمكانيات المادية لم تكن متوفرة لديه وهو يدعو إلى إنشاء هذا المعهد . فقد اعتقد أنه يمكنه ، أن يدير هذه المؤسسة من مسكنه ، إذا ماتم التعاقد معه على تنفيذ مشروع من مشروعات استيطان الفقراء ، وهنا يتضح أيضا قصورُ الجانب الواقعى ، الذى يعتمد على المادة ، لتنفيذ مالدى حسن فتحى من أفكار . وتبقى النظريةُ بعيدةً عن الواقع ، ويستمر الحلمُ بعيداً عن الحقيقة ، ويفقد حسن فتحى بذلك ، ماكان يتطلع إليه من إنشاء معهدٍ دولى للتكنولوجيا المتوافقة .. حلم كل مصلح .

الأعمال المعمارية لحسن فتحى

بالإضافة إلى مشروعات الإسكان الريفى ، التى أعدها حسن فتحى ، مثل قرية القُرنة الجديدة ، أو قرية باريس ، أو مثلها من المشروعات ، صمم حسن فتحى العديد من المشروعات السكنية المفردة ، الخاصة بالأغنياء ، التى التزم فيها أيضا بنفس ملامحه المعمارية لعمارة الفقراء . ولم تظهر له أى أعمال معمارية أخرى ، من أدوار متعددة ، غير تلك التى صممها للمنطقة السكنية المتاخمة لمدينة بغداد ، فى أثناء عمله بمؤسسة دكسيادس عام ١٩٥٩ . وهو المشروع الأول والأخير ، الذى تعامل فيه حسن فتحى مع العمارة متعددة الأدوار . ومع أن التراثَ المعمارى العربى غنى بهذه النوعية من الإسكان ، كما ظهرت فى عمارة حضرموت جنوبى اليمن فإنه لم يحاول الخروجَ عن هذا النطاق المعمارى ، الذى أقامه حول نفسه ، والتزم به فى كل مشروعاته ، فى مصر ، وأمريكا ، والكويت ، والسعودية .

تضم قائمةُ المشروعات المعمارية ، التى أعدها حسن فتحى ، العديدَ من النوعيات ، وإن كان معظمُها لم يتم تنفيذه ، وبقى رسومات ومخططاتٍ فى الأرشيف ، الذى أعدته منظمة الأغاخان . وتضم القائمةُ عدداً من المشروعات غير السكنية ، منها على سبيل المثال عمارةٌ لحسن باشا مختار بالقاهرة ، ومصنع سيراميك فى القدس ، وكازينو البوسفور فى القاهرة ، والمركز الثقافى فى الأقصر ، والإسكان المؤقت للمهاجرين العرب فى غزة ، والمعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، والمعهد العالى للفنون الشعبية فى أسوان ، ومدفن أحمد حسنين باشا ، ومسكنٌ جبلى فى كولورادو ، ومسجدٌ فى البنجاب فى باكستان ، ومسجدٌ فى طرابلس بلبنان ، ومسجدٌ فى بوسطن بأمريكا ، ومركز الوحدة الإسلامية فى العباسية بالقاهرة ، ومسجد مركز مؤتمرات فى الخرطوم بالسودان ، وتطوير مدينة صحار فى سلطنة عُمان ، ومطبعةٌ لمصطفى بك القشاش ، ومسكنٌ لزاهر أحمد فى حيدر أباد بباكستان ، وحظائر حيوانات تهامى . ومن القرى السياحية واحدة فى سيدى كرير فى الساحل الشمالى ، والمشربية فى الجيزة ، ومهرجان النيل فى الأقصر ، ووحدة سياحية لألفا يانكا فى مايوركا بأسبانيا ، وتخطيط منطقة ضريح السيد البدوى فى طنطا ، ومطعم عطية بالقاهرة . وبقيت معظم هذه المشروعات حبيسةَ الرسومات لم تر النورَ حتى تضيف بُعداً جديداً لفكره المعمارى الذى اقتصر على العمارة السكنية المفردة .



مسقط أفقى

قطاع

مسقط أفقي للوحدة الصحية بقرية الحرانية

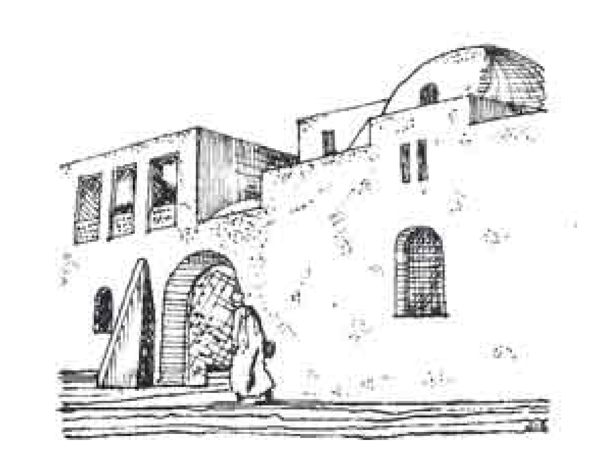
منزل سيدى كرير — العجمى — (١٩٧١ م) .

مسقط أفقي فى مجمع الموسيقى فى قرية مهرجان النيل .

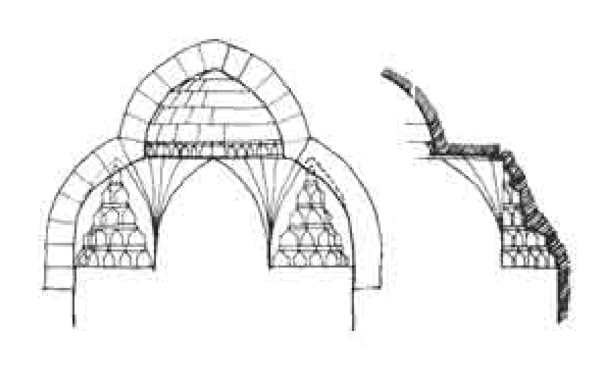
قرية مهرجان النيل — الأقصر ١٩٧٧ م .

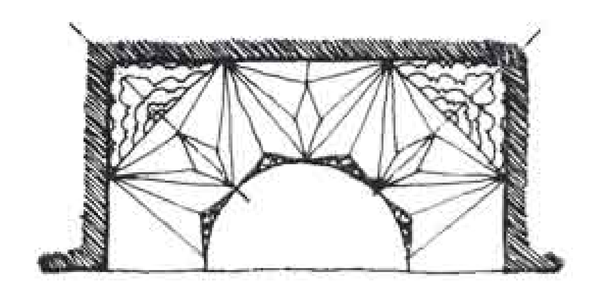
أما فى مجال الإسكان فقد أعد حسن فتحى التخطيطاتِ والتصميماتِ الخاصة بالقُرنة الجديدة ، ومشروعاً لقرية الحرّانية ، وأخرى فى وادى زرقا بتونس ، وباريز بالخارجة ، ودار الإسلام فى أبيكيو فى نيو مكسيكو جنوبى أمريكا الشمالية . كما أعد التصميماتِ المعماريةَ لحوالى ٢٠ فيلا و١٨ استراحة للأمراء والباشوات والباكوات ، وهكذا تعامل مع الأثرياء وأصحاب الطموحات الخاصة . وهكذا وقف حسن فتحى بين العمارة الريفية للأغنياء فى جانب ، والعمارة الريفية للفقراء فى جانب آخر ، والاختلاف هنا يظهر فى المادة أكثر مما يظهر فى الأسلوب ، فهو يبنى للأغنياء بالحجر أو الطوب الأحمر ، ويبنى للفقراء بالطوب اللبن ، وفى كلتا الحالتين تأثر بالعمارة الإسلامية من ناحية ، والعمارة الفرعونية من ناحية أخرى ، وإن كان تأثيرُ العمارة الإسلامية عليه أكثر وضوحا ، وهى عمارة مدنية أكثر منها عمارة ريفية ، ومع ذلك فقد أخضعها لتكون الملامح الرئيسية لعمارته الريفية ، التى أصبحت علامةً محددةً لأعماله لاتخرج عن نطاقها . وعمارة حسن فتحى تتميز بالتشكيل المتوازن ، والفراغات المتتابعة ، والنسب الجميلة ، والتعبير التلقائى عن مادة الطين ، وطريقة الإنشاء ، التى توفرها الأقبية والقباب فى صورة متجانسة ، لينة الخطوط .

لم يلجأ حسن فتحى فى استعماله للنسب المعمارية إلى « الموديولور » الذى وضعه « ليكوربوزيه » بل تأثر بالبحث ، الذى قام به صديقُه العالم الأثرى الفرنسى « لوبتز » ، الذى حاول أن يطابق بين مراحل بناء المسقط الأفقى لمعبد الأقصر ، ومراحل نمو الإنسان .. فحاول حسن فتحى أن يلجأ هو الآخر ، إلى استعمال النسبة الذهبية بين العرض والارتفاع ، فى منحنيات العقود كما بدأ فى استعمال (باى) ٣,١٤ ، (فاى) ١,٦١ ، ومضاعفات الذراع الفرعونى (٢٦ سم) فى رسم المساقط الأفقية ، والرأسية ، وارتفاعات الحوائط والأبواب ، وعمق المثلث الكروى ، حتى يوجد بينها توافقا قياسيا يؤكد ترابطها وتجانسها . ولتنظيم الأشكال الهندسية ، لجأ حسن فتحى إلى الحرفيين المتخصصين فى عمل المشربيات ، والدواليب ، والأبواب ، لإعطائه النسبَ المتوافقة مع التصميم الكلّى للمبنى كما لجأ إلى استعمال مفردات العمارة القاهرية الأثرية ، مثل القاعة ، والدرقاعة ، والإيوان ، والمدخل المنكسر ، وأهم من ذلك الفناء والسلّم الداخلى ، الذى يصل الفناء بأعلى المسكن ، والتغطيات الخشبية ، وأكثر من ذلك وضوح التغيّر فى الإحساس بالفراغ ، فى أثناء حركة الإنسان بين الفراغات المتتالية ، وفى المستوياتِ المختلفة . وعمارة حسن فتحى بذلك ، تصبح عملاً فنياً مجسماً ، يمكن إدراكُه من الداخل ، حيث يختلف



مساكن القرنة الجديدة - مبنية من الطوب النيىء .





دراسة لحسن فتحى عن المداخل التقليدية ذات الحنيات والمقرنصات .

الإحساس بالفراغ من نقطة إلى أخرى ، كما يمكن إدراكه من الخارج ، حيث تلعب الظلالُ دورّها فى التشكيل الحجمى . وهو يشبّه تكاملَ العناصر المعمارية فى عمارته ، بالفنون الموسيقية ، التى تحكم فواصلها عواملُ حسابية ، تخضع لعلاقاتٍ صوتية ، مبنية على المبادىء الطبيعية للذبذبات ــ ومن المعروف أنه يجيد عزفَ الموسيقى الغربية على الكمان ، لاسيما فى ذلك الجو الرومانسى ، الذى يعيش فيه فى ٤ درب اللبانة بمنطقة القلعة ، وبلباسه التقليدى للعباءة العربية ــ لقد حاول حسن فتحى أن يرتقى بالجانب المادى للعمارة ، إلى المقياس الروحانى تماماً ، كما كان يهدف الفراعنةُ عند بناء معابدهم .

لقد ساعد التزامُ حسن فتحى بالقيم التشكيلية وبأسلوب البناء لعمارته ، على استقطاب فئة خاصة من الناس ، ترتاحُ لهذه الأنماط التصميمية ، وتسعى للحصول عليها ، لبناء مساكنهم الريفية ، وبذلك أُتيحت له الفرصةُ لإتقان الحرفة ، وتطويرها ، والتركيز على المقوّمات التشكيلية ، التى تعبر عنها . فأعماله تظهر وكأنها قد تجمدت عند هذا الحد من العمارة ، عمارة الأغنياء من الحجر والطوب الأحمر ، وعمارة الفقراء من الطين اللبن ، ووسيلة التغطية فى الحالتين هى الأقبية والقباب . ولمّا كان معظمُ عملائه من المثقفين أو الفنانين ، الذين يختارون هذا النمطَ المعمارى ، الذى تميَّز به وأتقنه ، فإن تدخلهم فى التصميم يصبح قاصراً على المتطلبات المعمارية ، ويترك العمل بعد ذلك فى يد حسن فتحى المصمم والمشرف على التنفيذ ، دون قيود أو محددات ، يبدعُ فيه كما يشاء ، ويطبق فيه ما يرتئى من نظريات ، الأمر الذى لا يتوفر فى الأعمالِ المعمارية العادية ، خاصةً إذا ما تعدّى العملُ المعمارى حدودَ المنزل المفرد ، كحالتنا هنا ، إلى الأعمال المركبة مثل الفنادق ، والمراكز الإدارية التجارية ، أو المجمعات السكنية ، وهو ما لم يمارسه ، حيث لم يكن له مكتب معماري بالمفهوم المعروف ..

وكما اهتم حسن فتحى بالتكنولوجيا المتوافقة فى البناء ، اهتم بمعالجة المؤثرات المناخية فى العمارة ، وذلك فى ضوء المحاولات التقليدية ، التى ظهرت فى العمارة العربية . وهدف من ذلك إلى استعمال هذه الوسائل التقليدية ، النابعة من البيئة المحلية ، لتلبية احتياجات الإنسان العربى ، الأمر الذى يرتبط من ناحية أخرى ، بمبدأ استعمال التكنولوجيا المتوافقة فى البناء . وإذا كانت نظرتهُ إلى هذا الموضوع نظرةً حضارية ، تحاول أن تقوّم الثقافة المحليةَ ، وتؤكدَ الشخصية العربية ، فإن هناك بُعداً سياسياً واقتصاديا ، لهذا الإتجاه ، يتمثل فى الإعتماد على الذات ، والسعى إلى حل المشاكل المحلية بالجهود الذاتية ، وسد الفجوة الاقتصادية ، التى يزداد

اتساعها بين الدول المتقدمة ، والدول النامية بصفة عامة ، والفقيرة منها بصفة خاصة . ويحاول حسن فتحى فى كتابه « الطاقة الطبيعية والعمارة التقليدية (١٩٨٦) » أن يستثمر الأسس والمبادىء التصميمية ، التي توصل إليها الإنسانُ بجهوده الذاتية ، لحل المشاكل المناخية فى العمارة ، مع تطوير الوسائل التطبيقية لهذه الأسس ، بما يتناسبُ مع الأسس التكنولوجية المعاصرة . مؤكداً بذلك ، أن الشكلَ المعمارى تحدده الجوانبُ الروحانية ، والفنية ، والمناخية ، والاجتماعية ، بجانب الجوانب الوظيفية والإنشائية والمادية . كما يؤكّد حسن فتحى أيضا العلاقةَ الثلاثية بين المواطن والمعمارى والحرفى ، وهو هنا يعنى أن المعمارى لايعبّر عن أفكاره الخاصة ، بقدر ما يعبر عن أفكار المجتمع – الناس والحضارة ، وهذه نظريةٌ فى حد ذاتها تحتاج إلى قدر من واقعية التطبيق لاسيما فى القرن العشرين .. وإذا كان قد أمكن تطبيقُها من قبل ، عندما كان الحِرفى يردد رغباتِ المواطن ، فى البناء بتكنولوجيا عصره المحدودة ، بالإمكانيات ، والمواد المحلية ، والمعبرة عن القيم والثقافة المحلية ، فإنه من الصعب استمرار النظرية ، فى وقتٍ طغت فيه الصناعةُ ، والقيمُ المستوردة على المجتمعاتِ التى تخلفت ثقافيا وحضارياً . فالمشاركة فى البناء المعمارى تتطلب قدراً متوازناً بين القيم الثقافية ، والحضارية للمعمارى ، والمجتمع ، الذى يتعامل معه . ويرى حسن فتحى أن الآثار السلبية للثورة الصناعية ، قد هدمت التنظيم الطبيعى للقدرة الإلهية فى الخلْق . والمشكلةُ هنا ليست فى الثورة الصناعية ، بقدر ماهى فى التخلّف الثقافى ، والاجتماعى ، والتخاذل الإقتصادى ، الذى سمحَ للثورة الصناعية أن تترك آثارها على العمارة المحلية .

دائما مايوضح حسن فتحى مفهومَ المعاصَرة فى العمارة . فالمعاصرةُ بمفهومها العام تعنى التواجدَ فى نفس الوقت ، ولكنها بالنسبة للمعماريين تعنى قيمةً تقديريةً ، أى مناسبةً لعصرها ، بينما المفارقة تعنى عدمَ المناسبة مع عصرها ، كتعبير عن عدم الموافقة على الشيء . وهذا يثير التساؤل عن معنى الزمن ، والمناسبة لأى شيء . فإذا اعتبرْنا الوقتَ الزمنى كتعبير للمعاصرة عند الفنانين ، فمعنى ذلك التناسب مع العصر – أى المعاصرة – فالعملُ المعمارى هنا يجب أن يكونَ جزءاً من الحركة الحياتية للمجتمع ، ومتناسباً مع إيقاع الكون ، ومرتبطاً بالمستوى الفكرى السائد للإنسان ، فى العلوم الإنسانية ، والميكانيكية . والمعاصَرةُ بذلك تعنى الإحساسَ بالقوى ، التى تعمل على التغيير ، ليس بهدف اتباعِها ، ولكن للتحكم فيها ، وتوجيهها ، لتحقيق الأهداف التى نريدها . فتحليلُ ديناميكية الهواء ، الذى يظهر العديد من الاتجاهات التصميمية للمساكن فى الماضى ، لايزال صالحاً



استعمال الوسائل التقليدية لمعالجة المشكلات المناخية - مسكن آل نصيف بجده - (١٩٨٠ - ١٩٨٦ م) .



استعمال المواد البيئية المعبرة عن القيم المحلية - مسكن آل نصيف بجده .



استخدام المشربيات والنوافذ المصنوعة من الخشب فى واجهات مسكن آل نصيف بجده



استخدام السواتر لتوفير الخصوصية من الخشب والأحجار - مسكن آل نصيف بجدة .

للحاضر ، كما كان صالحاً للماضي . وبنفس القياس يمكن اعتبارُ مانسميه بالحديث – في الواقع – مفارقاً أو غيرَ مرغوب فيه . لذلك ، لابد من تحديد الثابت ، الذى يجب المحافظة عليه ، والمؤقت الذى يمكن الاستغناءُ عنه .

ويقارن حسن فتحى ، فى كتابه « الطاقة الطبيعية والعمارة التقليدية » بين معالجةِ السواتر الطبيعية ، المكوَّنةِ من القش أو الأعشاب ، والسواتر الصناعية ، المصنوعة من الخرسانةِ المسلحة ، أو الموادّ المعدنية ، أو البلاستيكية ، التى تستعمل لتفادى أشعة الشمس ، أو توجيه الهواء .. فالأولى تحجز الأشعة ، وتمتص الرطوبةَ ، أو تبخرها ، فتنخفضُ درجةُ الحرارة ، أما الثانية فتحجز الأشعةَ ، ولكنها لاتمتص الرطوبةَ ، أو تبخرها ، وبالتالى لاتساعدُ على خفضِ درجة الحرارة ، فى المناطق الحارة الرطبة ، على سبيل المثال . وكثيراً مايعارضُ حسن فتحى استعمالَ الزجاج فى الواجهات ، فى المناطق الحارة . فيقول « إن الحائطَ الزجاجى ، الذى مساحته ٣م × ٣م يسمح بدخول حوالى ٢٠٠٠ « كيلو كالورى » فى الساعة ، وذلك فى يوم حار ، الأمر الذى يستدعى توفيرَ ٢ طن تبريد ، للوصول إلى درجة الحرارة المناسبة ، لمنطقة الراحة الحرارية للإنسان . وهذا مالاتستطيع الدولُ الفقيرةُ توفيرهَ فى عمارتها المعاصرة » . ودائما ما يدعو حسن فتحى إلى ضرورة تقويم الوسائل التقليدية فى التهوية والتبريد ، تقويما علمياً قبل تطبيقها ، أو استبعادها من العمارة المعاصرة . وفى نفس الوقت يؤكد حسن فتحى ضرورةَ دراسة حركة الهواء حول المبنى وبداخله ، وبعبارة أخرى دراسة ديناميكية الهواء ، وتحديد أثرها على التشكيل الخارجى والداخلى للمبنى .

استعرضَ حسن فتحى فى كتابه « الطاقة الطبيعية فى العمارة التقليدية » ، الخصائصَ الحراريةَ مثل : العزل ، والنفاذ ، والمقاومة ، والتوصيل ، والإشعاع ، والبخر ، والضغط الجوى ، والفاقد الحرارى ، والتوازن الحرارى ، ونظام التوافق الحرارى فى جسم الإنسان ، وقياس حالات راحة الإنسان . ثم عَرَضَ للخصائص الحرارية لمواد البناء ، والتوجيه ، بالنسبة : لأشعة الشمس والظلال ، والمعالجات الخاصة بالواجهات البحرية ، والجنوبية ، والشرقية ، والغربية ، وغير ذلك من مبادىء العلوم الطبيعية ، الخاصة بالخصائص الحرارية وأثرها فى المبانى ، ثم ينتقل بعد ذلك لإظهار خصائص المشربية ووظيفتها ، مثل :

١ – التحكمُ فى مرور الضوء
٢ – التحكمْ فى حركةِ الهواء .

٣ – خفضُ حرارة الهواء

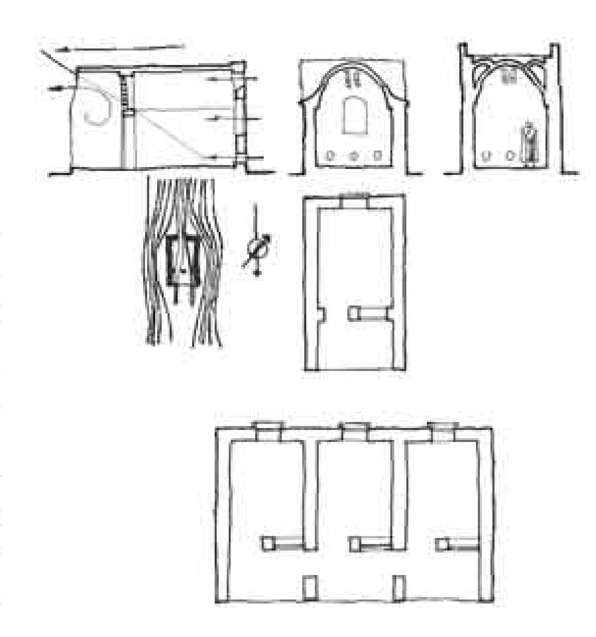
٤ – زيادةُ الرطوبةِ فى الهواء .

٥ – المحافظةُ على الخصوصية .

ويبرر حسن فتحى دورانَ أجزاء المشربية بأنه يهدىء من شدة التباين بين الأجزاء المضيئة ، والأجزاء الصلبة ، الأمر الذى لايتوفر فى العناصر المعمارية الحديثة ، التى تقوم بوظيفة المشربية ، لحجز أشعة الشمس أو كسر حدتها . وهكذا تظهر الأجزاء الصلبة فى المشربية ، وكأنها محاطةٌ من كل الجهات ، بضوء أقل شدة من الضوء الخارجى ، فتظهر فى صورة مختلفة عما إذا كانت بعيدة عن الضوء القوى ، كما تظهر الفتحاتُ فى المشربية صغيرةً فى الأجزاء السفلى ، لتأكيد الخصوصية ، وإن كانت تخفف من كمية الضوء الداخل ، ويستعاض عن ذلك باتساع الفتحات فى الأجزاء العليا . وهنا يعرض حسن فتحى لخصائص المشربية فى المعالجة المناخية ، بإسهاب سواء باستعمالها فى الجهات المختلفة للمبنى ، وارتباط ذلك بميول الشمس ، أو بالنسبة لامتصاصها لجزء من رطوبة الجو ، بواسطة مادة الخشب ، والتى تساعد على تلطيف درجة الحرارة ، إذا ما تعرضت لحرارة قوية مع حركة خفيفة للهواء .

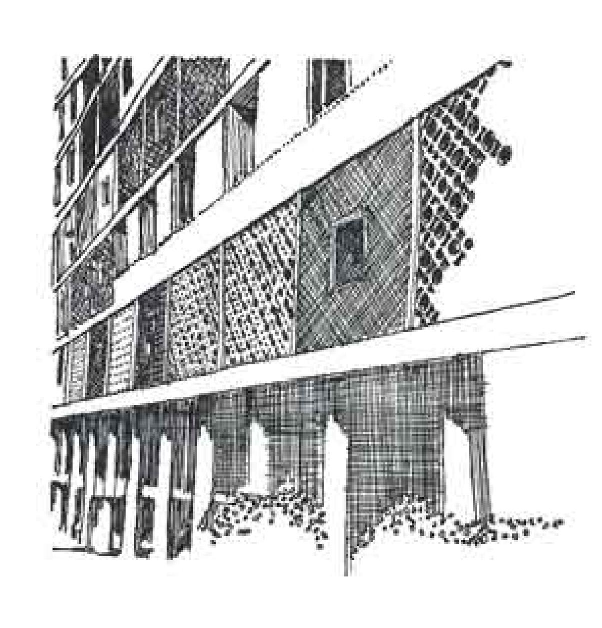
ويحاول حسن فتحى مرة أخرى أن يعدّد مزايا استعمال التربة ، أو الأخشاب فى التغطية ، سواء من ناحية العزل الحرارى ، أو توفير الراحة النفسية ، كما أنه يعدّد مزايا الأسقف المنحنية ، ومنها الأقبية والقباب ، وكيف أنها تعكس أكبر قدر من أشعة الشمس ، كما توفر قدراً من الظل والظلال ، الأمر الذى يخفف من الأحمال الحرارية فى الداخل . ومن ناحية فإن هذه الأقبية ، أو القباب ، تعمل على زيادة ارتفاع الجزء الأوسط من السقف من الداخل ، الأمر الذى يساعد على امتصاص الجو الحار ، الذى يرتفع إلى أعلى ، كما أن حركةَ الهواء تزيد على الأقبية والقباب . وهكذا يحاول حسن فتحى أن يؤكدَ نظريتهَ فى ضرورة استعمال الفكر المتقدم ، فى معالجة العناصر العمرانية ، التى يستعملها هو فى عمارته ، عن قناعة علمية وفنية .

ويناقش حسن فتحى ، فى كتابه « الطاقة الطبيعية فى العمارة التقليدية » أيضاً موضوع ديناميكية الهواء . فسرعةُ الهواء إذا تحرك من فتحات كبيرة إلى فتحة صغيرة ، تزيد عند الفتحة الصغيرة ، كما أن حركةَ الهواء تساعد على خلخلة ضغط الهواء حولها الأمر الذى يساعد على تحريك الهواء ، إلى مجرى الحركة السريعة ، وهو مايعبر عنه فى كتابه بحركة الهواء الناتج عن اختلاف الضغط . ويقول أيضا إنه فى حالة حركة الهواء ، التى تنتج عن



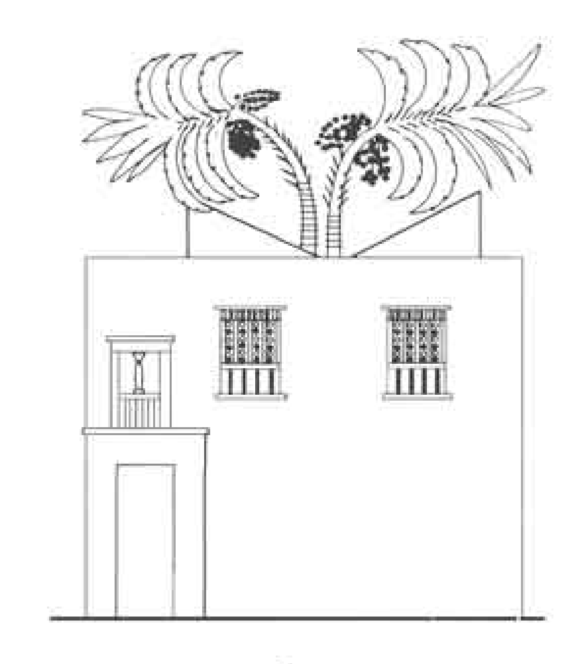
دراسة لحسن فتحى عن حركة الهواء .

شباك كولستراه من الخرسانه – المهندس ريدى – البرازيل .

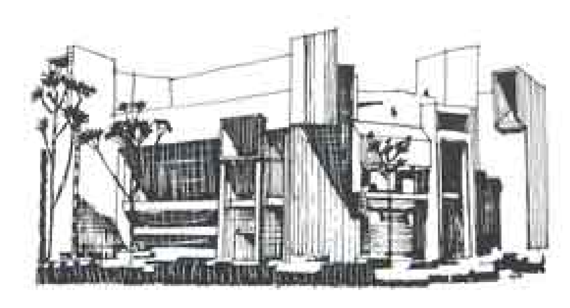


اختلاف الضغط فى الداخل ، يكون مجرى الهواء أكثرَ ثباتاً ، إذا كان ذلك ناتجاً عن السحب المتولد عن ضغط الهواء المنخفض ، منه عن ضغط الهواء العالى ، الذى تسببه قوةُ الرياح . كما يقول إن التجاربَ تثبتُ أن حركةَ الهواء ، تصبحُ أكثرَ سرعةً وثباتاً ، إذا كانت مساحةُ الفتحات ، التى تخرج منها الهواء ، أكثر من تلك التى فى الجانب الذى يدخل منه الهواء . ويعطى مثلا على ذلك فى بعض مبانى قرية القُرنة الجديدة . وكما لاحظ فى قرى الفلاحين فى مدينة الحلة فى العراق ، حيث الفتحات التى يدخل منها الهواءُ فى الجزء الأسفل من الحائط ، حتى تستقطب الهواءَ الرطب للنائم على الأرض ، عندما لايتوفر النومُ على الأسطح فى هذه المناطق . وهو بملاحظاتِه هذه ، يحاول أن يثبتَ صلاحيةَ مكوناتِ العمارة التقليدية ، لمواجهة المتطلباتِ المناخية ، فهى من ابتكار الإنسان بتلقائيته ، وبما توفره له البيئة من إمكانيات . ولذلك يصبح مايبتكره حلولا عضوية وطبيعية ، أقربَ إلى الإنسان منها عن الحلول الصناعية . وفى نفس الاتجاه يقارن حسن فتحى بين « الكولستراه » المستعملة فى العمارة الحديثة ، لكسر أشعة الشمس ، أو لتوزيع حركةِ الهواء ، أو للأمن أو الخصوصية ، وبين المشربية التى تتميز عن الكولستراه فى العديد من الجوانب . وهكذا يحاول حسن فتحى العودةَ بالأشياء إلى أصولها الإنسانية .

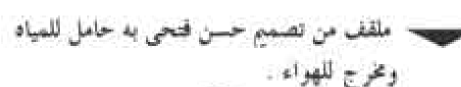
ويحاول حسن فتحى دائماً البحثَ عن الأسس العلمية التى وراء الابتكارات المعمارية التقليدية . فهو يشرح وظيفةَ الملقف فى جذب الهواء من أعلى ، وتوجيهه إلى داخل المبنى . كما يعرض فى نفس الوقت للقياسات ، التى قام بها طلبة مدرسة جماعة العمارة بلندن (وهى مدرسة معمارية حرة) ، لقياس السرعات المختلفة لحركة الهواء ، فى المناطق المختلفة ، داخل منزل عثمان كتخدا بالقاهرة ، وارتباط ذلك بدرجات الحرارة الداخلية والخارجية للمبنى . كما يذكر استعمالَ الملقف فى المسكن الفرعونى ، ويعطى حسن فتحى أمثلةً من العمارة المعاصرة ، التى استعملت هذه الوسيلة لجذب الهواء إلى الداخل ، مثل كلية العلوم بجامعة خماسى فى غانا ، ومدرسة العمارة فى جامعة ييل بالولايات المتحدة للمعمارى « بول رودولف » . ويحاول حسن فتحى تحليلَ الملقف فى المناطق المناخية المختلفة ، من حيثُ الوظيفةُ ونوعية الهواء الداخل ، فإذا كان جافاً مر بحامل للمياه ، وإذا كان رطباً مر بحاملٍ لمواد تمتص الرطوبة ، كما فى حالة « البادجير » فى العمارة التقليدية فى دبى ، حيث يستقبل الهواء من الجهات الأربعة . وهو هنا يقدم حقلا جديداً للبحث العلمى ، ليس لإيجاد التقنية ، التى وراء تصميم الملقف فى العمارة التقليدية ، واستعمالها فى العمارة التقليدية المعاصرة فحسب ، ولكن أيضا لاستعمالها فى التصميم المعمارى للمبانى



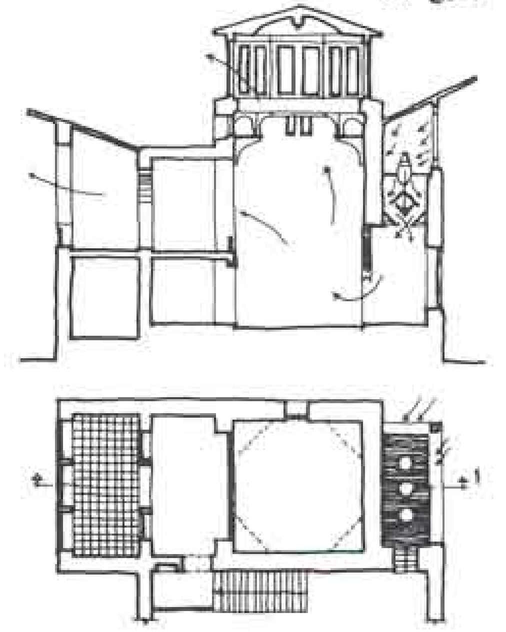
ملقف هواء بمقبرة نب آمون – عن دراسة حسن فتحى .



مدرسة العمارة – جامعة يل للمعمارى بول رودلف (لم تنفذ) .



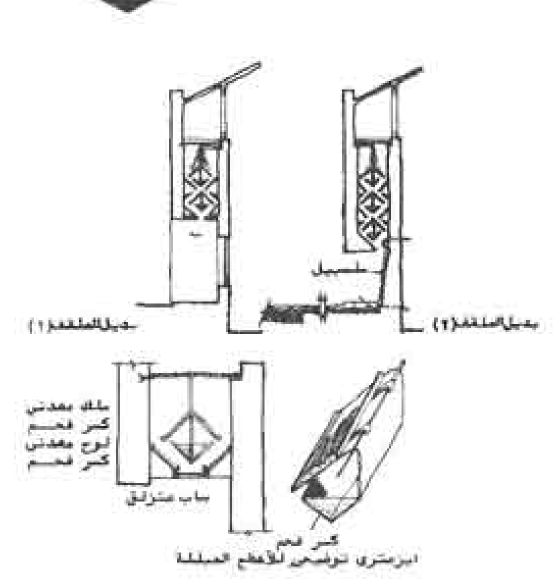
ملقف من تصميم حسن فتحى به حامل للمياه ومخرج للهواء .



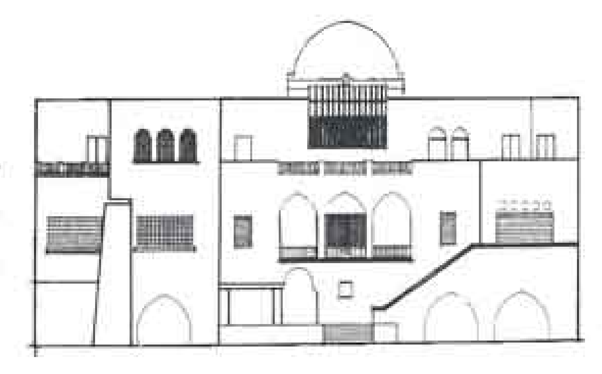
العامة والخاصة على حد سواء ، ومنها دراسة كيفية تمرير الهواء من الملاقف العلوية ، إلى عدة طوابق فى المساكن المركبة أو المبانى الإدارية . وهذه هى الطاقةُ التقليديةُ فى التبريد ، التى توازى فى هدفها استعمالَ الطاقة الشمسية فى التسخين . ونحن هنا لانقيس مايقدمه حسن فتحى من تحليل علمى للعمارة التقليدية ، بقدر مانبحث من خلالها ، عن فكرٍ أكثر تقدماً فى الاستعمال المعمارى ، الذى يتناسبُ مع متطلباتِ العصر .

وعلى جانب آخر يحاول حسن فتحى إضفاءَ التقنية العلمية ، على وظيفة الفناء بالمسكن فى المناطق الحارة ، ويشير أيضا إلى وظيفة « التختبوش» فى المسكن المصرى التقليدى ، كمكان للجلوس بين فناءين أحدهما كبير والآخر صغير ، يساعدان على حركة الهواء فيما بينهما ، حيث يوجد « التختبوش » – مع أن التختبوش كما يعرفه الأثريون هو مقعد للرجال للمقابلات غير الهامة ، وليس له موقعٌ يرتبط بتوجيهٍ محدد فى المنزل ، ويكون مطلا على الصحن فقط ، أما ارتباطُه بأن يكونَ بين فناءين فغير وارد .. وهناك مثلٌ واحد فى العمارة القاهرية العثمانية فى بيت السحيمى .. والفناءُ الخلفى الكبير لم يكن من أصل البيت ، بل أضيف فى عصور متأخرة -- وهكذا يمضى حسن فتحى فى تفسير العمارة الإسلامية تبعاً لمفهومه الخاص .. ويناقش بعد ذلك حركةَ الهواء بين الأفنية المكوِّنة للمدينة القديمة ، وتأثيرَ الشارع الضيق على خفضِ درجة الحرارة ، ثم يشير إلى عاملِ الرطوبة ، فى ترطيب الجو الجاف ، باستعمال النافورة أو السلسبيل فى المسكن التقليدى . وهو فى كل هذه المجالات ، يسعى إلى ربط فكره المعمارى الذى يظهر فى أعماله المعمارية بالتقنية ، التى يمكن استنباطُها من العمارة التقليدية . وإن كان من الأجدى ، أن تنتقلَ هذه المحاولاتُ لتغطىَ آفاقاً اوسع ، فى عالم العمارة ، خاصة متعددة الأدوار فى المناطق الحضرية ، وهى العمارةُ التى تمثل حجماً كبيراً من الإنتاج المعمارى . وهكذا يتضح أن انغلاقَ حسن فتحى ، فى نطاق العمارة الريفية المستوحاة من القيم المعمارية التقليدية الحضرية ، قد حدَّ من امتدادِ فكره المعمارى خارج هذا النطاق ، الأمر الذى لم يتركْ له أثراً فى المناهج المعمارية ، ولم يسمح له بالانتشار الواضح فى العالم العربى . فمن طبيعة النظرية المعمارية أن تتسعَ لكل المحاولاتِ المعمارية ، بكل مافيها من قيمٍ حضارية تصل الماضى بالحاضر والمستقبل ، ومالَها من بُعد مكانى ، يربط المحلية بالإقليمية والعالمية . ومع ذلك ، فمن المؤكد أنه فتح آفاقاً كثيرةً للبحوث العلمية ، عن خصائص العمارة التقليدية ، يمكن أن تثمر نتائجها للتطبيق فى العمارة المعاصرة ، الريفية منها والحضرية ، والتى تناسب كل المستوياتِ الاجتماعيةِ والاقتصادية .

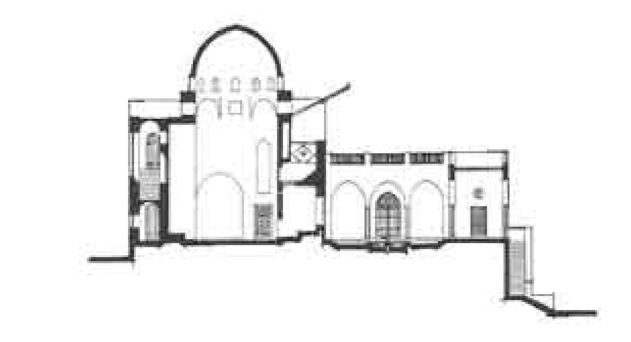
تفاصيل لحامل المياه بالملقف من تصميم حسن فتحى .



الإنتاج المعمارى لحسن فتحى



مسكن حمدى سيف النصر - الفيوم (١٩٤٥ م).



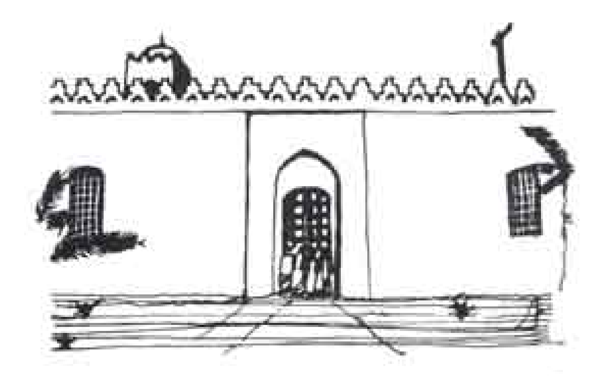
كان أول مانُفذ من أعمال حسن فتحى مسكنُ « توسان أبى الجبل » فى ريف الجيزة عام ١٩٤٠ م . وهو من الخرسانة المسلحة ، وإن كان يتبع التصميمَ المعمارى للمسكن التقليدى ، ثم صمم عزبةً للجمعية الزراعية الملكية فى بهتيم عام ١٩٤١ ، كما تم بناءُ مسكن للإيواء فى عزبة الأباصيرى بالمعادى عام ١٩٤٢ ، ثم مسكن الفنان حامد سعيد فى ريف المرج بين عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٥ ، ثم المسكن الريفى لحمدى سيف النصر على شاطىء بحيرة قارون بالفيوم عام ١٩٤٥ . وفى نفس العام أنشأ استراحةً فى سفاجة على البحر الأحمر لإحدى شركات التعدين . ثم بدأ مشروع القُرنة الجديدة عام ١٩٤٨ . وفى عام ١٩٥٠ أنشأ مزرعة لحافظ عفيفى باشا أسماها لؤلؤةَ الصحراء ، تحتوى على مجموعة من مساكن الفلاحين ، ومدرسة ، ومسجد ، واستراحة ، وحظائر المواشى ، ومخازنَ وأبراج حمام . وفى نفس العام أنشأ منزلا للسيدة عطية هانم أبو إصبع المناسترلى زوجة سفير مصر فى تركيا ، على الجانب الغربى للنيل عند الجيزة ، وقد استوحى عمارته من عمارة المساكن العثمانية ، التى تأثرت بها صاحبة المسكن . وفى عام ١٩٥٢ أنشأ منزلَ « ستوبلير » الذى كان يعمل فى مصلحة الآثار فى ذلك الوقت ، وذلك على سفح هضبة فى الضفة الغربية للنيل عند الأقصر . وفى عام ١٩٥٥ أنشأ مصنعاً لصناعة الفخّار للإرسالية الفرنسية (جيزويت) ، فى ناحية جاراجوس فى الصعيد ، وذلك بعد زيارة للقرنة الجديدة . وقد أجريت بعض التعديلات على التصميمات التى وضعها حسن فتحى . ومن المشروعات المتميزة التى صممها مدرسة فارس الابتدائية فى الصعيد ، وذلك لصالح وزارة التربية والتعليم عام ١٩٥٧ وكان حينئذ يعمل فى إدارة المبانى التعليمية بالوزارة . وبنفس النمط التصميمى ، تم بناء مدرسة أخرى مماثلة فى إدفو فى صعيد مصر .

وعندما انتقل حسن فتحى للعمل مع مؤسسة دكسيادس فى اليونان عام ١٩٥٩ م ، قام بتخطيط وتصميم أحد الأحياء السكنية ، بعناصره المختلفة ، من إسكان ، ومسجد ، وحمام ، وسوق مكشوف ، ومحلات تجارية ، ومركز ثقافى . وقد اتخذ من مدى صوت المؤذن مقياساً لحدود الحى السكنى ، وصممت العماراتُ السكنية من أربعة إلى سبعة أدوار ، لإسكان

الموظفين والحرفيين . وكان هذا المشروع ، الذى لم ينفَّذ ، الوحيدَ الذى خرج به عن عمارته الريفية التقليدية ، وحاول فيه استعمالَ الوسائل التقليدية فى البناء والتهوية . وفى نفس الفترة صمم جامعة وسط الجزائر ، كما صمم مسجداً كبيراً فى باكستان لصالح مؤسسة دكسيادس ، ولكنه لم ينفَّذ أيضاً . ويلاحظ هنا أن المشروعات التى صممها لدكسيادس لم ترَ النور ، ولم يمكث حسن فتحى مع دكسيادس أكثر من عامين ، ثم عاد إلى مصر فى عام ١٩٦١ م .

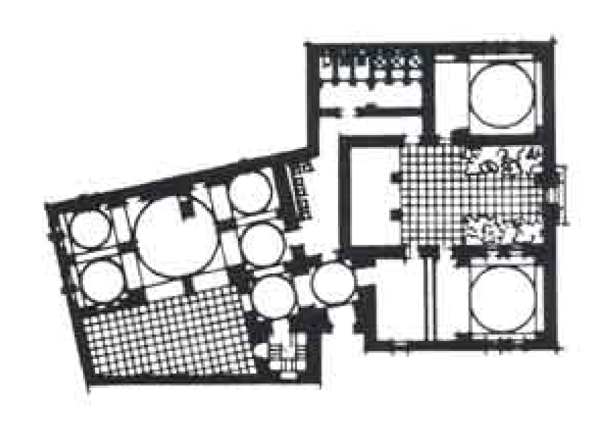
وفى عام ١٩٦٢ صمم مركزَ التدريب فى الواحات الخارجة ، لصالح هيئة استصلاح الأراضى ، ولما كان المشروع قد بُنى فى منطقة منخفضة ، فقد تأثرت مبانيه بالمياه المتسربة من الشبكات العامة ، والتى اختلطت بتربة الموقع من الطفلة ، التى انتفشت بدورها ، وأثَّرت على مبانى المشروع ، فانهارت حوائطُه وقبابُه وأقبيتهُ . ويظهر من ذلك أنه لم يراعِ طبيعةَ التربة والأساسات ، التى تتناسب معها . لذلك كانت الدعوةُ المستمرة لحسن فتحى بعد ذلك إلى ضرورة استشارة خبراءِ التربة ، عند وضع أى مشروع ، وهذا أمرٌ طبيعى فى العمل المعمارى ، ولكنه جاء متأخراً بالنسبة له ، فقد صمم مركز الواحات الخارجة بعد أن بلغ الثانيةَ والستين من عمره ، وبدأ فى الاستعانةِ بالدكتور سعيد يوسف خبير التربة المعروف فى ذلك الوقت .

وفى عام ١٩٦٤ صمم حسن فتحى المركزَ الثقافى للأقصر ، ولكنه لم ينفَّذ . وفى عام ١٩٦٦ استدعِى حسن فتحى من قِبَل الإمم المتحدة ، لتصميم مسكنٍ ريفى تقليدى فى مدينة الدرعية القديمة ، شمالى مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية . ولكن التجربةَ لم تتكرر فى بناء مساكن أخرى بالمنطقة . وفى عام ١٩٦٥ ، عندما ارتفع صوتُه داعياً إلى ضرورة البناء بالوسائل التقليدية ، طلبت منه وزراة الثقافة والإرشاد تصميمَ مشروع قرية باريز بالواحات الخارجة ، لصالح هيئة تعمير الصحارى ، وذلك لإسكان الفلاحين العاملين فى استصلاح ألف فدان فى المنطقة ، وعددهم ٢٥٠ عائلة ، لم يتم إسكان غير ٢٧ منهم ولمدة عام ، وتوقف المشروع ، ونُسجت حولَ فشله العديد من القصص والمبررات . وعاد حسن فتحى بعد ذلك إلى التعامل مع الأفراد ، فصمم ونفَّذ وحدةً سكنية ، أعلى إحدى العمارات بالدقى فى القاهرة عام ١٩٧١ ، للسيدة شهيرة محرز ، لإشباع رغبتها فى تصميم مسكنها بالطابع الإسلامى . وفى عام ١٩٧٢ صمم مسْكناً ريفيا لأحد الأمريكيين فى كولورادو ، كان قد سمع عنه وأعجب به ، ولكن المسكن لم ينفذ . وفى عام ١٩٧٣ م قام بتنفيذ

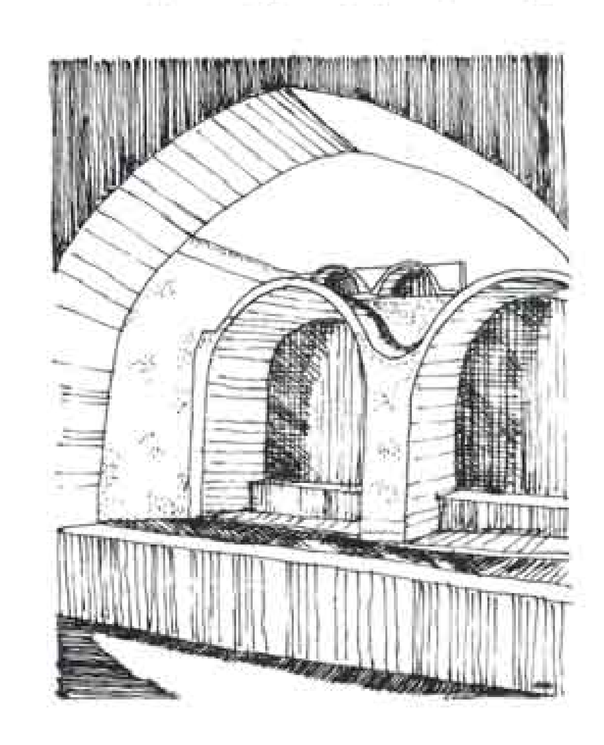


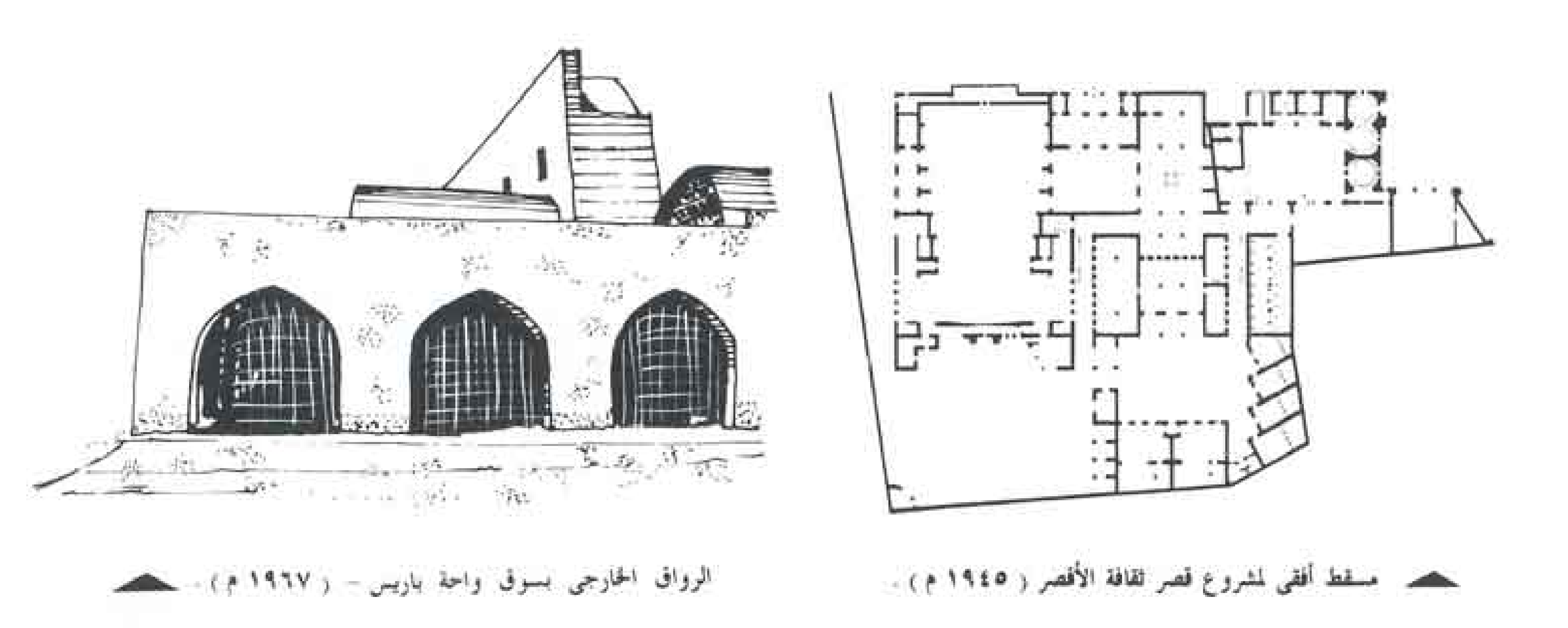
بوابة المدرسة الملحقة بجامع قرية لؤلؤة الصحراء (١٩٥٠ م) .

مسقط افقى للجامع والمدرسة بقرية لؤلؤة الصحراء .



قبوات بسوق واحة باريس (١٩٦٧ م) .





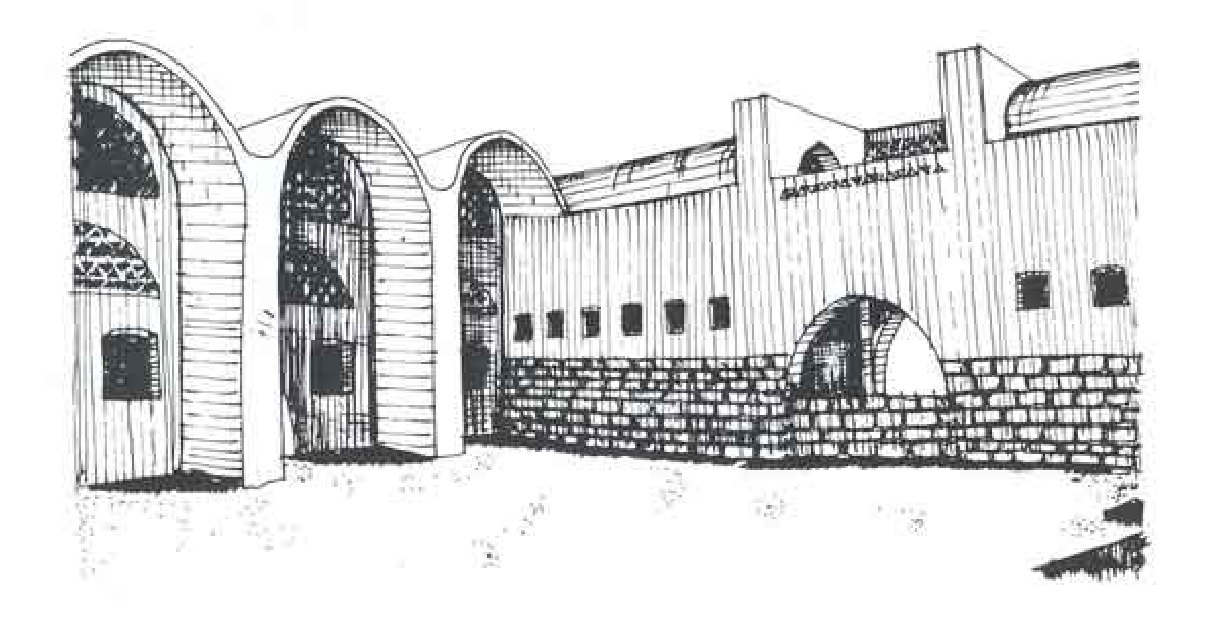
مسقط أفقي لمشروع قصر ثقافة الأقصر (١٩٤٥ م) .

الرواق الخارجي بسوق واحة باريس - (١٩٦٧ م) .

واجهة وقطاع في مشروع قصر ثقافة الأقصر (١٩٤٥ م) .



المحلات المطلة على الفناء الداخلي لسوق واحة باريس .

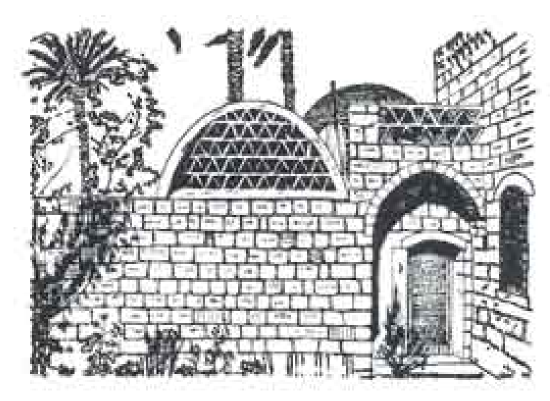


مسكن ريفى – للدكتور فؤاد عبد المنعم رياض بطريق سقارة بالهرم – كان قد بدأ تصميمه عام ١٩٦٨ ، وقد أعجب الدكتور رياض بالمسكن ، وأقام به بصفة مستمرة ، ووصف حياته فيه كأنها إعادة للحَياة ، وقد غرس فى وجدانه حب الجمال والطبيعة .

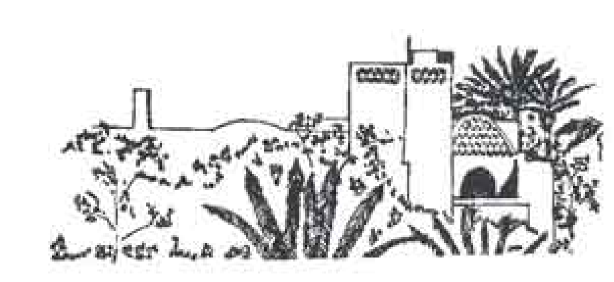
وفى عام ١٩٧٤ م استُدعى لسلطنة عُمان لإعادة بناء مدينة سحار ، التى احترقت عام ١٩٦٧ م ، فقام بوضع تخطيط جديد للمدينة ، لايعدو أن يكونَ صفوفاً من المبانى ، يتوسطها مسجد المدينة . ويظهر أن المشروعَ لم يُقبل من الجهات المسئولة ولم ينفَّذ بالتبعية . وفى عام ١٩٧٦ قام بتصميم مشروع المشربية ، لإخوان شكرى على ترعة بالجيزة ، ليشملّ مجموعةَ سكنية ومسرحاً مكشوفاً وورشاً للصناعات التقليدية وخاناً ومسجداً ولم ينفَّذ المشروع ، حيث قام المعمارى فايد شكرى ، الذى عمل مع حسن فتحي فى إعداد هذه التصميمات ، بتنفيذ جزءٍ صغير من المشروع ، لايزال قائماً فى الموقع ، يضم بعض الصناعات الحرفية التقليدية . وفى عام ١٩٧٧ م قام حسن فتحى بتصميم مشروع جزيرة المهرجانات على جزيرة عند الأقصر . وأعاد تصميمها مرة أخرى عام ١٩٨٢ ، ولكن المشروع لم ينفذ . وفى عام ١٩٧٩ قام بتصميم وتنفيذ المسكن الريفى للدكتور عقيل سامى فى منطقة دهشور بالهرم . وفى عام ١٩٨٠ صمم مسكناً خاصاً للأمير صدر الدين أغاخان بجوار مدفن والده على الضفة الغربية للنيل عند أسوان ، ولكن المشروع لم ينفذ .

وفى عام ١٩٨٠ انتقل حسن فتحى إلى جدة لتصميم مسكن الشيخ عبد الرحمن نصيف ، وآخر للشيخ عبد الله نصيف ، استغرق بناؤهما ست سنوات ، وبلغت تكاليف المسكن الأول ستة ملايين ريال سعودى ، وقام المعمارى عبد الواحد الوكيل ، الذى عمل فترة معه بإجراء بعض التعديلات على المسكن الأول بموافقته . وكان المنزلان من الأعمال القليلة التى تحققت لحسن فتحى خارج مصر . وفى عام ١٩٨١ قام حسن فتحى بتصميم وتنفيذ المسكن الريفى بميت رهينة لنازلى وسميحة كازارولى . وفى نفس العام قام بتصميم وتنفيذ استراحة رئيس الجمهورية فى جرف حسين على بحيرة السد العالى ، ومع أن المشروع قد نفذ إلا أنه لم يُستعمل .

وفى عام ١٩٨١ م قام حسن فتحى بتصميم قرية دار الإسلام فى أبيكيو فى نيو مكسيكو ، حيث تم بناء المسجد والمدرسة ، وإن كان المسئولون عن المشروع قد عدلوا بعد ذلك عن استعمال مواد وطرق البناء ، التى استعملها فى المرحلة الأولى ، ويقومون بالبحث عن بدائل أخرى من البيئة . وفى عام ١٩٨٣ صمم حسن فتحى منزلاً ريفياً لمحمد راتب



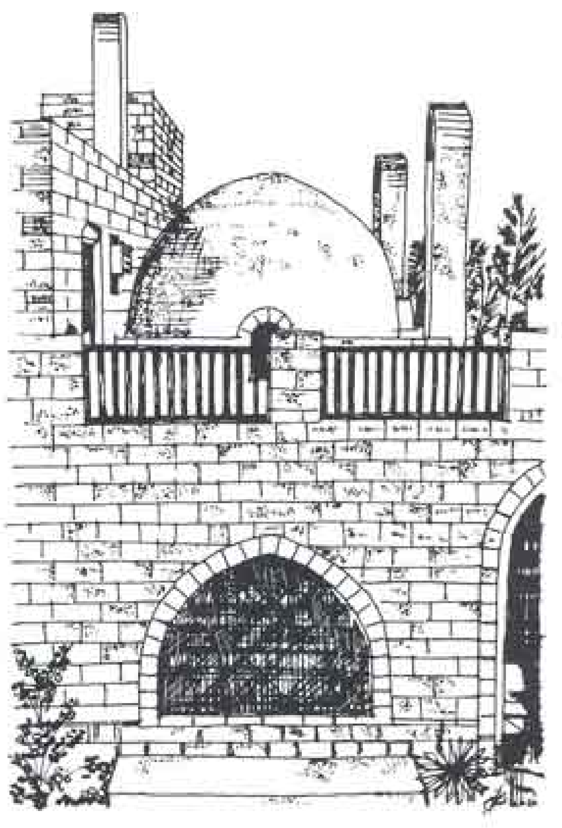
مدخل منزل فؤاد رياض – الهرم (١٩٧٣ م) .



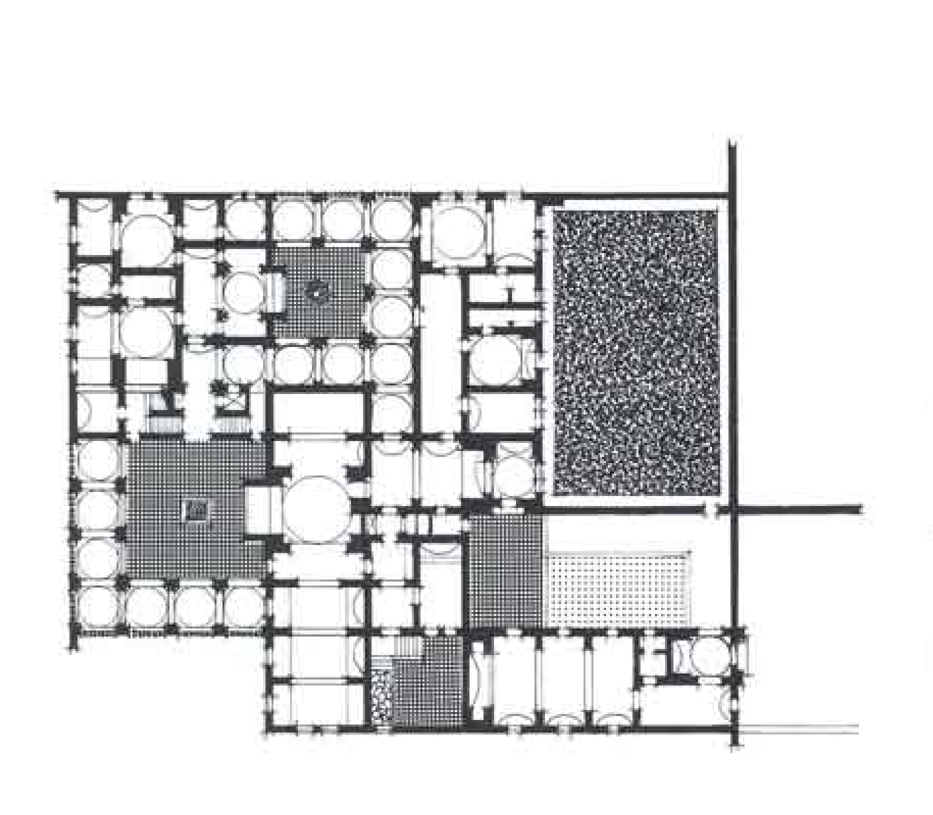
الواجهة الجنوبية الشرقية لمنزل عقيل سامى بدهشور – الجيزة – (١٩٧٩ م) .

فسقية فى صحن صغير فى مسكن آل نصيف – جدة (١٩٨٠ – ١٩٨٦ م) .

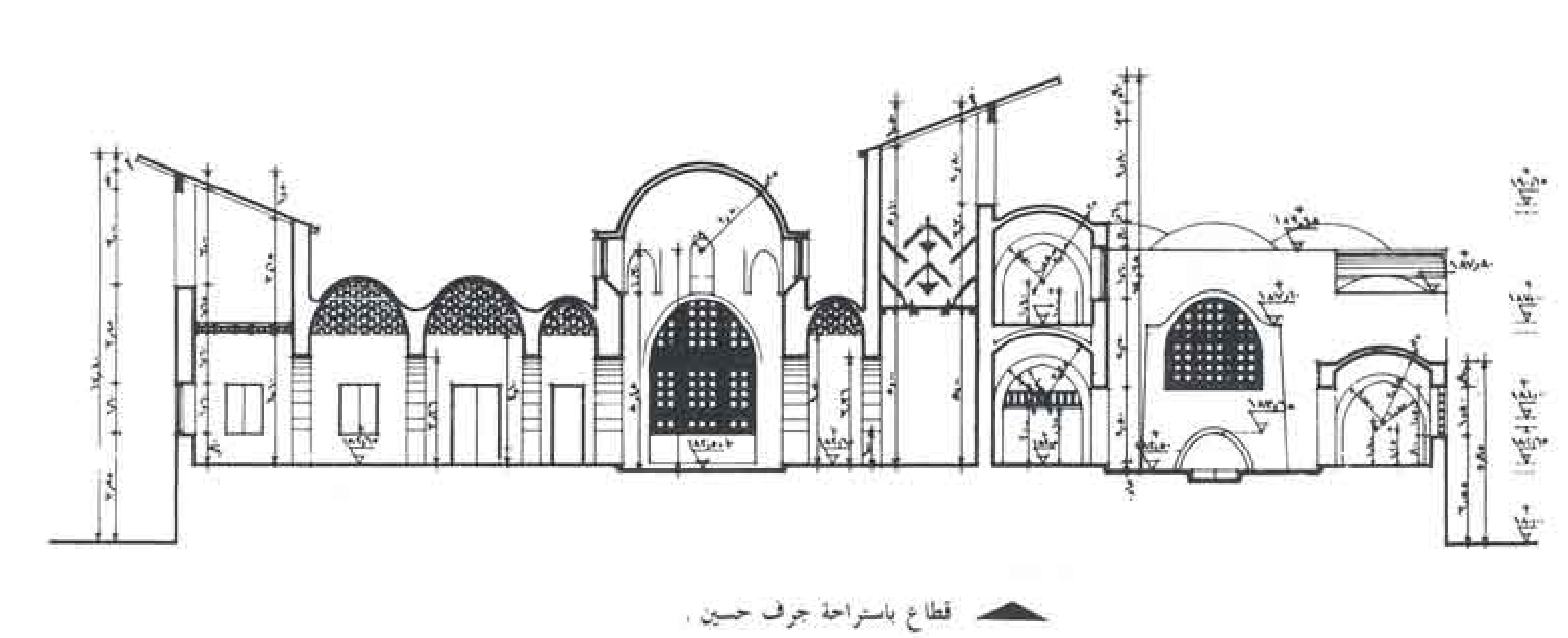




الواجهة المطلة على الصحن ببيت ميت رهينة (١٩٨١ م) .



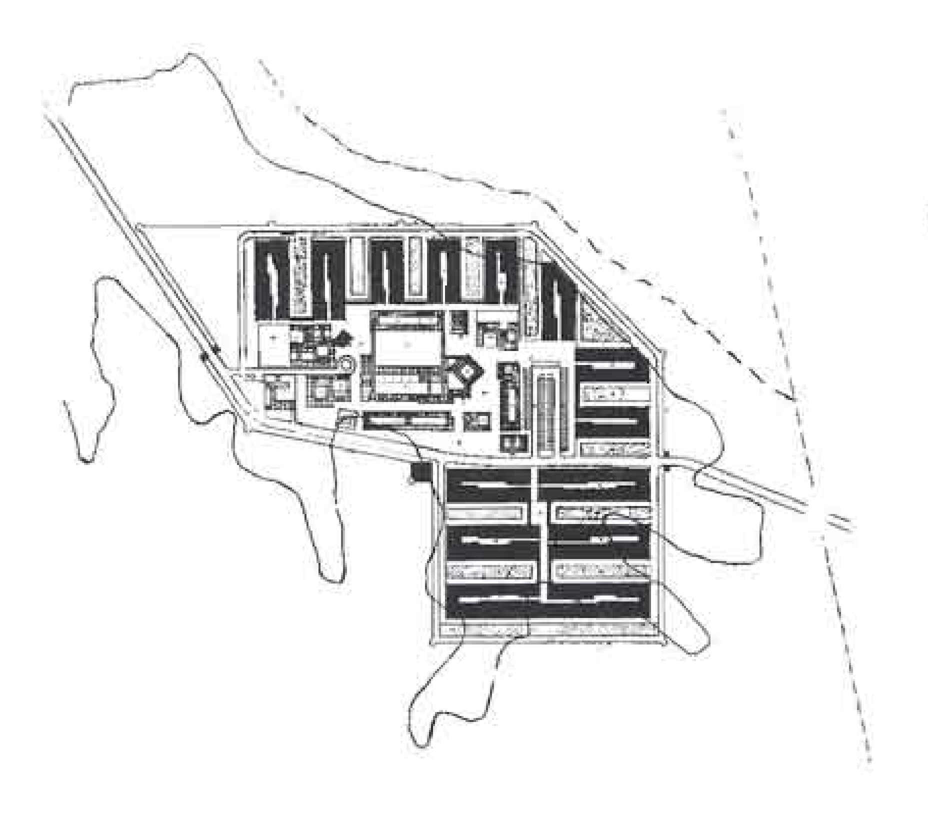
المسقط الأفقى للدور الأرضى باستراحة جرف حسين (١٩٨١ م) .



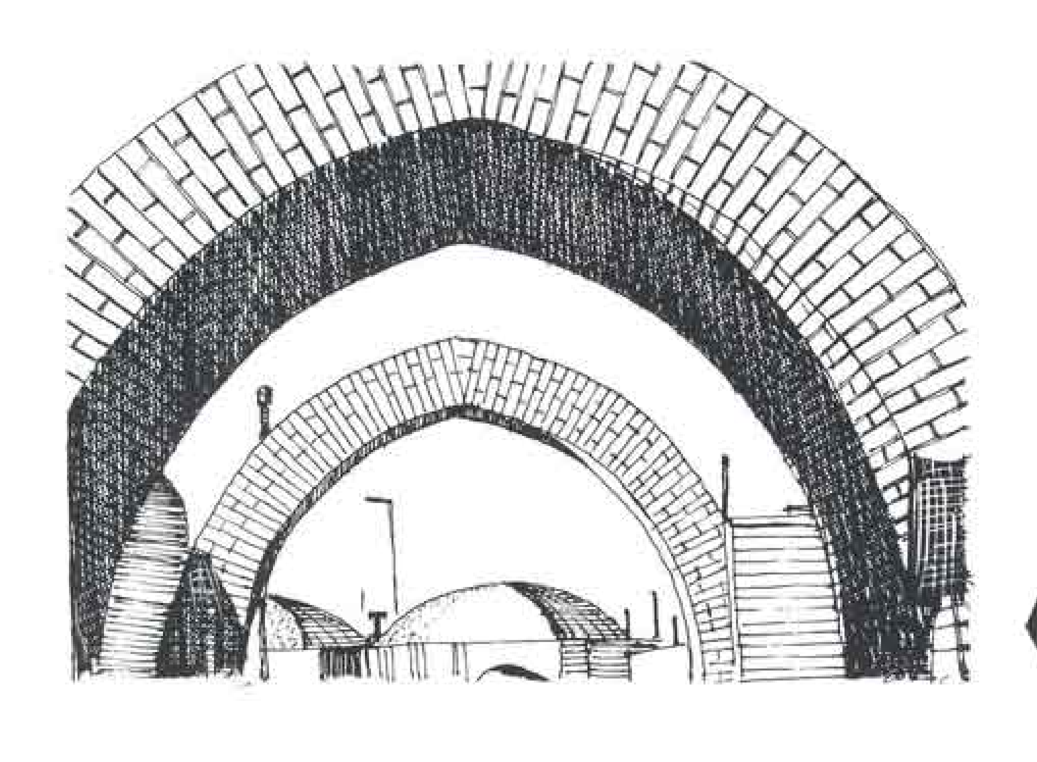
قطاع باستراحة جرف حسين .

صديق ، أصبح ملتقىً للفنانين بعد أن تمت به العديد من التعديلات على التصميم الأول . وفى عام ١٩٨٤ صمم قصر الشيخ ناصر بالكويت من الطوب الرملى الأصفر ، وبنفس طريقة الإنشاء التقليدية التى يستعملها فى البناء بالطين . كما صمم فى نفس العام مسكناً ريفياً للدكتور مراد جريس فى أبوصير ، على طريق سقارة .

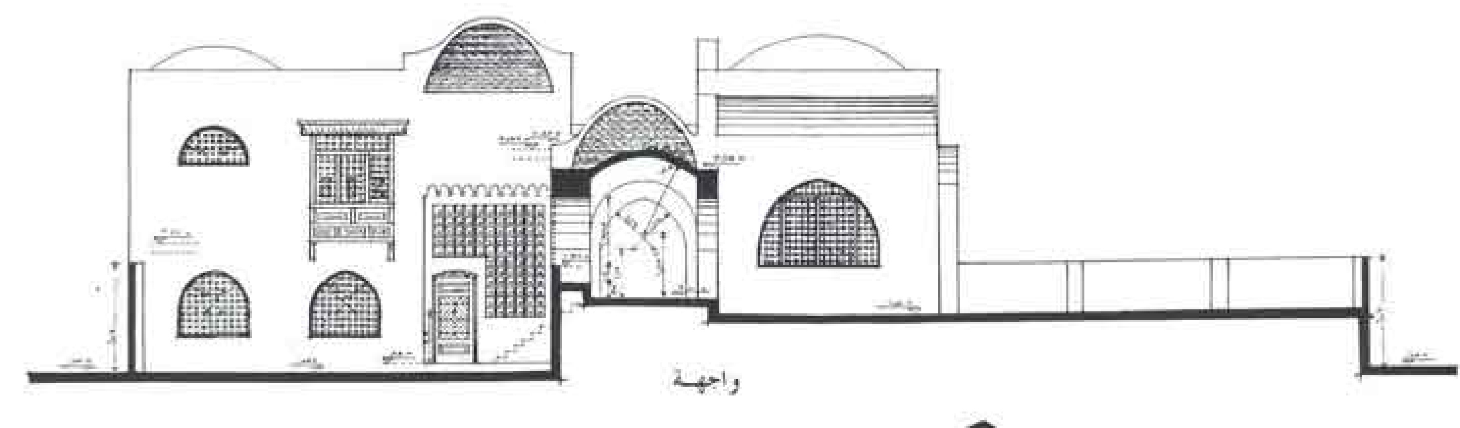
إن المتتبع للتصميماتِ المعمارية للمشروعات ، التى صممها حسن فتحى ، بخلاف مشروع الحى السكنى فى العراق ، يرى مدى الالتزام بتطبيق الطرق التقليدية فى البناء ، واستعمال الطين فى أكثر الأحيان . هكذا اتقن حسن فتحى حرفة التصميم المعمارى ، بهذا الأسلوب التقليدى ، وحاول أن يضعَ له أسسه العلميةَ والتقنيةَ ، وأن يبرزَ القيمَ التشكيليةَ للعمارة التقليدية المصرية ، التى لم يخرج عنها ، حتى ولو كان يصمم فى باكستان شرقاً ، أو فى أبيكيو غربا . لقد دعا حسن فتحى إلى أسلوبه فى التصميم بكل الوسائل ، وساعده فى ذلك طلاقتُه فى اللغتين الفرنسية والانجليزية ، وأسلوبهُ المشوق فى العرض والحديث ، واطلاعه الواسع فى العلوم الإنسانية ، واتصالاته المتشعبة مع المفكرين والمعماريين فى الغرب ، أكثر منهم فى العالم العربى . فقد ارتفع صوتُه للدعوة إلى فلسفته المعمارية ، وإن قل انتاجُه المقيَّد بمفرداتِ العمارة السكنية ، فى القاهرة الإسلامية .



المخطط العام لقرية دار الإسلام - نيومكسيكو (١٩٨٠ م) .



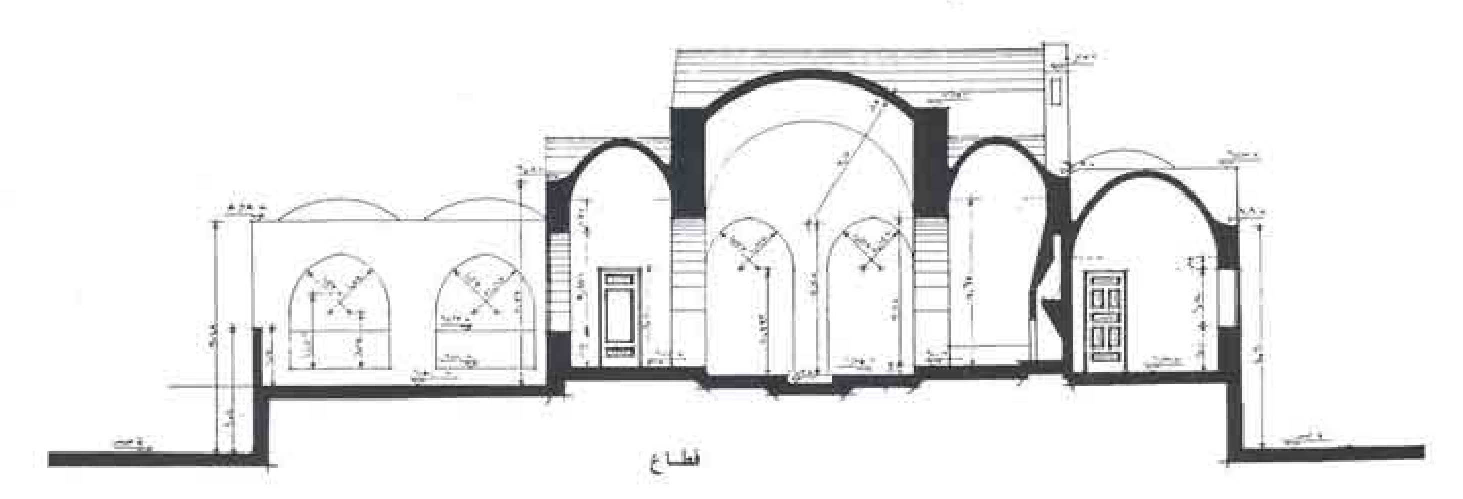
الأساليب الإنشائية بمسكن الشيخ ناصر بالكويت (١٩٨٤ م) .



واجهـة



منزل مراد جريس - ابو صوير (١٩٨٤ م) .



قطـاع

ماذا بعد حسن فتحى

لقد كثُر الجدلُ عن أعمال المعمارى حسن فتحى ، فلسفته وتجاربه بين مؤيدين ومعارضين . ووصل الحوارُ إلى صفحات المجلات الأسبوعية ، واعترض بعض من كبار المعماريين المصريين على فكرة عمارة الفقراء التى يسعى إليها ، ووصفوها بأنها عمارة للأغنياء أكثر منها للفقراء . وثار عدد كبير من المؤيدين لفكره سواء من الصحفيين أو المعماريين ، وتكرر الحوار واحتدم .. وكان لابد من إعادة تحديد المواقف ، حتى لاتختلط الأمور على المعمارى العربى ، الذى قرأ عن حسن فتحى فى معظم المجلات العالمية ، وقرأ له عديداً من الكتب التى نشرت فى الخارج ، بلغات غير عربية .. لقد عرف المعماريون العرب حسن فتحى ، من خلال ماكتب عنه فى الخارج ، أكثر مما يعلمون عنه فى الداخل . وبالرغم من أنه قد أصبح علامة مميزة فى تاريخ العمارة العربية المعاصرة ، إلا أن اسمَه نادراً مايُذكر فى المناهج المعمارية بالجامعات العربية .. وقد اتخذ بعضٌ من المعماريين العرب اسمه كدعاية لهم ولأعمالهم ، بينما يتفاخرون بأنهم تتلمذوا على يديه ، وعلى الجانب الآخر اتخذ غيرهم أعماله كأداة نقد وتجريح ليظهروا بها على الساحة المعمارية . فكل جانب يريد أن يظهر على حساب اسم حسن فتحى ، إما بالتمسح به أو بنقده .. وهذا سرٌ من أسرار عظمةِ الرجل ، الذى جاوز عمره الثامنة والثمانين . ويكفيه علوًّا ، أنه أصبح مادةً للحوار المعمارى بين مؤيدٍ لفكره ومُعارضٍ له . هذه حقيقة لابد أن يعترفَ بها المؤيِّد والمعارض لفكره ، وقلَّ أن يوجَدَ من المؤيدين أو المعارضين ، من وصل إلى هذه المكانة الفكرية ، لتكونَ أعمالُه مادةً للحوار الفكرى أو العلمى بين المعارضين العرب ، أو على المستوى العالمى قبل حسن فتحى .. وهذه حقيقة يجب أن يعترف بها أيضا المؤيدون والمعارضون معا .

لقد عُرف حسن فتحى أولَ ماعُرف ، من مشروعه لبناء قرية القُرنة بالأسلوب التقليدى المحلى ، بهدف استثمار الطاقات المحلية من عمالة ومواد بناء ، توفيراً للمال والاستيراد ، وتأكيداً لإمكانية البناء بالجهود الذاتية ، والأسلوب التعاونى . وهذه بلاشك قِيمٌ أساسية فى بناء المجتمعات المحلية بالدول الفقيرة ، التى تسعى إلى بناء اقتصادها ذاتيا ، دون أن ترتبطَ بعجلة الاقتصاد الدولى ، الذى تحركه الدول الصناعية أو المتقدمة . وهذه قِيمٌ لايختلف عليها المؤيدون أو المعارضون لفكره . وإذا كانت تجربته الأولى قد

بدأت بعمارة الطين فى قرية القُرنة ، فإن اسمَه قد ارتبط بهذا النوع من العمارة فعُرف بها ، ولم يُعرف بالقيم التى نادى بها لبناء المجتمعات المحلية .. لقد ارتبطت تجربتُه الأولى بالتعامل المالى مع الأجهزة الحكومية ، التى لاتتعامل إلا بالعطاءات والمستخلَصات ونظام المقاولات ، وهو مايتعارض مع الأسلوب التنفيذى لفكره ، لذا فإن تجربتَه فى هذا المجال ، قد واجهت العديدَ من المشاكل والمآخذ . زِد على ذلك تأثيرَ مياه فيضان النيل ، على أساسات مبانى القرنة ، وتخاذل السكان مع الإدارة فى صد الأضرار المترتبة عنها ، مما تسبب فى بعض الإنهيارات بتجربته الأولى .. وهنا وجد معارضو فكر حسن فتحى مادةً غزيرةً للنقد فلجأ بعضُهم إلى أرقام الإدارة الحكومية ، التى حاولت أن توقف التجربةَ ، بحجة الزيادة فى تكاليف البناء وضرورة العودة إلى نظم المقاولات . وإذا كان لكل تجربة سلبياتُها وإيجابياتُها – وإلا لما أصبحت تجربة – فإن بعضَ سلبيات تجربة القُرنة ، ناتجةٌ عن الإجراءات الإدارية والتنظيمية ، التى وضعتها الإدارة الحكومية ، إلا أن إيجابياتِها قد تأكدت فى إنجاز البناء بالأسلوب التعاونى . والإعتماد على الأيدى العاملة المدرَّبة من البيئة المحلية الأولى هنا ، لاتقاس بمقياس المال أو الإنفاق ، بقدر ما تقاس بتحقيق الهدف من البناء ، بالأسلوب التعاونى ، والاعتماد على الذات فى بناء المجتمعات . ويمكن لهذه التجارب أن تتطورَ ، وتتحركَ من بيئة إلى أخرى ، ومن مكان إلى آخر ، بحيث تقوِّم كل تجربة لتكون أساساً للتجربة التالية .. وهذا هو الأسلوب العلمى للتطور ، وإلا أصبحنا معلَّقين فى أذيال الغرب .. يفكر لنا ، ويخترع لنا ، ويكتب لنا ، ونحن من ورائه نلهث ، فنبهر بالطائرة التى اخترعها ، أو الصاروخ الذى أطلقه ، أو بالابتكارات التى اتخذها ، أو النظرية التى وضعها ، ونلبس الأزياء التى صممها ، ونختار الألوانَ التى يقترحها فى كل موسم ، ونقلده فى كل شىء تقليدَ القردة ، وننسى تراثَنا وثقافَتَنا وفنونَنا وبيئَتنا ، وقيمَنا الحضارية . بل ونفقد شخصيتَنا كليةً ، ونضيع بين الأمم . فلْيرجعْ المعارضون لفكر حسن فتحى إلى قادة الفكر فى الغرب ، ليراجعوهم مرة أخرى ، وليحفظوا الدرس عنهم ، وليتعلموا منهم كيف ينادون بالأصالة والمعاصرة فى العمارة ، وكيف يوازنون بين الماديات التى اكتسبوها والمعنويات التى فقدوها ، وكيف يذكرون اسم حسن فتحى لا كصاحب عمارة الطين فقط كما يرى بعض المعارضين ... بل الفكر والفلسفة كما يرى المؤيدون .

هذا هو حسن فتحى فى الميزان . ليس المهم هنا أن نرى الكفة التى تغلب بين المؤيدين والمعارضين ، ولكن المهم أن نرى المؤيدين وهم

يساهمون بمزيدٍ من الفكر ومزيدٍ من التجارب ، كما نرى المعارضين وهم يساهمون بمزيدٍ من الفكر ، وبديل من التجارب . ولا نقف عند حسن فتحى كظاهرةٍ ، أو رمز ، أو علامة فى تاريخ العمارة العربية المعاصرة ، ولكن ننظر إليه كعلامة على طريق المستقبل المعمارى العربى ... طريق يسير فيه كل من المؤيدين والمعارضين معاً . يحاولون فيه إثراءَ الحركة المعمارية العربية حتى تتردَّدَ أسماؤهم فى كل أنحاء العالم ، كما تردد اسم حسن فتحى سواء بالفكر المؤيد ، أو بالفكر المعارض . هذا هو التحدى الحقيقى أمام الفريقين . فليكفّوا عن المجادلة ، ولْيقدموا لنا العطاء ... بنفس قدر عطاء حسن فتحى ، أو يزيدون عليه إذا استطاعوا .

ومع الانتشار الواسع للفكر المعمارى لحسن فتحى خارج وطنه ، فإن القِلةَ القليلة من المعماريين العرب ، تعرف الشيءَ الكثير عن أعماله ، وربما يرجع ذلك إلى قلة مانُشر عنه بالعربية ، بالنسبة لما نُشر له بالإنجليزية أو الفرنسية .. ومع وجود فكر حسن فتحى فى قليل من مدارس العمارة الأجنبية ، إلا أن هذا الفكرَ ، لاوجودَ له فى المناهج المعمارية العربية .. وإن كان أحدُ المعماريين الجزائريين ، المرتبطين فكريا بالثقافة الفرنسية ، قد وضع رسالةً علميةً عن عمارة حسن فتحى .. نال بها إحدى الدرجاتِ العلمية العليا ، ولا يزال بعضُ طلبة العمارة فى العالم يفدون إلى مصر ... لتجديدِ معرفتهم بحسن فتحى ، الذى قرأوا له ، وقرأوا عنه ، فى مدارسهم . وإذا كان حسن فتحى قد بنى للفقراء بأسلوبه الخاص ، الذى يعتمد على ضرورة تدريب أفراد المجتمع ، للمشاركة فى عملياتِ البناء ، فهو أيضا قد بنى للأغنياء بنفس الفكر ، ولكن بمنهج مختلف ، يعتمد فيه على تدريب العمال ، خصيصاً لهذا النوع من البناء ... وهكذا انحصر فكره المعمارى ، فى هذا النمطِ من البناء السكنى المفرد ... ولم يمتد إلى البناء السكنى المركب . الذى يتناسب مع الكثافات السكانية العالية ، فهو يؤمن بأن فى الصحراء مجالاً لا حدود له ، للتعمير بهذا الأسلوب وكثافات سكانية منخفضة .

ويدرك حسن فتحى أنه لامناصَ للمجتمعات النامية أو الفقيرة ، من استعمال التكنولوجيا المتوافقة فى البناء ... هذه التكنولوجيا ، التى تعتمدُ على المادة المحلية للبناء ، كما تعتمد على إنماء المهاراتِ المحلية للتشييد ، وتواجه فى نفس الوقت كلَّ المتطلباتِ المعيشية للإنسان وظيفياً ومناخياً بالوسائل الذاتية ، دون الاعتماد على التكنولوجيا الغربية . وحسن فتحى فى ذلك له نظرتُه المستقبلية البعيدة ، التى لا يدركُها إلا القلةُ القليلة ، التى ترى مستقبلَ العالم ، فى ضوء توقّع النقص الشديد ، من مصادر الطاقة

التقليدية ، الأمر الذى أدى إلى اعتماد الأموال الطائلة ، للبحث عن بدائل لهذه الطاقة ، من الطاقة الشمسية ، أو من التوافق البيئي لخصائص الموقع ، ومواد البناءِ المحلية .. وهذا ما يراه حسن فتحي من ضرورة الاعتماد على التكنولوجيا المتوافقة فى البناء . ووضع لذلك منهجاً علميا فى إطار مركز متخصص لهذا الاتجاه ... وإن كان قد توقف العمل فيه ، نظراً لعدم إقبال المؤسسات الرسمية ، على تدعيم أو إسناد مشروعات تدريبية أو واقعية إليه . وإذا أمعنَّا النظرَ بعمقٍ فى عمارتنا العربية المعاصرة ، نجدُ أنها تساير التكنولوجيا الغربية ، بحجة أنها تكنولوجيا العصر . ويرى حسن فتحي فى هذا الاتجاه ، خطورةً كبيرةً إذ أن ذلك يرتبط دائما ، بالإعتماد على الغرب اقتصاديا ، وثقافيا ، الأمر الذى يفقد المجتمعَ العربى هويتَه ، كما يفقد العمارة العربيةَ هويتَها بالتبعية ... ويعتقد حسن فتحى أن الصناعات الغربية ، التى تغزو العالمَ ، وتصدِّر له موادَّ البناء وطرقَ الإنشاء ، بجانب التجهيزات الفنية والمعمارية ، لها ما يساندها من الفكر الاجتماعى المحلى ، الذى يسعى إلى الربح السريع ، من خلال استيراد هذه الصناعات ... وفى هذا يظهر البُعد السياسى للفكر المعمارى لحسن فتحى ... وهو الفكرُ الذى يؤيده مريدوه فى الغربِ ، أكثر مما يؤيده مريدوه من العرب ، بعد أن دخل الاقتصادُ السياسى العربى الحلبةَ الدوليةَ ، التى للغربِ فيها الغلبةُ واليدُ العليا .

وإذا أمعنَّا النظرَ مرة أخرى فى عمارتنا العربية المعاصرة ، لوجدنا كمًّا كبيراً من الفاقد الاقتصادى ، وكمًّا كبيراً من الفاقد الفنى والمعمارى . والفاقِد الاقتصادى هنا يتمثل فى المساحات غير المستغلة وظيفياً أو نفسياً ، وفى الإضافاتِ والتشكيلاتِ التى لا ترتبط بأصل المبنى ، وفى الطاقة التى تفقد بوسائل التهوية ، أو التبريد والتسخين ، أو فى المواد والتجهيزات المستورَدة ، التى يصعُب صيانتُها . وهنا يدرك المعمارى العربى دورَه فى الاقتصاد القومى ، أو حتى فى الاقتصاد الفردى ... فالعمارةُ الجميلةُ هى العمارةُ التى تؤدى إلى موازنةِ رغباتِ الفرد والمجتمع ، وظيفياً واقتصادياً ، دون إسراف أو تقتير ، تواجه متطلباتِ اليوم ، كما تواجه متطلباتِ المستقبَل .

ويظهر من كل ذلك التساؤل عن ... ماذا بعد حسن فتحى ، الذى فتح لنا هذا الفكر الإنسانى على مصراعيه ، بغض النظرِ عن اختلافِنا حول أعماله المعمارية .

نبذة عن حياة المهندس حسن فتحى

- ولد فى ٢٣ مارس عام ١٩٠٠ بالاسكندرية .
- تخرج فى المهندس خانة - جامعة الملك فؤاد الأول (القاهرة حاليا) عام ١٩٢٦ .
- مهندس بالمجالس البلدية من عام ١٩٢٦ إلى ١٩٣٠ .
- درس بكلية الفنون الجميلة من عام ١٩٣٠ إلى ١٩٤٦ .
- أقام معرضا لعمارة الطين بالمنصورة عام ١٩٣٧ .
- أتم بناء أول بيت بالطين والأقبية للجمعية الزراعية الملكية ببهتيم عام ١٩٤١ .
- صمم ونفذ مسكن الفنان حامد سعيد بالمرج بين عامى ١٩٤٢ - ١٩٤٥ .
- صمم ونفذ قرية القرنة الجديدة لحساب مصلحة الآثار بين عام ١٩٤٦ - ١٩٥٣ .
- رأس إدارة المبانى المدرسية بوزارة التربية والتعليم بين عامى ١٩٤٩ - ١٩٥٢ .
- خبير بمنظمة الأمم المتحدة لاعانة اللاجئين عام ١٩٥٠ .
- صمم ونفذ قرية لؤلؤة الصحراء لحافظ عفيفى باشا عام ١٩٥٠ .
- استاذ بكلية الفنون الجميلة بقسم العمارة بين عامى ١٩٥٣ - ١٩٥٧ وعمل كرئيس لقسم العمارة منذ ١٩٥٤ إلى ١٩٥٧ .
- صمم ونفذ مدرسة فارس بصعيد مصر عام ١٩٥٧ .
- خبير بمؤسسة دوكسيادس بأثينا وحاضر بمعهد أثينا الفنى كما شارك فى بحث عن مدينة المستقبل فى الفترة من ١٩٥٩ إلى ١٩٦١ .
- صمم ونفذ مركز التدريب بالواحات الخارجة بهيئة استصلاح الأراضى عام ١٩٦٢ .
- رأس مشروعاً تجريبياً للإسكان قامت به وزارة البحث العلمى بالقاهرة وعمل كمستشار لوزير السياحة ــ القاهرة فى الفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٥
- صمم مركزاً ثقافياً للفنون الشعبية لوزارة الثقافة والإرشاد القومى عام ١٩٦٥

- خبير للتنمية الريفية لمشروع الأمم المتحدة للتنمية بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٦٦ .
- أستاذ زائر فى قسم تخطيط المدن والعمارة بكلية الهندسة جامعة الأزهر القاهرة عام ١٩٦٦/١٩٦٧ .
- صمم ونفذ قرية باريز بالواحات الخارجة لهيئة تعمير الصحارى عام ١٩٦٧ .
- فى عام ١٩٦٨ ، صمم مسكناً ريفياً للدكتور فؤاد عبد المنعم رياض ونفذه بالحجر بطريق سقارة بالجيزة فى ١٩٧٣ م .
- أستاذ زائر للإسكان الريفى ــ كلية الزراعة ــ جامعة القاهرة فى الفترة من ١٩٧٥ إلى ١٩٧٧ .
- صمم مسكناً خاصاً للأمير صدر الدين أغاخان على الضفة الغربية للنيل بأسوان عام ١٩٨٠ .
- عضو لجنة التحكيم لجائزة الأغاخان للعمارة فى الفترة بين ١٩٧٦ و١٩٨٠ .
- صمم قرية دار الإسلام بأبيكو بنيو مكسيكو بالولايات المتحدة الأمريكية ونفذ المسجد والمدرسة بالطوب اللبن عام ١٩٨٠ .
- صمم ونفذ بالحجر مساكن الشيخ عبد الرحمن والشيخ عبدالله نصيف بجدة فى الفترة بين ١٩٨٠ و١٩٨٦ .
- صمم ونفذ استراحة رئيس الجمهورية بجرف حسين ١٩٨١ .
- صمم ونفذ قصر الشيخ ناصر بالكويت بالطوب الرملى الأصفر عام ١٩٨٤ .
- مؤسس ورئيس المعهد الدولى للتكنولوجيا المتوافقة منذ ١٩٧٧ وحتى الآن .

الجوائز التى حصل عليها المهندس حسن فتحى :

- جائزة الدولة التشجيعية للفنون الجميلة (ميدالية ذهبية) ـــ مصر ١٩٥٩ .
- جائزة الدولة التقديرية للفنون الجميلة ـــ مصر ـــ ١٩٦٧ .
- جائزة الرئيس ـــ منظمة جائزة الأغاخان للعمارة ـــ ١٩٨٠ .
- الميدالية الذهبية الأولى ـــ الاتحاد الدولى للمعماريين ـــ باريس ـــ ١٩٨٤ .
- جائزة لويس سوليفان للعمارة (ميدالية ذهبية خاصة) ـــ الاتحاد الدولى للبناء والحزف التقليدية عام ١٩٨٧ م .

المناصب الشرفية :

- عضو المجلس الأعلى للفنون والآداب ـــ مصر .
- عضو شرف بمركز الأبحاث الأمريكية ـــ القاهرة .
- عضو شرف ـــ المعهد الأمريكى للعمارة ـــ عام ١٩٧٦
- رئيس شرف للمؤتمر الدائم للمعماريين المصريين الأول والثانى والثالث والرابع أعوام ١٩٨٥ ، ١٩٨٦ ، ١٩٨٧ ، ١٩٨٨ .

المصـــادر :

- م/ حســـن فتحـــى : **قصة قريتين** – طبعة واحدة فى عدد محدود – وزارة الثقافة والارشاد القومى – القاهرة ١٩٦٩ .
- م/ حســـن فتحـــى : **العمارة والبيئة – سلسلة كتابك – دار المعارف القاهرة ١٩٧٧** .
- م/ حســـن فتحـــى : **تصميم المسجد – محاضرة بالدورة التدريبية الأولى** « تأصيل القيم الإسلامية فى التخطيط والعمارة المعاصرة » مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية – القاهرة ١٩٨٠ .
- د . عبد الباقى ابراهيم : **التكنولوجيا المتوافقة فى البناء : ماذا بعد حسن فتحى** – مجلة عالم البناء العدد ٦٤ – مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية – القاهرة .
- د . عبد الباقى إبراهيم : **حسن فتحى فى الميزان** مجلة عالم البناء العدد ٧١ مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية – القاهرة .
- م/ مهـــا إسمـاعيـل : **فكر حسن فتحى فى الخارج والداخل ، كيف يراه المهندسون المصريون** – مجلة عالم البناء العدد ٢٢ – مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية القاهرة .
- أوراق خاصة بالمهندس حسن فتحى .
- لقاءات شخصية بين المهندس حسن فتحى ود . عبد الباقى إبراهيم .

* **Hassan Fathy:**	**Architecture for the Poor. An Experiment in Rural Egypt**, Chicago, University of Chicago Press, 1973.
* **Hassan Fathy:**	**Natural Energy & Vernacular Architecture.** UN University, Tokyo and the University of Chicago Press, 1985.
* **J.M. Richards, Ismail Serageddin, Darl Rostosfer**	**Hassan Fathy.** Mimar Book, The Aga Khan Award for Architecture. Concept Media — Singapore. The Architectural Press — London, 1985.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٥١٧٧ / ٨٧

المعماريون العرب (حسن فتحى) :

لقد عرف المعماريون العرب المعمارى / حسن فتحى من خلال ما كُتِبَ عنه فى الخارج ، أكثر مما يعلمون عنه فى الداخل ، وهذا الكتاب محاولة للبحث عن التراث فى العمارة العربية ، لعودة الأصالة الحضارية العربية من خلال عرض لفكر حسن فتحى ، وما يقدمه هذا الكتاب ليس تكراراً لما نُشِرَ عنه فى الغرب ، لكنه عرض لفكره المعمارى من خلال ما كتب من بحوث أو مقالات ، وما صمم من أعمال معمارية اعتبرها العالم صياغة معاصرة للتقابل بين الإنسان والبيئة ، ومهما كان الخلاف الفكرى بالنسبة لأعماله ومنهجه إلا أنه يُعْتَبر علامةً واضحةً فى تاريخ العمارة المعاصرة ، وكان واجباً ان يصدر هذا الكتاب ليكون أول جامع لفكره وأعماله ونشأته ، والعوامل المؤثرة على تكوين هذا الفكر باللغة العربية ، على مدى ستين عمره .

من مطبوعات مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية التى صدرت حتى الآن :

تأصيل القيم الحضارية فى بناء المدينة : والكتاب محاولة للبحث عن المداخل المعمارية لتأصيل القيم الحضارية فى العمران العربى المعاصر من خلال المشروعات المعمارية .

الإسكان فى المدينة الإسلامية : ويتضمن إبحاث ندوة الاسكان فى المدينة الإسلامية (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م) انقره ـ لحساب منظمة المدن والعواصم الإسلامية .

الارتقاء بالبيئة العمرانية للمدن : وهو جامع لبحوث ندوة الارتقاء بالبيئة العمرانية للمدينة العربية ، (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م) بالاشتراك مع أمانة مدينة جده .

المنظور التاريخى للعمارة فى المشرق العربى : قراءة جديدة لتاريخ المشرق العربى بهدف تسجيل تاريخ النظرية المعمارية فى المنطقة على مر العصور .

كلمات صحفية فى الشئون العمرانية : جامع للمقالات التى نشرت للكاتب فى مختلف الصحف والمجلات على مدى خمسة وثلاثين عاما تناقش موضوعات العمارة والتخطيط والاسكان فى مصر .

المنظور الاسلامى للنظرية المعمارية : يناقش الكتاب النظرية المعمارية الغربية بهدف البحث عن النظرية من خلال القيم الإسلامية .

بناء الفكر المعمارى والعملية التصميمية : يتعرض الكتاب لموضوع بناء الفكر المعمارى كهدف ومنهج وأسلوب فى تسلسل منطقى لمساعدة الدارس على متابعة مراحل تنمية المدارك الحسية .

المعماريون العرب (صلاح زيتون) : تقديم الدكتور عبد الباقى ابراهيم . وهو كتاب تسجيلى يتم فيه ومن خلاله تقديم للفكر المعمارى للمهندس صلاح زيتون يليه تقديم لأعماله المعمارية .